العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

شهر محرم
شهر صفر
شهر ربيع الأول
شهر ربيع الثاني
شهر جمادى الأولى
شهر جمادى الآخرة

Al-Sada

Cultural Quavterly Journal For Hegira Events

Issued by the al _abbas holey shrine Department of Intellectual and Cultural Affairs Division of thought and creativity

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العلي العظيم
سورة الزلزلة: الآية/ ٧.

الإشـــــراف الـعـــام
الـسـيـد لـيـث الـمـوسـوي

السلامة الفكرية
السيد عقيل عبدالحسين الياسري

رئيس التّحرير
صباح نعيم الصافي

مدير التّحرير
محمد الأسدي

هيأة التّحرير
رضوان عبد الهادي
حيدر فائق هادي
حيدر الدفاعي
محمد يوسف محمد صالح

المراجعة اللغوية
محمد رضا جاسم

المشاركون
الشيخ عبدالرزاق فرج الله الأسدي
الشيخ أنور أبو الحب
السيد عصام الخرسان
الشيخ محمد المحفوظ
جنان المرشدي

التصميم و الإخراج الفنّي
وحدة التصميم

التنفيذ الطباعي
دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

.. للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث والمقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام.

ترسل المشاركات على العنوان الآتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل الثقافي / شارع الاسكان / خلف متنزه الحسين عليه السلام الكبير

التواصل مع المجلة :

alsadda@alkafeel.net
info@alkfeel.net

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية
٢١٩٤ لسنة ٢٠١٦م

في البدء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. وصلى الله على سيدنا محمَّد وآله الطيبين الطاهرين ..

وبعد:

إنَّ دراسة سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام تعدّ إحدى الركائز الأساسية في البناء الفكري والعملي للدين الإسلامي، ذلك؛ لأنَّهم عدل القرآن الكريم والامتداد الشامخ لمنهج الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، والحارس الأمين للقيم والمفاهيم الإسلامية في وجه التَّحريف والضّلال.

إنَّنا في رحاب النبي العظيم صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام نعيش أروع، وأسمى آيات العظمة الإنسانية، فتجد بين هؤلاء الإثني عشر من هو رئيس الدولة والحكومة العالمية، وولي العهد، والمستشار في الأمور المهمّة، والمتصدِّي لبيان الأحكام الشرعيّة، وحتَّى السَّجين في إحدى زوايا الطامورات، والذي يعيش تحت الإقامة الجبرية، والشهيد في جبهات الحق ضد الظلم والطغيان، وأستاذ العلماء في كافَّة العلوم المختلفة، ومعلّم الإنسانية في مدرسة الدعاء والمناجاة، والغائب الذي غيّبه الله عن الأعين حفظًا لوجوده الشريف.

إنَّ البحث في سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام وهم القدوة الحسنة، حيث تمثّلت بهم خصائص العظمة والاستقامة، تهدف إلى تحريك طاقات الأمة باتجاه الوعي الإيجابي للشريعة، وتعميق الإسلام الحقيقي في روحها ووجدانها، وحماية الشريعة من حالة التردّي

بالوقوف في وجه التيارات الفكرية المنحرفة.

فحينما نكتب ونبحث عن سيرتهم فإنَّنا نتواصل مع القدوة الحسنة بكلّ ما تحمل من طاقات روحية وفكرية وعلمية، وامتدادات تشمل كلّ مفردات الحياة، وتسير بالإنسان نحو سلّم الكمال المطلوب على صعيد الفرد والمجتمع.

المحتوى

شهر محرم

معاقد العزّ في شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام ١١

الأهداف الحسينية ٢٧

المجتمع الإسلامي المعاصر وحاجته إلى عاشوراء..... ٤١

المدرسة العاشورائية في التربية الأبعاد والعبر..... ٦١

من عطاء الإمام السجاد عليه السلام..... ٧٣

القيادة الرساليّة تكوينها في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام ٨٥

شهر صفر

الإمام الباقر عليه السلام وانبثاق الجامعة الكبرى..... ١٠٣

الإمام المجتبى عليه السلام بين المناقبيات والظلامات..... ١١٧

من فكر الإمام الرضا عليه السلام علاقة الإنسان بنفسه وربه..... ١٢٧

حوار مع المعصومين عليهم السلام حول زيارة الإمام الحسين عليه السلام..... ١٣٩

شهر ربيع الأول

الإمام العسكري عليه السلام وملاحقة الأفكار المنحرفة..... ١٥١

شذرات من حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله..... ١٥٩

الإمام الصادق عليه السلام والطب الروحي..... ١٦٩

شهر ربيع الثاني

هل تزوجت السيدة المعصومة عليها السلام؟..... ١٧٩

شهر جمادى الأولى

علوم فاطمية..... ١٨٧

شهر جمادى الآخرة

منهج أم البنين عليها السلام في التربية وبناء المجتمع الصالح..... ١٩٩

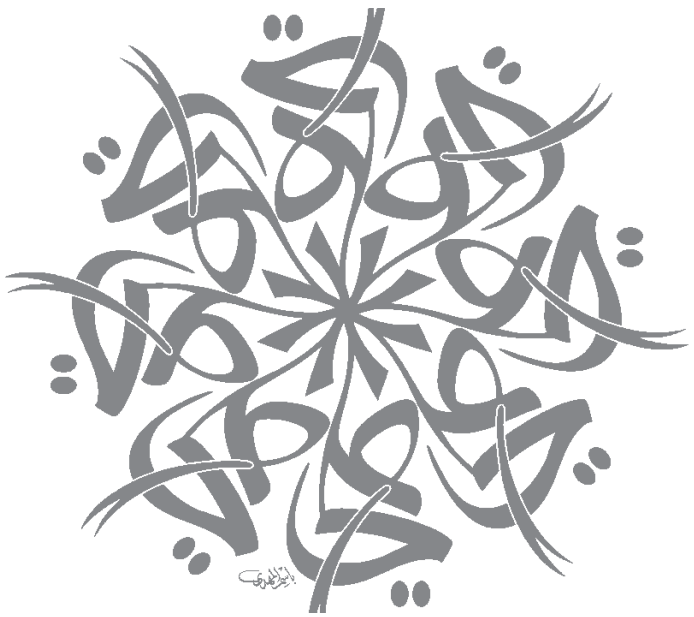

شهـر محرم

- معاقد العزّ في شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام.
- الأهداف الحسينية .
- المجتمع الإسلامي المعاصر وحاجته إلى عاشوراء.
- المدرسة العاشورائية في التربية الأبعاد والعبر.
- من عطاء الإمام السجاد عليه السلام.
- القيادة الرساليّة تكوينها في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام .

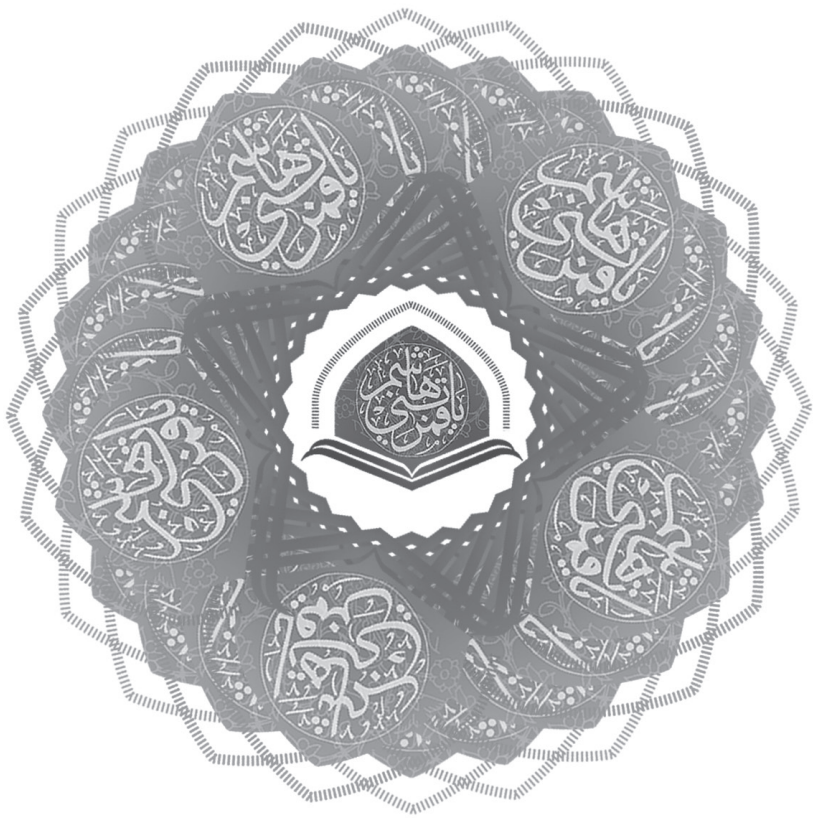

معاقد العزّ في شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي

لقد استلهم الإمام الحسين عليه السلام من الانطلاقة التاريخية الأولى لجدّه المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله، مضمونًا عظيمًا من الرحمة والقوة والصبر والعزم والحزم، تكاملت من خلاله عقيدة ورسالة الأمة وتنامى تفكيرها، وعظمت تضحيات الثلة المؤمنة مع رسول الله صلى الله عليه وآله في دعم هذه الانطلاقة.

وتبنّى الإمام الحسين عليه السلام انطلاقة تاريخيّة ثانية من نوع آخر، في سبيل استقامة البناء وسلامة قواعده وصيانتها من عمليات التخريب والتبديل والتغيير والتزوير، الأمر الذي احتاج إلى عمليّة جهاديّة تضحويّة، كان لا بدّ أن يتبنّى خطواتها الحسين عليه السلام الذي قال فيه جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله: (حسين منّي وأنا من حسين).

(حسين مني) أي: أنّه منه في نسبه وتكوينه من ناحية، ومن ناحية أخرى: أنَّ رسالته اندمجت في رسالة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وتألّق تأريخه في تأريخه، وانطلق من نفس الموقع الذي انطلق منه في حركة الإصلاح والتغيير.

فمن حيث تحرّك النبي صلى الله عليه وآله في الدّعوة إلى الله -عزّ وجل-، فقد تحرّك سبطه الإمام الحسين عليه السلام من نفس الحيثية والموقع وبنفس المضمون.

(وأنا من حسين) أي: أنّ ميلاد رسالته قد بزغ في دم ولده الحسين عليه السلام، وتألق تأريخه ممتدّاً في تأريخه؛ لأنَّ ما استلهمه الحسين عليه السلام من تأريخ جدّه صلى الله عليه وآله، من الحكمة، والصّواب، والصّبر، والحزم، والجرأة، والإيثار، والفدائيّة كان ضمانًا لبقاء هذه الرسالة.

فحريّ بنا أن نفخر به؛ لأنَّه سيّد الموقف الذي توّج ذكرياتنا وأحداث تأريخنا بتاج المجد والخلود، ولأنّه منهل العطاء الدائم الذي يرتبط بمصيرنا ويبني حاضرنا ومستقبلنا بسموّ المبادئ وقدسية القيم.

لقد توّج الإمام الحسين ﷺ كلّ الذكريات بذكرى عاشوراء الشهادة، وهي أعزّ الذكريات التي تعيشها الأمّة، وتحتضن مشاعرها، فكان حريًّا بها أن تحوّل هذه الذكرى إلى ثمار ونتائج، وقرارات، تتجاوز بها الخواطر والكلمات، وتصنع منها المنجزات والمواقف والبطولات، التي تتحدّى بها المخاوف وتزدري بالمثبّطات.

إذ مهما اختلفت الأمّة وتشعّبت آراؤها وتوجّهاتها، وتنوّعت أنماط تفكيرها وسلوكها، ومضت تمجّد تأريخًا وتلعن تأريخًا آخر، وتعترف برمز وتتنكر لرمز آخر من رموز التأريخ، وتصوّب موقفًا وتخطّيء موقفًا آخر من مواقف رجاله، إلا أنّها -بكل طوائفها وقومياتها- تلتقي عند الحسين ﷺ، وتجتمع على صدق كلمته وسلامة موقفه، وتتجسّد ضخامة عطائه في مظلوميته.

فالحسين هو القدوة لكلّ من شاء أنْ يترسّم طريق التضحية والشهادة، لإيقاظ وتوعية الضّمير الإنساني، وإثارة الإحساس الثوري لدى الأجيال المؤمنة المجاهدة، ضدّ كلّ مظاهر الباطل والزّيف والفحشاء والمنكر والبغي.

فلنتحرّك - إذن - من أجل أن نستجلي ولو جزءاً من المفاهيم العليا من تأريخه ﷺ، ومن مواقفه وفصول نهضته الثوريّة الخالدة، التي استلهمها من جوهر رسالته، وهي: الحق، والحكمة، والصّواب، والصّبر، والجرأة، والحب والإيثار، والفدائية.

هذه المفاهيم وغيرها، والمبادئ التي يعضد بعضها بعضاً، والتي جسّدها في قراراته ومواقفه، حريّ أن تستفيد منها الأمّة والشعب والوطن في ميدان الصّراع القائم، الذي لم يزل ولا يزال فيه الحقّ هو الحق، والباطل هو الباطل في تأريخهما وماضي صراعهما وحاضره.

هذا الميدان الذي لم يزل فيه الأعْداء هم الأعْداء، والعتاة هم العتاة المردة الخارجون على دين الله -عزّ وجل-، وعلى كلّ القيم والحرمات والمقدّسات، الذين لم تتغيّر هويّتهم وعقيدتهم ومواقفهم، ولمْ يتغيّر تعطشهم للدّم وعشقهم للجريمة، وإنْ تغيّرت أزياؤهم، ومساكنهم، وأسلحتهم، ومعدّاتهم، ومراكبهم، ومطاعمهم ومشاربهم.

أفلا يجدر بنا أن لا تتغيّر المواقف تجاههم؟ ألا ينبغي أن يكون عقد الصّلة بين ماضي التأريخ وحاضره منسجمًا في الموقف مع عقيدتنا ورسالتنا الحسينية؟ هذا - إذن - هو الجدير بنا لتجسيد المضمون العملي للاقتداء به.

الحسين كلمة التاريخ الهادية

إذًا لنستلهم هدى الإمام الحسين ﷺ، والاستفادة منه، فإنّ ومضات يسيرة من تاريخه كافية لإثراء هذا الوجود وصنع

الحياة، وتقويم السلوك، وتحقيق المطامح والآمال.

فقد كان ﷺ يُعدّ العدّة لأن تكون دماؤه ودماء الكوكبة الخيّرة من أهل بيته وأصحابه – منذ ذلك اليوم وبحكم تخطيط السماء – هدى وقوّة تسري من جديد في دماء أحرار العالم لمواجهة طغاة وعتاة التاريخ المعاصر.

إنّ الإمام الحسين بصفته المصباح الهادي إلى الحق وإلى التي هي أقوم، وكما ورد في زيارته ﷺ (أشهد أنَّك الإمام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي) يعتبر هو التأريخ كله، حيث اجتمعت عنده كلمة التاريخ الهادية. إذ ما برح يرويه التأريخ، وتتناغم معه كلّ الإنسانية؛ لأنَّها تعتقد أنَّه رائد المرحلة وبطل الموقف، وأنَّه الرّجل كلّ الرّجل، المولود في استشهاده، بما ملأ الحياة ثراءً وعطاءً، وألبسها بهاءً، ووهبها ضياءً.

وإنَّه ﷺ، وإنْ رحل عن الدنيا، فإنَّه لم يرحل – ولن يرحل – عن الحياة؛ لأنَّه ظلّها الوارف الأمين...وسورها المحكم المتين...وقولها الصّادق المبين...وكلمتها الخالدة التي تؤتي أكلها كلّ حين...بإذن ربّ الخلق أجمعين...القائل:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)(١).

فقد ضرب الله –تعالى– هذا المثل للكلمة الطيبة المنتجة، فكان ﷺ مصداقًا لهذه الكلمة، بل أصبح الكلمة التي تحمَّل للناس ذكرى الهدى والحق والتضحية والفداء؛ لأنه لم يخرج ليقتل فيفنى ويفنى كلّ شيء، بل خرج؛ ليحيى وتحيى الكلمة الصّادقة في نفسه وروحه وعروقه ودمه وفي نهجه لعلهم يتذكرون.

فكان الدم الزكي الذي أريق على ساحة الطف، يغذي الكلمة الطيبة العليا في نهضته الخالدة؛ لتثبت شجرتها، وتعلو باسقة شامخة مفيئة على قمة التأريخ، لامعة على هام الشمس، ثائرة كالبركان تحت عروش الطغاة.

فلقد كان ﷺ الكلمة التي لا تلين قناتها، ولا تضعف عزائمها، ولا تحجم خطواتها، عن المضي في طريق القرار الثابت والموقف الجريء، الذي يتحدّى المخاوف ويزدري بالأهوال، من أجل ما يعتقد ويؤمن به من مبادئ رسالية وقيم روحية، فيها عقد الصّلة بين الماضي والحاضر.

كان الإمام الحسين ﷺ، وما زال، وسيبقى منْ قمم هذا التأريخ اللامع، والسّفر الجامع، الذي لا يختلف عن تاريخ أبيه علي ﷺ في خصاله، إلا في نوع الموقف، أما خصال تاريخه فهي:

---

(١) إبراهيم: ٢٤ – ٢٥.

١-في كونه تأريخاً صائبًا مشرقًا ناصعاً ممحّصاً، لا يكذبه تأريخ، ولا ينكره عصر، ولا يتجاهله منصف حر؛ لأنه قد ملأ الدنيا إشراقًا، بما له من خصائص الخلود والبقاء لكلّ فضيلة ومكرمة حسنة، وهو بقاء لكلّ خير في حياة الأمة.

٢- في كونه تأريخًا عمليًّا، يتحرّك في محبّيه وعاشقيه، ويتحرّك فيه محبّوه وعاشقوه، ويستلهمون ممّا يملك من عناصر السّمو والتكامل، ومن مواقف الجهاد والذود عن حياض الرّسالة وروح الفضيلة.

٣- في كونه تأريخًا كاملًا وشاملًا، لم يترك جانبًا من جوانب الحياة إلّا وملأه بالعطاء، ولا شأنًا من شؤون الأمّة وقضاياها إلّا وضع له حلًا مناسبًا وعلاجًا شافيًا، لأنَّ تأريخه يمثل جوهر الرّسالة، وهو بطل هذا التأريخ الذي لا تنقصه الفكرة، ولا تعيى به الكلمة، ولا ينقطع به الطريق عن الغاية التي ترمي إليها رسالة السّماء.

وتجتمع عند هذه الشخصية الرائدة كلّ تلك الخصال الجليلة، وكلّ معاقد العزّ والشرف، ولذلك تتمثل معاقد العز والشرف والسموّ لشخصية الإمام الحسين عليه السلام فيما يلي:

١- معقد النسب الشريف:

في سياق الحديث عن فضل الإمام أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين عليهم السلام، والدفع باتجاه حبّهم والالتزام بمنهجهم، يؤكِّد رسول الله صلى الله عليه وآله بصورة خاصّة على كون الحسن والحسين عليهما السلام ابنيه:

(خذوا بحجزة هذا الأنزع، يعني عليا فإنه الصديق الأكبر، وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل، من أحبه هداه الله، ومن أبغضه ابغضه الله، ومن تخلف عنه محقه الله، ومنه سبطا أمتي: الحسن والحسين، وهما ابناي، ومن الحسين أئمّة الهدى، أعطاهم الله علمي وفهمي فتولوهم، ولا تتخذوا وليجة من دونهم فيحلّ عليكم غضب من ربّكم، ومن يحلل عليه غضب من ربّه فقد هوى، وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور)(١).

فقد كان من معاقد العز والشرف للإمام الحسين عليه السلام مع أنه ابن علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيّه الأوّل، وأنه ابن فاطمة عليها السلام، فقد جعله النبي صلى الله عليه وآله ابنه.

فما برح الحسين عليه السلام يغتذي هدي النبوّة في بيت الرسول المصطفى وفي حجر جدّه، حتى فارق رسول الله صلى الله عليه وآله الحياة الدنيا وعمر الحسين عليه السلام آنذاك ست أو سبع سنوات.

إنّ نسب الحسين عليه السلام إلى جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، هو معقد من معاقد العز والشرف، ولقد حاول التيار الأموي، تمهيدًا وتبريرًا

(١) بحار الأنوار: ٢٣ / ١٢٩.

لما اقترفوه من الجرائم في حق العترة الطاهرة بكلّ ما لديه من حيلة والتواء، أن يوحي إلى أذهان الناس أنّ الصلة بين الحسين ورسول الله ﷺ، لم تعد بذات اعتبار في قاموس الصلات والروابط.

ولإقامة الحجّة على أعدائه وقاتليه المتجنّين على حرمته والاستخفاف به، تأتي المواقف الدامغة من قبل أهل الحق والصواب ضد تلك المحاولات، كما جاء عن يحيى بن يعمر العامري.

قال: بعث إليّ الحجاج، فقال: يا يحيى أنت الذي تزعم أنَّ ولد عليّ من فاطمة هم ولد رسول الله ﷺ؟ قلت له: إن أمنتني تكلمت.. قال: فأنت آمن... قلت: نعم أقرأ عليك كتاب الله، إنَّ الله يقول:

(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ)(١)، وعيسى كلمة الله ألقاها إلى العذراء البتول وقد نسبه الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام....قال: ما دعاك إلى نشر هذا وذكره؟.

قلت: ما استوجب الله على أهل العلم في علمهم، **(لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ)**(٢)، قال: صدقت ولا تعودنّ لذكر هذا ولا نشره)(٣).

هكذا تعترف وتذعن ضمائر أولئك بهذه الحقيقة وأمثالها، ولكن تأبى النفوس القذرة والمريضة، أن يتحدّث أحدٌ بمثل هذا وذاك من الحقائق في القادة من أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ الحديث بهذه الحقائق يضر بدنيًا الظالمين ويقوّض مناصبهم المصطنعة الزائفة.

٢- معقد الحب المعمّق

لقد كان من المسلّمات أمر الله تعالى لرسوله محمد ﷺ أن يجعل أجر أداء الرسالة في حياة الأمّة، حبّ قرباه وأهل بيته فقال عزّ وجل: (قل لا أسألكم عليه أجرًا إلَّا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنًا إنّ الله غفور شكور)(٤).

وقد كان رسول الله ﷺ يؤكِّد هذا الأمر مرارًا على أسماع الأمة، كما روي أنّه كان في ملأ من أصحابه فقال رجال منهم: فإنّا نحبّ الله ورسوله، ولم يذكروا أهل بيته، فغضب وقال:

(أيّها الناس أحبّوا الله عزّ وجل لما يغذوكم به من نعمة، وأحبّوني بحبّ ربّي، وأحبّوا أهل بيتي بحبّي، فو الذي نفسي بيده لو أنَّ رجلًا صفن بين الركن والمقام صائمًا وراكعًا وساجدًا ثم لقي الله عزّ وجل غير محبّ لأهل بيتي لم ينفعه ذلك).

---

(١) الأنعام: ٨٤ - ٨٥ .

(٢) آل عمران: ١٨٧ .

(٣) بحار الأنوار: ٤٥ / ١٧١ .

(٤) الشورى: ٢٣ .

قالوا: ومن أهل بيتك يا رسول الله؟ – أو أيّ أهل بيتك هؤلاء؟ – قال ﷺ: (من أجاب منهم دعوتي واستقبل قبلتي ومن خلقه الله مني ومن لحمي ودمي) فقالوا: نحن نحبّ الله ورسوله وأهل بيت رسوله، فقال: (بخ بخ فأنتم إذا منهم، أنتم إذا منهم، والمرء مع من أحبّ وله ما اكتسب)(١).

أما ما كان يجمله لولده الحسين ﷺ فهو منقطع النظير، لذا أصبح هذا الحب معقدًا من معاقد الشرف والسمو للحسين ﷺ، فقد كان حبّ جده ﷺ له سمة بارزة في تعامل النبي ﷺ، حتى دعاه حبّه للحسين ﷺ، أن يفديه بولده إبراهيم.

ومن ناحية أخرى، اقتداء به ﷺ، فكان هذا الحب شرفًا لنا، وتاجًا لوجودنا؛ لأنَّه يغذّي نفوسنا، ويطهر قلوبنا بقيمه الخالدة على مرّ التاريخ، كما عن فضيل بن عثمان الصيرفي، عمن حدثه، عن أبي عبد الله ﷺ قال: (من أراد الله به الخير قذف في قلبه حبّ الحسين ﷺ وحبّ زيارته، ومن أراد الله به السوء قذف في قلبه بغض الحسين وبغض زيارته)(٢).

ويبقى حبّ الحسين ﷺ في قلوب شيعته فريدًا لا يناظره حب، وتبقى العواطف والمشاعر منشدّة إليه إنشدادًا خاصًا، كمعقد من معاقد العز والشرف والمجد الخالد له في حياة الأمّة.

٣- معقد العلم الملهم

إنّ المعروف عن الإمام الحسين ﷺ، نبوغه العلمي من صغر سنّه، كيف وهو يرتضع من ثدي الهدى في حجر جدّه رسول الله ﷺ، والله يعلم سر ما كان يقوم به جدّه ﷺ وهو يلقمه لسانه تارة وإبهامه تارة أخرى، وهي عادة لم تكن مألوفة في أيّ رضيع في الناس.

ومن شواهد نبوغه صغيرًا: ما روي عن أبي سلمة، قال: حججت مع الخليفة الثاني، فجاء أعرابي إلى عمر فسأله: إنّي محرم للحج وقد أصبت عددًا من بيض النعام فشويتها وأكلتها، فما أدري ما الذي عليّ؟.

قال عمر: لا أحيط بذلك، انتظر لعلّ أحدًا من صحابة محمد ﷺ يأتي فيجيبك، فإذا بعلي ﷺ ومعه الحسين وهو صغير السن، فقال عمر: يا أعرابي هذا علي بن أبي طالب فاسأل، فسأله الأعرابي، فقال: يا أعرابي سل هذا الغلام بما عندك.

وماذا تتوقّع ستكون ردّة فعل الأعرابي الذي ينتظر الجواب على سؤاله فيدفعه البعض على الآخر، كما قد يحدث في تعاملاتنا مع بعضنا؟؟ – وكما ذكر المصدر – فقال الأعرابي: ما بالكم كلّ واحد منكم يحيلني على الآخر؟ فقيل له: ويحك هذا ابن رسول

(١) بحار الأنوار: ٢٧ / ١٠٥.
(٢)المصدر نفسه: ٩٨ / ٧٦

الله ﷺ، فعرض الأعرابي سؤاله على الحسين ﷺ.

فقال الحسين ﷺ: خذ بعدد البيض نوقًا فاضربها بالفحولة، فما فصلت فاهدها إلى بيت الله الحرام، فقال عمر: يا حسين، النوق يزلقن، فقال الحسين: يا عمر، البيض يمرقن، فقال عمر: صدقت وبررت، وضمّه إلى صدره وقال: ذريّة بعضها من بعض)(١).

٤- معقد الجرأة والإباء

لقد كان الحسين ﷺ يتمتّع بالإباء وعدم الرّضا بالذلّة، وذلك من صغر سنه، فكان يترفع عن أن تمس كرامته ولو على مستوى المزاح، مما يؤكّد أصالة هذه الشخصية وسموّ قدرها ورفعتها عن كلّ ما يخدش طارف العز وتاج الكرامة وإن كان هزلاً.

تروى بهذا الصّدد قصّة طريفة، تحمل هذا المعنى الذي تتّصف به شخصية الحسين ﷺ: أنّ عمرو بن العاص كان في مجلس معاوية، وكان الإمام الحسين ﷺ جالسًا، وكان عمره لا يتجاوز السبع سنوات.

قال عمرو بن العاص -مستهزئاً هزلاً-: يا ابن أمير المؤمنين، ما بال أولادنا أكثر من أولادكم؟ فقال الحسين ﷺ:

بغاث الطير أكثرها فراخًا وأم الصقر مقلاة نزور

فقال عمرو بن العاص - وهو يريد إفحامه -: ما بال الشيب أسرع إلى شواربنا من شواربكم؟ قال الحسين ﷺ: لأنّ نساءكم بخرة، فإذا ما جاء أحدكم إلى امرأته نهكت وجهه فابيضّ شاربه.

فقال عمرو بن العاص: ما بال لحاكم أوفر من لحانا؟.

قال الحسين ﷺ بقوله تعالى: (والبلد الطيّب يخرج نباته بإذن ربّه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا)(٢).

فقال معاوية لعمرو بن العاص: بحقي عليك إلّا ما أمسكت عن سؤاله فإنّه ابن أبي طالب، فقال الحسين ﷺ شعرًا:

إنْ عادت العقرب عدنا لهـا وكانت النعل لهـــا حاضرة

قد درت العقرب واستيقنت أن ما لها دنيا ولا آخرة(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤ / ١٩٧.

(٢) الأعراف: ٥٧.

(٣) كلمات الإمام الحسين ﷺ: ٢ / ٤٧.

وبصرف النظر عن مصدر هذه القصة، فإنّ هناك ما يدل على عظمة النفس، وأصالة الجرأة لدى الحسين ﷺ ممّا يدعوه للثأر للحق حيثما تعرّض للسخرية من أعدائه.

٥- معقد السخاء والكرم

إنّ السخاء من الآداب العريقة التي ورثها الحسين ﷺ عن أسلافه الطاهرين محمد وعلي صلوات الله وسلامه عليهما إلى أعمق جذور هذه الأسرة الهاشميّة، إذ سمّي جدّ النبي ﷺ هاشمًا؛ لأنه كان يهشم الثريد لقومه وضيوفه ويطعمهم بيده.

فلا شك أن تترشح هذه الصفة وأمثالها من الصفات الغر في ذرّية بعضها من بعض، فتتوارث كلّ كريمة من الخصال والخلال، بينما يتوارث الناس المال، والحطام، وما يؤول أمره إلى الفناء والزوال.

جاء أعرابي إلى المدينة يسأل عن أكرم الناس فدلّ على الإمام الحسينِ ﷺ، فلمّا مثل أمامه قال: سيدي إني قد ضمنت ديّة كاملة وعجزت عن أدائها فجئت أسأل عن أكرم الناس فدللت عليك.

فقال له الإمام الحسين ﷺ: يا أعرابي إني سائلك عن ثلاث مسائل، فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن الكل أعطيتك الكل.

فأراد الإمام الحسين ﷺ، أن يضع العطاء في موضع الاستحقاق، وعلى أساس المعرفة الدقيقة من ناحية، ومن ناحية أخرى، يريد ﷺ أن يمزج بين عطاء المال وعطاء العلم.

إذ لو جهل الأعرابي الجواب لعلّمه الحسين ﷺ ما جهل، ولو أجاب عن أسئلته، كان لإثبات أنّ المال الذي أعطاه قد وقع في مقابل شيء هو: الحكمة المستفادة للأجيال على مرّ الزمن.

لقد كان هذا الامتحان للأعرابي من معالم الدقة في تحرّك وتصرّف أهل البيت ﷺ الذين يريدون من الأمّة أن تكون - دائمًا - متعلمة منهم ما ينفعها، وما يوجّه حركتها في عملية الأخذ والعطاء.

وهنا وقف الأعرابي أمام هذا الامتحان، وكلّه إجلال واحترام لهذه العبقرية والهيبة وقال: يا ابن رسول الله، أمثلك يسأل مثلي وأنت من أهل العلم والشرف؟.

فقال الحسين ﷺ: سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: المعروف على قدر المعرفة، وهذه الكلمة تحمل للأمة درسًا أخلاقيًا ضخمًا، وتعلّمها أن يقوم عطاؤها وتعاملها على أساس القيم العليا والموازين الضابطة.

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله، سل عمّا بدا لك. فإن أجبت وإلّا تعلّمت منك ولا قوة إلا بالله.

فقال الإمام الحسين ﷺ: أيّ الأعمال أفضل؟ قال الأعرابي: الإيمان بالله، فقال الحسين ﷺ: ما النجاة من الهلكة؟.

قال الأعرابي: الثقة بالله، فقال الحسين ﷺ: ما يزين الرجل؟ قال الأعرابي: علم معه حلم.

قال الحسين ﷺ: فإن أخطأه ذلك؟

قال الأعرابي: مال معه مروءة.

قال الحسين ﷺ: فإن أخطأه ذلك؟.

قال الأعرابي: فقر معه صبر.

قال الحسين ﷺ: فإن أخطأه ذلك؟.

قال الأعرابي: فصاعقة تنزل عليه من السماء فتحرقه فإنّه أهل لذلك، فضحك الإمام الحسين ﷺ، ورمى إليه بصرّة فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه، وفيه فص قيمته مائتا درهم، فقال: يا أعرابي أعط الذهب إلى غرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك، فأخذه الأعرابي وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته)(١).

وفي موقف آخر، يتجاوز سخاء الإمام الحسين ﷺ مواضع العطاء المالي، ليجمع إلى جانب ذلك، العطاء المعنوي، وهو: بناء شخصية الإنسان المسلم، وإشعاره بإنسانيته وحقه في الحرية.

فقد روي أنَّ للإمام الحسين ﷺ ضيعة (بستان)، وكان له غلام يقال له صافي، يعمل في ذلك البستان، فجاء الإمام الحسين إلى بستانه، فرأى غلامه صافي قد أحضر غداءه، وفيه رغيفان وقطعة لحم، وعلى مقربة منه كلب، فرمى الرغيف الأوّل إلى الكلب ثم أتبعه بالثاني، ثم رمى قطعة اللحم.

كان الإمام الحسين ﷺ يرمق الموقف، فتقدّم إلى الغلام وسأله عن فعله، فأجاب: سيدي ليست هذه المدينة مدينة كلاب، ولاشكّ أنَّ هذا الكلب جاء من مكان بعيد وهو جائع، فأطعمته لأنّي أستطيع تحصيل طعامي يوميًا.

فقال الإمام الحسين ﷺ: إذن يا صافي، اجعلني في حلّ من الدخول إلى بستانك.

فقال الغلام متعجّبًا: سيدي، البستان بستانك وأنا خادمك، فلماذا تستأذن منّي؟.

قال ﷺ: وهبتك هذا البستان.

---

(١) جامع الأخبار: ص ١٣٧

قال الغلام: سيدي إنّي أحبّ البقاء معك وفي خدمتك.

قال الحسين ﷺ: بلى وأعتقتك، فأنت حرّ لوجه الله، فقال الغلام: سيدي كما وهبتها لي وجعلتني حرًّا، فإنّي أجعلها صدقة لوجه الله تعالى وأشتغل في إعمارها)(١).

فانظروا كيف يثمر الإحسان للغير، ويتحوّل إلى وهج في عواطفه ومشاعره وسلوكه، ويتحرّك في الناس عطاءً إثر عطاء.

كما ويروي لنا الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ: أنّ الحسين ﷺ، دخل الخلاء، فوجد لقمة من الخبز ملقاة على الأرض، فتناولها ودفعها إلى غلامه وقال: يا غلام ذكّرنيها إذا خرجت، فأكلها الغلام، فلما خرج الإمام الحسين ﷺ، سأله: أين اللقمة؟.

قال: أكلتها يا مولاي، فقال الإمام الحسين ﷺ: إذهب فأنت حرّ لوجه الله.

ثم قال: سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: (من وجد لقمة ملقاة فمسحها وأكلها أعتقه الله من النار، فلم أكن أستعبد رجلًا أعتقه الله من النار) (٢).

ويسجل لنا الإمام الحسين ﷺ أدبًا أخلاقيًّا عاليًا تجاه نِعم الله عزّ وجل علينا؛ لأنّ في قمّة شكر النعمة، هو: احترامها، واحترام النعمة احترام لمنعمها.

علاوة على أنَّ احترام المطعومات من الواجبات الشرعية في الفقه الإسلامي، فلا يجوز ترك المطعوم يتعرّض للإهانة وسحق الأرجل، كما يفعل جملة من الناس، ودونما مبالاة بقدر وشرف النعمة وقدسيتها.

٦-: معقد الشهادة والفداء

إنّ هناك نوعا آخر من أنواع السخاء، بل هو أقصى غاياته وأسمى مراتبه، وهو: سخاء الفداء والشهادة، وهو محطّة الخلود والسعادة، ومعقل المجد في وجود الشهيد؛ لأنَّه يهب البقاء لكلمة الله عزّ وجل والعزّة لرسالته.

لذلك يهبه الله البقاء والخلود مع الكلمة العليا التي اغتذت من دمائه وترعرعت، فأصبحت تأريخًا ممجدًا وصوتًا صادقًا مهيبًا، يملأ الدنيا دويًّا، وموقفًا جريئًا يرعب الطغاة المستبدّين، ويزعزع عروش الظالمين.

ولذلك فإنَّ الحسين ﷺ قد انتزع الخلود انتزاعًا، مع خلود القيم التي مات من أجلها، فنفسه خالدة في نفس كلّ مؤمن، وقلبه ينبض مع قلب كلِّ محبّ، وعقله يتحرّك في العقول التي تصنع حضارة الشعوب، بل أنَّ وجوده باقٍ في وجود الأمّة التي

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة: ٧/ ١٩٢ بتصرف وإيجاز.

(٢) رويت هذه القصة في عوالي اللآلئ ٢/ ١٨٨ منسوبة إلى الإمام الباقر ﷺ ولا يبعد تقدم هذا العمل من قبل جده الحسين ﷺ

آمنت به واستفادت منه واستقامت بهداه، ورسالته قائمة في رسالة الأمّة ومنهجها الذي أرشدها إليه وثبّتها عليه.

فلقد هانت لدى الحسين ﷺ نفسه ودنياه، وعظم في نفسه دينه ورسالته وهداه، ولذلك كانت أوّل كلمة أطلقها في ساحة الطف على مسامع القوم هي في تحقير الدنيا واسترخاص النفس، وتعظيم الحق وإجلال الدين، فقال ﷺ:

(إنّ هذه الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها، فلم يبقَ منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنَّ الحق لا يعمل به، وأنَّ الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّا، فإني لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برما، إنّ الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت به معايشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الدّيّانون)(١).

وفي كلام له ﷺ: (خط الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخيّر لي مصرع أنا لاقيه كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا، فيملأن مني أكراشًا جوّفًا وأجربة سغبًا، لامحيص عن يومٍ خطّ بالقلم)(٢).

ومن هنا امتزجت في موقف الإمام الحسين ﷺ، الكلمة الصادقة الثائرة، التي تحمل روح الاستعداد للتضحية والفداء والتفاني من أجل إحقاق الحق، امتزجت هذه الكلمة بالدم الزكي المتدفق من نحره ومن نحور الضحايا من أهل بيته وأنصاره، فكان هذا الامتزاج سببًا لخلود الموقف وبقاء الثورة.

٧- معقد الاختصاص

لقد اختص الله عزّ وجل الإمام الحسين ﷺ باختصاصات لم تكن لغيره من الأئمة والأولياء.

عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد ﷺ يقولان: (إنّ الله تعالى عوّض الحسين ﷺ من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، و إجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائره جائيًا وراجعًا من عمره)(٣). وقد أجمل السيد صالح القزويني الحلي في عينيته هذه الاختصاصات في ثلاثة ملامح بقوله:

طف بي على مغنى الطفوف وقل له ... مستعبرًا أعلمت من بك مودع

فيك الإمام أبو الأئمّة والذي ... هو للإمامة والمناقب مجمع

(١) بحار الأنوار ٧٥/ ١١٦

(٢)المصدر نفسه/ ٤٤/ ٣٦٦

(٣) الشيخ الطوسي/ الأمالي: ١ / ٣٦٠

مولى بتربته الشفـــــاء وتحت قبّـ تـه الدّعـا مـن كـل داع يسـمع.

أ - جعل الأئمّة في ذريته

علاوة على كونه الإمام وابن الإمام وأخ الإمام، فقد ترشحت من صلبه سلسلة الإمامة في التسعة المعصومين من ولده ﷺ، ولا شك في كون هذا نوعا من أنواع التكريم له من الله عزّ وجل في لوح التخطيط للإمامة.

ب - استجابة الدّعاء تحت قبّته

فمضافًا إلى الشروط الذاتية لاستجابة الدعاء، والتي تعني طهارة نفس الداعي وتوجّه قلبه في المسألة إلى الله عزّ وجل، فهناك أبرز الشروط الموضوعية وهو: أن يكون الدّعاء في البقاع المقدّسة التي تحظى بعناية الله تعالى.

وقد خصّت بقعة قبر الحسين ﷺ بهذا الاختصاص، وأصبحت من البقاع التي يرمقها الله عزّ وجل بعين اللطف والكرامة، ويكلأ من فيها من محبيه وعشّاقه ﷺ بظلال الرّحمة والعناية الوارفة.

به تدرك المرضى بتربتك الشفا ويغدو مجابًا تحت قبتك الدعاء

ولذلك جاء في الزّيارة: (السلام عليك وعلى الملائكة الحافين بقبْرك والشاهدين لزوّارك والمؤمّنين على دعاء شيعتك)(١)..

ج - جعل الشفاء في تربته

واعتبرت من الأدوية الفريدة التي تهضم الداء وتحتم الشفاء، وقد سأل رجل الإمام الصادق ﷺ: سمعتك تقول: أنّ تربة الحسين ﷺ من الأدوية المفردة، وأنها لا تمر بداء إلا هضمته؟، فقال ﷺ: نعم قلت ذلك فما بالك؟ .

قال: إنّي تناولتها فما انتفعت بها، فقال ﷺ: أما أنَّ لها دعاءً فمن تناولها ولم يدع به لم يكد ينتفع بها.

قال: ما يقول إذا تناولها؟ قال ﷺ: (تقبلها قبل كل شيء وتضعها على عينيك، ولا تتناول منها أكثر من حمّصة، فإنَّ من تناول منها أكثر من ذلك، فكأنّما أكل من لحومنا ودمائنا، فإذا تناولت فقل:

(اللهم إني أسألك بحق الملك الذي قبضها، وأسألك بحق النبي الذي حزنها، وأسألك بحق الوصي الذي حلّ فيها، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعلها لي شفاءً من كلّ داء، وأمانًا من كلّ خوف، وحفظًا من كلّ سوء).

فإذا فعلت ذلك، فاشددها في شيء واقرأ عليها: إنّا أنزلناه في ليلة القدر، فإنَّ الدّعاء الذي تقدّم لأخذها هو: الإستئذان

(١) بحار الأنوار: ٩٨ / ٣٦١

عليها، وقراءة إنا أنزلناه ختمها)(١).

د- طول عمر زائره

إذ تزيد رواية محمد بن مسلم عن الصادقين ﷺ على الاختصاصات الثلاثة في الفقرة الأخيرة من النص: (ولا تعد أيام زائره من عمره) كخصوصية أخرى من الخصوصيات التي تعتبر إكرامًا وإعظامًا لهذا الشأن الذي عليه الحسين ﷺ.

وجاء التأكيد على هذه الخصوصية في روايات أخرى كما قال الإمام محمد الباقر ﷺ: (مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين ﷺ فإنّ إتيانه يزيد في الرزق، ويَمُدّ في العمر، ويدفع مَدافع السوء، وإتيانه مفروض على كلّ مؤمن يقر للحسين بالإمامة من الله)(٢).

وقال الإمام الصادق ﷺ: (إنّ أيام زائري الحسين بن علي ﷺ لا تُعدّ من آجالهم)(٣).

وعن أبان، عن عبد الملك الخثعمي، عن أبي عبد الله - الصادق - ﷺ قال: قال لي: (يا عبد الملك، لا تدع زيارة الحسين بن علي ﷺ، ومُر أصحابك بذلك، يمدّ الله في عمرك، ويزيد الله في رزقك، يحييك الله سعيدًا، ولا تموت إلّا شهيدًا، ويكتبك شهيدًا)(٤)

وهكذا تؤكد النصوص على ضرورة الارتباط الدائم مع الإمام الحسين ﷺ، من خلال التأكيد على زيارته ﷺ في عدّة من مناسبات السنة، حتى أصبحت من الخصوصيات البارزة له ﷺ.

هـ - غضب الله على قاتليه

إضافة إلى ما ورد من اختصاص علوّ الشأن للإمام الحسين ﷺ هو: غضب الله تعالى لقتله، وانتقامه أيّما انتقام من أعدائه وقاتليه.

وإن كان غضب الله عزّ وجل لأذى كلّ مؤمن ممّا لاشك فيه، وللعترة الطاهرة على وجه الخصوص، إلا أنّ للإمام الحسين ﷺ شأنا خاصًّا عند الله تعالى، لعظم مظلوميته، وفداحة رزئه، وجليل عطائه.

فقد جاء في تهذيب التهذيب للسيوطي، وفي ذخائر العقبى (أنَّ السَّماء اسودَّت وظهرت الكواكب نهارًا وانكسفت الشمس) وذلك لقتل الحسين ﷺ (٥).

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٤ / ٢٢٩ .
(٢) بحار الأنوار: ٩٨ / ٤.
(٣) المصدر نفسه: ٩٨ / ٤٧.
(٤) المصدر نفسه: ٩٨ / ٤٧ .
(٥) تهذيب التهذيب للسيوطي ٢/ ٣٥٤

وعن جعفر بن سليمان، قال: حدثتني خالتي أم سالم، قالت: لما قتل الحسين ﷺ أمطرنا مطرًا كالدّم على البيوت والجدُر قالت: وبلغني أنّ ذلك كان بخراسان والشام والكوفة)(١).

وعن ابن شهاب قال: (لما قتل الحسين ﷺ لم يرفع أو لم يقلع مدر بالشام إلا عن دم) (٢).

(وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد عن إمام لبني سليمان، عن أشياخ له، قال: غزونا الرّوم فنزلنا في كنيسة من كنائسهم، فقرأنا في حجر مكتوب:

أترجو أمّة قتلت حسينًا شفاعة جدّه يوم الحساب

فسألناهم: منذ كم بنيت الكنيسة؟ قالوا: قبل أن يبعث نبيكم بثلاثمائة سنة)(٣).

ومن خلال تكريم الله عزّ وجل للإمام الحسين ﷺ، وإجلاله له، بما أعطى لرسالة الإسلام والأمّة من التضحية الفذّة بالدم الزاكي.

فقد كرّم الله تعالى محبّيه وعاشقيه والمترسّمين خط الدّفاع عن الرسالة، والآخذين بحجزته في التضحية والبذل والعطاء، بأنواع المنازل والكرامات والعزة، فليكن شعار الأمة في صراعها مع الباطل (هيهات منا الذلة) هذا الشعار الذي رفعه ﷺ صرخة مدوّية في وجه الطاغية يزيد، وصاعقة أحرقت آمال بني أمية باستعباد هذه الأمة، وزلزالًا قوّض دعائم السلطة الظالمة.

(١) محب الدين الطبري – ذخائر العقبى ص١٥٥

(٢) المصدر السابق.

(٣) الهيثمي – مجمع الزوائد ٩/ ١٦٣

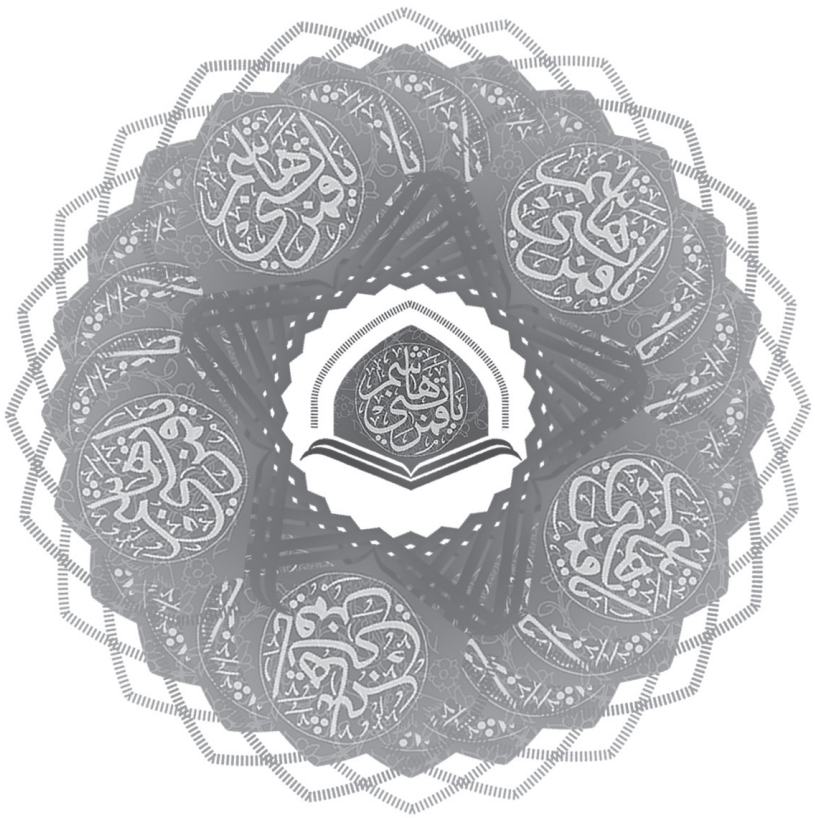

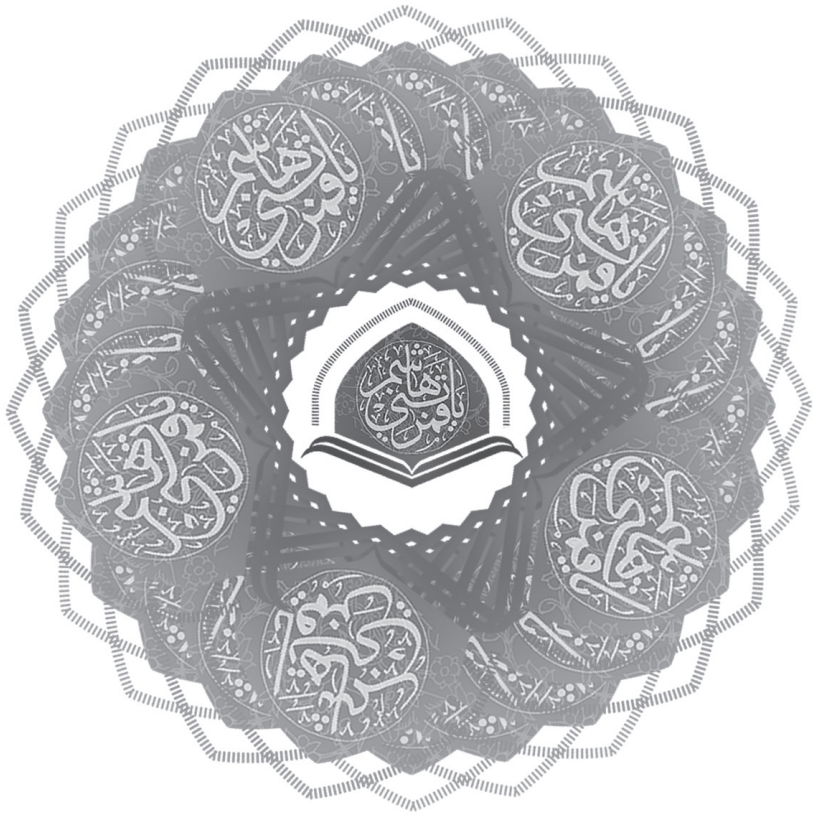

الأهداف الحسينية

السيد إبراهيم الموسوي

إذا أردنا أن نعرف أهداف أية ثورة أو حركة فلابد أن نقرأ شعاراتها ونتعمق في مفاهيمها، وشعارات نهضة الحسين توزعت في الكلمات والبيانات والكتب والرسائل التي بعثها الإمام للأفراد والجماعات وكذلك في الخطب التي ألقاها.

كانت حركة الإمام الحسين ﷺ ونهضته تبعث الدهشة والاستغراب في أوساط المجتمع آنذاك، وحتى المقرّبين من بني هاشم ممن يُؤيدون الإمام.

ولكن الإمام ﷺ كشف أهداف حركته للأمة وأعلن بصراحة عن موقفه المضاد لبيعة يزيد وعن رفضه إعطاء شرعية للحكم الأموي ولعل أهم شعاراته قوله ﷺ «إنَّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمّة جَدِّي... أريد أن آمُر بالمعرُوف وأنهى عن المنكر. فمن قبلني بقبول الحق.. فالله أولى بالحق.. ومن ردّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، هو خير الحاكمين»(١) .

عندما نتأمَّل أبعاد هذا النص ونُحلل الفكرة التي يحملها نجد أنَّ الحسين ﷺ كان يحمل همّ المجتمع الإسلامي هم إصلاح هذا المجتمع ويُعلن هدف ثورته وغاية حركته وهي طلب الإصلاح في أمة جده. الذي بُعث للناس جميعًا... أبيضهم وأسودهم.. وكل أهل الأرض. جده الذي جاء فحقق للأمة الوحدة والعدالة والمساواة وقضى على العبودية والظلم. جده الذي بعث رحمة للعالمين.

كما يُعلن أصول ثورته الإصلاحية؛ فهي أمر بمعروف ونهي عن المنكر.. حتى يصلح أمراض الأمة.. وحتى يكون انسجام الإنسان

(١) بحار الأنوار / ج٤٤ / ص ٣٢٩.

مع الحق.. ونشر المحبّة. وتحقيق العدالة.. والرفاه في المجتمع الذي بات يُعاني من العبودية. ويُنقذ الناس من الولاة والحكام الذين يطالبون الشعب بالبيعة ليزيد على أنهم أقنان وعبيد له. الإمام سحب الشرعية من حكم بني أمية لا بالكلام والخطب والشعارات. بل بحبرٍ جديد من دم الشهادة.(١)

كلمات الإمام الحسين ﷺ مدرسة تُعلم الإنسان كيف يعيش حراً وشعاراته تُعد جامعة لتوحيد الشعوب وإزالة الفوارق في اللون والجنس والعنصُر وتدعُو إلى الحرية، فحياة الذل لا تساوي شيئاً والحل هو طلب الشهادة، بل عشق الموت طلباً للحياة.

سحب البساط من تحت أقدام الطغاة وهز عروشهم، الحسين برفض عبودية الإنسان للإنسان ويعتبر ذلك هو الموت بعينه أمّا الخضوع لله والعبودية لخالق الكون والحياة فهي قمّة الحرية؛ لأنَّها تجعل الجميع سواء، أمام ربٍّ واحد، إله واحد. لا فضل لأحد على أحد إلاّ بالتقوى. فالتقوى مقياس ومعيار الكرامة البشرية. الخضوع لله: حرية؛ لأنَّ من يخضع لله لا يعبأ بأكبر إنسان على وجه الأرض في المقاييس الدنيوية. «عظُمَ الخالق في أعينهم فصغر ما سواه في أنفسهم».

نهضة الإمام الحسين ﷺ ليست لطلب الملك والسلطات والثروة والجاه، لأنَّ الحسين ﷺ على خُطى جدّه رسول الله ﷺ وأبيه علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم.

وسار الحسين ﷺ على خُطى أبيه أمير المؤمنين ﷺ؛ الذي قال: «إمرتكم عندي لا تُساوي ورقة في فم جرادة إلَّا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً»(٢). نهضة الحسين ﷺ من أجل الإنسان أيّاً كان سواء كان مسلمًا أو معاهدًا دمياً، من أي بلدٍ كان وإلى أي أمّ ينتمي؛ لأنَّ الظلم عندما يقع لا يخُصّ المؤمنين وحدهم بل يشمل كل طبقات المجتمع كما حدث زمن بني أمية. لم يكن الظلم يخُصّ بني هاشم وحدهم أو الشيعة فقط. إنّما كل طبقات المجتمع وفئاته باتت تُعاني من سوء معاملة الحكّام.

نهضة الإمام الحسين ﷺ حركة اجتماعية من أجل الإنسان وصرخةٌ في أعماق التاريخ اخترقت حاجز الزمن حتى أسقطت عرش بني أمية وزلزلت عروش كثير من فراعنة الدهر. وأقامت دولاً تنادي بثارات الحسين.

من هُنا نفهم العامل الاجتماعي لحركة الإمام الحسين ﷺ الذي رأى المجتمع أوشك على السقوط في الهاوية فأيقظ النفوس والضمائر، وحرّكَ المشاعر، وأرهف الإحساس بالعزة والكرامة، وجعل الشهادة طريقاً للحرية والعدالة.

الثورات في العالم قدمت عطاءها في مكان وزمان محدودين. وسعت إلى قلب نظام الحكم وتغيير البنى الفوقية للمجتمع.

أمَّا نهضة الإمام الحسين ﷺ فكانت أكبر من ذلك بكثير، وأهدافها أبعد أثراً من ذلك. إنّها ثورة بالمفهوم اللغوي ولكنها

(١) الحسين في الفكر المسيحي/ ص١٢.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١ / ٢٤٦.

لم تكن كذلك بنتائجها وآثارها الخطيرة. إذ كانت زلزالاً دَكَّ عروش الظلم، وما زالت صرخةً في وجه الجبابرة. إنّها سعت إلى تغيير الإنسان ذاته وإعادة المسلم إلى قيمه الحضارية ومنظومته الفكرية التي شوهتها الخلافة الأموية. إنّها ثورة سعت إلى تغيير البنى التحتية للمجتمع، إلى تغيير الأجيال وقلب المفاهيم المنحرفة.

إذ هي خالدة خلود الإنسان الذي قامت من أجله. أولى لأنَّها في إطارها الديني هي أول ثورة سُجِّلت في تاريخ الإسلام وفي تاريخ الأديان السماوية الأخرى، على مستوى المبادئ والقيم العقائدية والدينية.

وإنَّها نهضة رائدة؛ لأنَّها مهّدت لروحٍ ثوريّة، وثورة روحية انطوت عليها صدور المسلمين تذكّرهم في نومهم وقعودهم بمعنى الكرامة، وبمعنى أن يقف المسلم كالطود الصلب في وجه موقظي الفتنة باسم الدين، ورافعي مداميك الشرك والعبث في صرح العقيدة.

فكانت دعوة جادة لنقض هذه المداميك. وهدم دعائم الضلال والوقوف أمام أهداف الدين الذين حادوا عن صراط الشريعة ولعبوا بنواميس وشرائع الدين، وقامروا بكيان الديانة الوليدة تمهيداً لوأدها قبل أن تحبو.

وإنّها ثورة وحيدة؛ لأنها استحوذت على ضمائر المسلمين فيما خلفته من آثار عقائدية ضخمة. فما كان قائماً من ممارسات لدى القائمين على الإسلام والحاكمين باسمه، كان بحاجة إلى هزّة فاجعة. لها وقع الصاعقة آنذاك، ومسرى الحُب في الضمائر بعد أجيال وحقب تالية.

وإنّها ثورة خالدة لأنها إنسانية أوّلاً وأخيراً. انبثقت عن الإنسان وعادت إليه مُجلّلة بالعار، وملطخة بالدم الزكي، ومطهرة بعبق الشهادة وشذاها العطر.

فتطلعت في خاطر المسلم، رمزاً للكرامة الدينية. صفحة بيضاء تشجب أشكال العبودية والرِقِّ والزيف، مُسطّرة بأحرف من نور.

ثورة الإمام الحسين عليه السلام خالدة؛ لأنها أخلاقية. الحسين عليه السلام في سيرته وحياته العملية وحركته ونضاله وجهاده سَنَّ أفضل دستور للأخلاق ابتداءً من العفو عن المسيء والإحسان إلى كل إنسان وسعة الصدر والسخاء والكرم والبذل والعطاء؛ سقى الماء لأعدائه الذين جاؤوا لمحاربته. وقف خطيباً ينصح الناس المُغرّر بهم عسى أن يثوبُوا إلى طريق الحق.

علّم الإنسان كيف يقف أمام أعدائه صامداً وصابراً قويًا لا يتزحزح عن الحق وكيف يجد في الموت عزًا وسعادة ومجدًا حين يكون الموت من أجل الحقِّ والمُطالبة بالعدل، من أجل الإنسان الذي فقد عزَّة وكرامَتَهُ، من أجلِ الإنسانية المُعَذَّبة.

الإمام الحُسين ﷺ ساوى بين أصحابه وأهل بيته. فعندما يستشهد أحد أصحابه يحضره الحسين ﷺ ويواسيه بكلمات تنزل على قلبه بردًا وسلامًا، فعندما استشهد جون مولى أبي ذر وكان في لحظاته الأخيرة جاءه الإمام الحسين ﷺ ووضع خدّه على خدّه بشّره بالجنة ويواسيه ففتح جون عينه وقال: «من مِثلي والحسين واضعٌ خدَّه على خَدي».

الإمام الحسين ﷺ ساوى بين هذا العبد وبين أكبر أصحابه ولم يُفَرِّق بين الأبيض والأسود، الحُر والعبد، صاحبُ الشأن في عشيرته وقومه والمغمور كُلُّهم سواسية كُلّهُم أنصاره وكلهم كرام.

تلك كانت المنظومة الفكرية لنهضة الإمام الحسين ﷺ التي فجَّرها لإنقاذ الإنسان أيًّا كان وإلى أية أمة ينتمي. سجّلها الإمام وكتبها بحبر دمه لئلا تندرس مع تقادُم الأيّام وكَرِّ السنين. فنجدها كتاباً مفتُوحاً نقرأُ فيه، مما سطّره الإمام سيد الشهداء من معاني الحب للإنسانية ومن قُوّة مشاعره تجاه الإنسان الذي بات يُعاني في حياته من الألم، والمعاناة اليومية التي عاشها الإنسان المسلم في ظل حكم جائر.

سجّل الإمام مبادئ ثورته على صفحات التاريخ. سجل أهدافه لتُقال وتكون دستوراً يعمل بها في أي مكان وزمان.

وإذا ما نظرنا إلى هذه النهضة بمنظور اجتماعي ونفساني بحت لوجدنا أنَّ ما أسفرت عنه من أخلاقيات اجتماعية فاقت كل تصوُّر، وأنّها أكثر من أن تُوصف بلسان أو يُعبِّر عنها بقلم؛ لأنَّها خلال بضعة أشهر من قيامها خلقت موجًا هادرًا، وحركة ثورية، وزلزالاً في النفوس، وأثراً هائلاً في القلوب أدت إلى إعادة النظر في الحكم الأموي ومفاهيمه، ومنطلقاته، ومنظومته الثقافية التي جمّدت روح النضال والجهاد في النفوس. وإذا بالثورات تنفجر في أكثر من مكان في عهد يزيد وبعد وفاته وحتى نهاية الخلافة الأموية وسقوطها باسم المطالبة بدم الحسين «يا لثارات الحسين» باسم الحسين ﷺ سقطت الدولة الأموية التي كانت تحكم من حدود الصين إلى إسبانيا وإلى جنوب فرنسا.

نشر بنو أمية ثقافة الخضوع والاستسلام والخضوع للجبابرة الذين تربَّعوا على كرسي الحكم باسم الخلافة الإسلامية باعتبار أنَّهم ورثة الرسول ﷺ فكانوا باسم الدين يميتون روح الكفاح والنضال في النفوس. فكانت ثورة الحسين ﷺ ردّاً حاسماً وصارخًا وعنيفًا على الثقافة الأموية لإيقاظ النفوس، وإحياء القلوب.

حركة الإمام الحسين ﷺ لم تكن ثورة تقليدية تُمثل نزاعًا بين فريقين أو خصومة بين معسكرين من أجل الظفر بمنصب سياسي أو مركز اجتماعي أو الوصول إلى الحكم. إنّما كانت صراعًا بين مبدأين وخُلقين واتِّجاهَين أحدهما يريد سلب المجتمع كرامته وعزّته وكيانه الآخر يريد توفير العزة والكرامة والحرية للمجتمع وتوفير الأمان لكل أفراده لا فرق بين المسلم والمعاهد.

نهضة الحسين ﷺ من أجل المجتمع بكُلِّ فئاته وعناصره واختلاف طبقاته لذلك نجد أنَّ أصحابه فيهم المسلم والمسيحي،

الحُرّ والعبد، رئيس القبيلة وذوو الجاه، والمغمور، الرجل والمرأة. العرب والموالي ولكن نهضة الحسين ﷺ لم تكن تخُصُّ مجتمعاً عاشه الإمام في عصر معيَّن ومكانٍ خاصّ، إنَّما هي ثورة ممتدة، إنّها ثورة اجتماعية لكل العصور التي تشهد الظلم كما شهده المجتمع في العصر الأموي.

إنَّها لا تقتصر على محاربة الحكم الأموي بعينه، إنّما هي ضدّ كل ألوان الانحراف والظلم والابتزاز وسلب كرامة الإنسان إنَّها ثورة اجتماعية لكل العصور؛ لأنَّها تلهب المشاعر والأحاسيس وتوقد شرارة الثورة في القلب، وتُؤجّج نيران الغضب على الجور، وتوقظ الوجدان ضدّ الباطل. إنّها حرارة في نفوس المؤمنين ويستمر ذلك ولا تخبو مع تقادم الأيام وكرِّ السنين.

ألم يقُل رسول الله ﷺ: «إنّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرُد أبداً» نعم، إنَّها لا تبرد أبدًا ولكن لماذا؟ لأنَّها تستمد توهّجها من الحسين الذي أوقدها بزيت أيّامه، وبمبادئه التي أعلنها ضدّ الظلم في كلّ عصرٍ وفي كل مكان، ولو كانت نهضة الحسين ﷺ ضد الخلافة الأموية فحسب لكانت تخبو وتخمد بنهاية العصر الأموي ولم تكن لقتله حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً، إنَّما هي من أجل إصلاح أمة جده وإصلاح المجتمع وإعادة الكرامة إليه أبدًا ودائمًا وعلى مرِّ الأيام وتقادم السنين.

الذين نظروا إلى حركة الحسين ﷺ والذين أرّخُوا لها وكتبوا عنها دروسها من بُعد واحد أو زاوية واحدة وركزوا على جانب الصراع بين الخط الأموي وبين بني هاشم أو بين الخلافة الأموية وشيعة أهل البيت ﷺ، والغالب على الكتابات هو البُعد التاريخي والمظلومية، في حين أنَّ الإمام الحسين ﷺ وإن كان خسر المعركة عسكريًّا ولكنه في النهاية وعلى المدى البعيد انتصر. انتصرت مبادئه وأهدافه. وبقيت كلماته تصُكَّ مسامع الإنسان إلى يوم الشهادة التي أقدم عليها الحسين ﷺ وآل بيته وصحبه الأطهار أصبحت رمزًا للحق والعدل والكرامة. وصار القتيل بأرض كربلاء.. منارة لا تنطفئ لكل مُتطلع باحث عن الكرامة .

من هنا نفهم أنّ قضية إصلاح أمة جده ـ وأمة جده هو المجتمع الإسلامي الكبير الذي عاشه الحسين ـ كانت قضية مخذولة لذلك قام الحسين ﷺ بثورته وما كانت أي طريق آخر للإصلاح غير أن يقدّم نفسه وأهل بيته وأصحابه الأطهار.

الحسين بن علي ﷺ بوجدانه اليقظ وضميره الحي وأنّه وارث الأنبياء ويسير بسيرة جده محمد المصطفى ﷺ وسيرة أبيه علي بن أبي طالب ﷺ لم يبايع يزيد وقال: لا. لا للبيعة بيعة يزيد.

قال: لا للظلم. لا للحكم الذي فرض نفسه بقوة الحديد والنار لا للعصبية القبلية والاستئثار بالمال، لا لمصادرة حريات الشعب، لا للحكم الجائر الذي نشر الفقر والجهل ومنع نشر العلم والتقوى.

كيف يسمح الإمام الحسين ﷺ لنفسه بالسكوت والتفرج على شعب بكامله يعيش الاحتضار والشقاء على يد سُلطة ظالمة فرضت نفسها عليه بدون حق، لا بما أنزل الله، ولا بالشورى والاختيار، وأخذت تمتص دمه وتصادر حقوقه وتسلب كرامته

وتعبث بمقدراته.

لا... لم يسمح له وجدانه.. ولم يرضَ بذلك ضميره، بل صمَّم على الثورة والجهاد دفاعاً عن حقِّ الأمة في الحياة والحرية، وانتقامًا من الظالمين، وليُوقف الطُغاة عند حَدِّهم، وليداوي القلوب ويُحيي النفوس، ويحرك الضمائر، ويهز المشاعر، مشاعر الناس ووجدانهم، فإذا بالحواضر الإسلامية تتحرَّك وتثور ضد الحكم الأموي بعد أن كانت تعيش الخوف والجمود والتراجع.

ثارت الكوفة بعدَ الإمام الحسين، والمدينة ومكة، وبقيت النار تحت الرماد، وبقي لقتل الحسين تأثير هائل في النفوس إلى اليوم وبقيت لدماء الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً.

الإمام الحسين عليه السلام ثار وأعلن سبب ثورته وأهدافها وهي الإصلاح في أمة جدِّه وهي المجتمع الإسلامي الكبير؛ لأنَّ بني أمية استأثروا بالفيء وخيرات الشعب، واستأثروا بحُقوق الناس وبقي الشعب يُعاني من الحِرمان والفقر وهُناكَ أسباب اجتماعية أخرى كتفضيل العرب على الموالي وعدم المساواة في العطاء وإشاعة روح الخضوع والاستسلام في الأمة، ونشر الفساد وإقامة مجالس اللهو والطرب ودور الغناء والمجون حتى في الحواضر الإسلامية العريقة، ففي المدينة المنورة اشتهرت بعض البيوت بالغناء والعزف والمجون، وشاع ذلك في طول البلاد وعرضها، وأهم شيء تخدير مشاعر الأمة، فلم يُعد أحد يأبه بما حلَّ بالعالم الإسلامي من تحويل الخلافة الإسلامية إلى مُلك عضوض ومزرعة لبني أمية ووسيلة وأداة للحكم وقمع إرادة الشعب والعودة إلى ما قبل الإسلام من التناحُر القبلي وتقييم الناس على اعتبارات المال والجاه والثروة، وعادت مفاهيم الإسلام عن الحياة والمجتمع حبرًا على ورق.

كان يهدف الإمام تغيير واقع المجتمع، ونسف مواقع الفساد والانحراف الذي صار يؤطّر الحياة ويهيمن على أجوائها، فلم يكن الفساد محدوداً في جانب معين من جوانب الحياة، بل أصبح ظاهرة اجتماعية وأصبح يعشعش في جميع الحقول. فالمرض الاجتماعي لم يكن في جانب في جسم الأمة ليمكن علاجه بالأدوية والمسكنات وبالخطب الحماسية والمواعظ الأخلاقية وبالحمية، إنَّما المرض أصاب الرأس والقيادة، فالخليفة شارب الخمور، مرتكب الفجور، يفقد أدنى مؤهّلات الحكم والقيادة، وعامله يأخذ البيعة من الناس على أنَّهم عبيد وخول ليزيد ويختم على أعناقهم بذلك.

إنَّ ضعف الدين في النفوس لا يعني أنَّ الناس في ذلك العهد قد تركوا العبادة. فالناس كانوا يصلون الفرائض الخمس ويشهدون الجمعة والجماعة ويصوموا شهر رمضان. ويذهبون إلى حجّ بيت الله. ولكن هذه العبادات قد أفرغت من مُحتواها الروحي والمادي والاجتماعي. وأضحت طقوساً فارغة من المعنى والهدف الذي أراده الله تعالى؛ من إقامة العدل ونشر المعروف ونبذ المنكر ومحاربة الظلم والفساد، وإشاعة قيم الإسلام في الحياة الاجتماعية، وإزاء هذا الوضع المؤلم فلابُدّ أن يكون التغيير عميقاً

وشاملاً في مثل هذا الوضع لا تنفع ألف خُطبة لابد من تضحية. ولابُد من حركة تكون ثورة عنيفة وقوية.

إنَّ مصدر شقاء الأمة ومعاناتها وعذاباتها غير المحدودة هو السلطة الظالمة التي تصادر الحريات وتحكم بالحديد والنار.

وكل إصلاح جُزئي في ظلها محدود الأثر، وأهم عمل تغييري هو كشف زيف الحكام الذين يُغطُّون على أعمالهم الإجرامية بالتظاهر بالدين والتستر بالقُشُور، وأفضل عمل هو كسر هذا الطوق عن أعناق الشعب، وهذا ما يراه الإمام الحسين عليه السلام فقد كتب إلى معاوية يوماً: «وإنّي لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها».

نلاحظ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام يشير إلى الأمة والخطر المحدق بها، الخطر يأتي من الحكم الجائر الذي سلب الأمة حقوقها، ولذلك اتجه الحسين بثورته نحو العروش الحاكمة، وقد رافقت ثورته حملة توعية مُركزة قادها الإمام الثائر لتعرية الحكام وكشف نواياهم وحقيقتهم أمام الأمة.

مَن الغالب ؟

إنَّ حركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته كانت خروجًا على مبادئ يزيد وقيم الجاهلية التي أعادها بنو أمية في المجتمع الإسلامي.

كانت مقاومة مُسلحة رافقتها تضحيات مأساوية فجيعة نادرة في تاريخ الإسلام، ولم تكن حرباً نظامية عسكرية، تستهدف إسقاط النظام للوصول إلى الحكم بل كانت ثورة مفاهيمية وحركة ثقافية اجتماعية هدفها إعادة الوعي الإسلامي إلى الأمة. هذه الحقيقة من الضروري إدراكها لفهم حركة الحسين عليه السلام إذ لم يكن الإمام الحسين عليه السلام يرى أنَّ بإمكان العراق أن يقاوم الشام، ولا أن يصفُو له العراق ولا أن يعمد أهل العراق أمام استبداد بني أمية وحكمهم الذي غصبوه بالقوة والجبروت وسفك الدماء.

إذن لم يكن الإمام الحسين عليه السلام يطلب فتحًا عسكريًّا أو نصرًا سياسيًّا وإنَّما كان يطلب في خروجه إحداث هزّة عنيفة في أروقة الحكم وإثارة إرادة الجماهير وتحريكها للمطالبة بحقوقها، إثارة الضمائر والنفوس والعواطف والعقول بقوّة فعل المأساة المفجعة التي تَحمَّل عذاباتها الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

كانت غاية الإمام الحسين عليه السلام في هذه المأساة المفجعة هي تحريك أفراد المجتمع واختراق المنظومة الفكرية التي أشاعها بنو أمية من قبيل الاستسلام للحاكم الجائر وقبول الأمر الواقع وإلغاء روح الجهاد. وكان هدفه استبدال هذه المفاهيم وإشاعة مفاهيم الإسلام في مقاومة الحاكم الظالم وتحريك المسلمين ضد سلطان لا يقوم على الشورى والعدالة. وكان هدفه النيل من شرعية نظام الخلافة الأموية الذي قام على ابتزاز حقوق الشعب في الاقتصاد والاجتماع والسياسة وإلغاء دور الأمة في الخلافة».

وقد نجح الإمام الحسين في إثارة الرأي العام وعزل النظام الحاكم سياسياً واجتماعياً في أوساط العالم الإسلامي، ولاسيّما في الحجاز والعراق اللّذين كانا يُعتبران حينذاك قلب العالم الإسلامي، وتجريدهم من الشرعية التي كانوا يحرصون عليها كثيرًا وكان توفيق الإمام ﷺ في تحقيق هذه الغايات جميعًا توفيقًا عظيمًا من غير ريب.

من يقرأ الحسين يجده كتابًا مفتوحًا يقرأ فيه كلّ معاني العظمة والنبوغ وانتصار الدم على السيف والدعوة إلى الحق والخير والسلام. وأعداؤه هم الذين خرجوا على القانون، واستباحوا الحرمات، وقتلوا النساء والأطفال والشباب، وهم الذين خسروا الحرب، وباؤوا بالخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة.

ما النصر؟ وما الهزيمة؟

الإمام علي بن أبي طالب عُوتب على التسوية في العطاء فقال: «**أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ والله لا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ ومَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً**..».(١)

الإمام لا يعتبر شراء الذمم والضمائر بالمال إلّا خيانة للأمة وأن النصر الذي يأتي بالظلم والتفرقة في العطاء لا يُعد نصراً إنما هي الهزيمة بعينها.

بنو أمية قلبوا المفاهيم الإسلامية، اعتبروا الجهاد نوعاً من إلقاء النفس في التهلكة وأنّ الاستسلام للجبابرة وحكّام الجور واجب شرعًا، وقتل الأبرياء نصرٌ عظيم، الحسين ﷺ نجح في فضح بني أميّة، وقرن صلاح الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

اختلاف وجهات النظر:

يرى البعض أنَّ ذكرى الحسين في قراءة قصّته التاريخية وفي الحزن على ما أصابه وبالألم لتلك المأساة التي تُدمي كل قلب، بينما هناك مَن يرى أنَّ ذكرى الحسين هي كُل ذلك ولكن ليس صحيحاً أن نقف عند هذا الجانب من حياة الحسين واستشهاده، الحسين ﷺ عاش سبعة وخمسين عاماً.

إنِّي أضَم صوتي إلى أولئك الذين يقولون: يجب علينا أن ننقُل إلى حياتنا قبسًا من حياة الحسين ﷺ، حتى تكون حياته ذكرى دائمة فينا، ذكرى لا تقتصر على يوم واحدٍ أو عشرة أيام من مطلع كل عام هجري، بل تستمر في كل عام ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً هي أيّام العام الهجري.

---

(١) ما أطور به: ما أمر به ولا أقاربه. وما سمر سمير: أي مدى الدهر.

الحسين نهى عن المنكر.. فهل نحن نهينا عن الربا الذي هو متغلغل في حياتنا الاقتصادية وشائع في معاملاتنا التجارية؟ هل سرنا في طريق الحسين في الأمر بالمعروف؛ والمعروف هو كل عمل في سبيل الله، وسبيل الله هو خدمة المجتمع وإشاعة الأمن والرفاه ومساعدة الأيتام والأرامل وعلاج المرضى، وكل عمل يخدم الإنسان يدخل في باب المعروف.

«للعاطفة أثر في حياة الفرد والجماعة لا ينكر، فإنَّ فردًا أو مجموعًا لا عاطفة له ليس كائنًا تام الإنسانية، ولكن للعقل أيضاً جانب لا ينكر، والعاطفة حالة عارضة في الإنسان. ولكن العقل هو القاعدة في السلوك الإنساني».

«وللإنسان جانبان من العاطفة: جانب الحزن وجانب الفرح، ولا شك في أن جانب الحزن أقدر على جمع بعض البشر إلى بعض، ويكفينا مثلاً على ذلك ما نحن فيه من ذكرى الحسين: تلك الذكرى التي يجتمع لها الناس في العالم الإسلامي منذ أربعة عشر قرنًا. ولكن الإنسان يحاول في كلّ أمره أن يكون لكل شيء في حياته جانب عملي نافع».(١)

إذا نحن نظرنا إلى مأساة كربلاء على أنَّها حادث من أحداث التاريخ كحرب البسوس أو كيوم ذي قار أو كمعركة القادسية أو كحصار القسطنطينية فإنَّنا، لا نعدو بمأساة كربلاء أن تكون حادثة من آلاف الحوادث التي مرّت في التاريخ، ويكون الحسين-عليه السلام- حينئذ ـ بهذا النظر القاصر ـ قائد حملة لم يُكتب لها النجاح.

أما إذا نظرنا إلى مأساة كربلاء على أنّها «كلمة حق في وجه حاكم جائر». ثم عزمنا على أن نجعل من تلك الكلمة من الحق علامة في تاريخنا وقدوة في حياتنا، نقف في كلّ قضية لنا كما وقف الحسين قبل كربلاء وبعد كربلاء. فإنَّنا نكون فهمنا ثورة الحسين.

وبعدها الاجتماعي، ونكون قد وضعنا يوم كربلاء في إطاره الصحيح من تاريخ الإسلام، ونكون قد جعلنا من عمل الحسين أسوة لنا ننتفع بها في سلوكنا اليومي وحياتنا الاجتماعية وفي وضع الحلول لمشاكلنا ومعالجة قضايانا.

وإذا لم يكن بإمكاننا أن نتّصف بجميع فضائل أبطالنا في تاريخ الإسلام. أفلا يجدر بنا أن نحاول التأسّي بهم في بعض فضائلهم؟

«وتاريخنا الحاضر ـ وأوضاعنا الاجتماعية ـ بكل أسف ـ بحاجة كل يوم إلى قدوة كالحسين بن علي».

في كل عام يحتفل الملايين من المسلمين بذكرى كربلاء. ويتوجهون إلى مرقد الحسين مشياً على الأقدام رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً ويهتفون باسم الحسين رغم التعرض للحوادث الدامية والقتل.

إنّ حبهم للحسين ولمبادئه ولرسالته يجعلهم على استعداد للتضحية بالنفس لتجديد ذكراه، لأنَّه حي في القلوب، حي في

(١) تجديد في المسلمين لا في الإسلام، د. عمر فروخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩م، ص١٦٨.

الضمائر، حي في وجدان الشعوب ومأساة الحسين تجمع ولا تفرّق تجمع الناس نحو الحق، نحو البطولة والفداء. نحو قيم الإسلام. والبشر عادة أكثر احتفالاً واهتماماً بالمآسي منهم. بسائر الذكريات، ذلك لأنَّ المآسي تجعل الأفراد والجماعات يشعرون بفداحة الظلم وبردِّ الفعل وبروح التحدِّي والعنفوان اتجاه الطغاة. فيحاول كل فرد أن يضُمَّ نفسه إلى فرد آخر في جماعته ليستمد منه قوّة على مجابهة الظلم وتحدّي الأعداء. من أجل ذلك كانت المآسي قادرة على أن تجمع بين طبقات الأمة أكثر مما تستطيع الأفراح.

إنَّ الأحداث الباسمة في حياة الأمم أمور عارضة تمرّ مرًّا سريعًا ثم تنُس وشيكًا: والانتصار على العدو يُغير البناء الفوقي للأمة «النظام السياسي مثلاً» ولكن تبقى النفوس كما هي. لأنَّ البنية التحتية تبقى كما كانت وقد تبقى النار تحت الرماد، فكثير من الذين آمنوا بعد الفتح كان إيمانهم هشًّا. أظهروا الإسلام ولكنّهم أخفوا أحقادهم ينتظرون فُرصة الوثوب وعملوا على نشر مفاهيم الجاهلية وإعادتها من جديد، وخطّطوا للقضاء على الإسلام بمحاربة أهل البيت ومتع نشر العلوم وحاولوا إشاعة ثقافة الجاهلية ولكن تحت عطاء الدين. وتلويث الفكر ممّا يؤدّي إلى أمراضٍ اجتماعية خطيرة منها شلِّ الإرادة والاستسلام لجوّ الإرهاب وقبول الأمر الواقع.

أمّا المآسي، فإنَّها أعمق تأثيرًا في وجدان الأمة، إنَّ المأساة التي تحدث في يوم من تاريخ الأمة تحفر أخدوداً في نسيجها الاجتماعي ويبقى أثرها مستمراً خالداً في سويداء القلب. وحرارة لا تطفأ أبداً، بل تزداد توهّجاً؛ لأنَّ الحسين ﷺ نور، وإنّه مصباح الهدى وسفينة النجاة وإنّه لم يمت بل ازداد حياة.

كان الإمام الحسين ﷺ يعلم منذ خروجه من المدينة أنّه مُقبل على مواجهة كارثة ومأساة مُروِّعة ولكنه ﷺ كان لا يبالي بالرزايا والمحن التي سوف يواجهها ما دامت تُرضي الله تعالى ورسوله وتحقق للأمّة الإسلامية العزة والكرامة ورفض التبعية.

وما دامت ملحمته تكون صرخةً مدوّية في ذاكرة الزمن ضدّ الظلم. كان يعلم أنَّ للحياء ثمناً تقتضيه الحياة نفسها: فالحياة ليست قضاء أعوام معدودة قليلة أو كثيرة على الأرض، ولكنها خطوة بالجماعة في موكب الحضارة، أو زيادة في قوة عوامل الوحدة التي تجمع بعض أطراف الأمة إلى بعض، أو إقامة دليل على صحة مبدأ، ولا يكون بعض ذلك ممكناً أحياناً إلا إذا بذلنا في سبيله أثمن ما في الحياة إذا بذلنا الحياة نفسها.

إني لا أستطيع أن أتناول بالشرح والتحليل أسرار واقعة كربلاء أو المغزى من مأساة الحسين ﷺ، فقد أكثَرَ الكُتّاب والخطباء والشعراء في كلّ وجه من وجوه هذه الحادثة والملحمة الخالدة. وما عسى أن يقول أحدنا بالكلمات وبالجمل وبالخطب والمقالات ما يكون أبين وأوجز وأوقع في النفس وأجلّ في العقل من كلمات الحسين ﷺ ومن تضحياته. من قائد ضحّى بأعزّ ما يملك بنفسه وأهل بيته.

«إذا كانت مأساة كربلاء هي المظهر الخارجي لحياة الحسين ﷺ فما الحقيقة الدائمة التي انطوت عليها تلك المأساة؟

دعنا ننظر إلى حال العرب اليوم وإلى المسلمين عموماً في جميع الأقطار من بلاد العرب والمسلمين. فماذا نرى؟

إنَّ الناظر البعيد يكاد يلمس على كل جانب منّا كربلاء جديدة مُطلّة، ولكنها كربلاء بغير حسين»!(١)

إنّ أوّل ما يفرض علينا احتفالنا بذكرى استشهاد الحسين ﷺ أن لا يقتصر هذا الاحتفال على الجانب الأدبي من الشعر والنثر، بل يحسن أن تضُم إلى هذا الاحتفال الأدبي النظري إصلاحًا اجتماعيًّا عمليًّا. وأوّل هذا الطريق السوي دعوة صالحة إلى الوفاق. إنّ العرب اليوم ـ والمسلمين أيضاً ـ مُمزّقون بالاتجاهات المختلفة التي تُسمّى حيناً سياسية وأحياناً فكريّة وعالميّة.

من الإمام الحسين ﷺ نتعلّم دروس الوحدة والوفاق وإذابة الفوارق الاجتماعية والقبلية.

ما أحوجنا اليوم إلى رجُلٍ يتحلّى ببُعد النظر، وصدق التضحية يجمع شمل الأمة، ويسير على الهدى، ويُسدِّد الخُطى، وينشر السلام، والوئام، فيخرج بهذا العالم من الضياع إلى الحزم، ومن الشتات إلى الاجتماع، ومن الضعف إلى القوة.

ولعلّي لم أحسن القول ولا استطعت التبيان عما يجب أن أسلّط الضوء عليه، وفي كلام البشر عجزٌ عمّا وراء طور البشر.

مأساة الحسين تجمع شمل المسلمين لمواجهة أعداء الله والإنسانية الذين تحكموا بالأمم والشعوب واستغلّوا ثرواتها.

مما نقله السيد جواد شبّر صاحب موسوعة «أدب الطف» إنَّ هناك طائفة من الزنوج في أمريكا، تقيم كلّ عام في شهر محرّم الحرام حفلاً تأبينيًّا إحياءً لذكرى «جَون» شهيد كربلاء، وهم يشعرون بالفخر والاعتزاز أنَّ زنجيًّا خرج مع أبي الأحرار، وجاهد بلسانه وسيفه حتى امتزج دمه مع دماء الأحرار في أرض كربلاء ومع أبي الشهداء الحسين ﷺ. وكأنَّ أولئك الزنوج يستنشقون عبير العطر والياسمين والمسك الفوّاح من جسد صاحبهم «جون» الذي دعا له الحسين ﷺ إذ قال: «اللهمّ بيّض وجهه وطيّب ريحه واجعله من أهل الجنة». فكان لا يمر أحد من جسد جون بعد شهادته إلاّ ويشم ريح الورد بل رائحة الجنة. وكأنَّ قبر جون أصبح في قلب كل زنجيّ أبيٍّ يطالب بالحرِّيّة والكرامة والمساواة في بلد يعاني فيه السود من التفرقة، خصوصاً في المناطق التي يغلب فيها عدد البيض، رغم التقدّم الهائل في الصناعة والتقنية، يعاني السّود عذابات التفرقة في المعاملة.

ديمومة القيم:

مع كل ثورة اجتماعية كبرى وفي ظل كل حضارة جديدة، تتغير جميع العلاقات الاجتماعية، فتظهر أنماط جديدة للأسرة، والحب، وطريقة العمل، والنظام الاقتصادي، وأسلوب الحياة ونمط المعيشة والتبادل الثقافي.

---

(١) تجديد في المسلمين لا في الإسلام، م. س: ص١٤٦ وما بعدها.

«من بين التأثيرات المهمة لعاشوراء هو إعادة طرح القيم في مجالس الحسين من كل عام، والتأكيد من جديد على المودة والإيثار والشهادة، والتحررية، والتديُّن، مما يجعل من عاشوراء والمراسم التي تقام خلال شهري محرم وصفر مصدراً دائماً لضخّ القيم والمبادئ الإسلامية الرفيعة في نفوس الجيل الجديد، جيل الشباب.. ففي كل عام يسمع الملايين أصداء صوت الحسين عليه السلام الهاتف، «إن لم يكن لكُم دين فكونوا أحراراً في دنياكُم». وهو هتاف يطرق أبواب المجتمعات المدنية الصناعية وشبه الصناعية أي أنه القيمة التي كانت من أولى ضحايا المجتمع الغربي. الإيثار هو أحد الأسس الأصلية للأخلاق ومن الالهامات الواضحة لثورة الحسين عليه السلام بينما لا معنى لهذا اللون من القيم الأخلاقية في المجتمعات الحديثة»(١).

من القيم المتكررة الأخرى لذكرى عاشوراء التعارض بين العدل والظلم، والحث على التمرُّد على الظلم عن طريق رمزيّة تاريخ عاشوراء.

إذابة الفوارق الاجتماعية:

أغلب علماء الاجتماع يرون بأنَّ التأثير الأساسي لعامل الدين يتمثل في محو التفاوت الطبقي وخلق التجانُس والتضامن الاجتماعيَّين فمن وجهة نظرة الدين أنَّ جميع الناس متساوون أمام الله تعالى.

ومن ميزات مراسم إحياء ذكرى عاشوراء التي تُلفت النظر وتثير الانتباه لمن يتأمّل فيها قليلاً إنّها يشترك فيها جميع الناس من كل الطبقات الاجتماعية، يشترك فيها الرجال والنساء ويختلط فيها العامل، وصاحب العمل، والفلاح والتاجر، الطبيب والمهندس، أهل المدن وأهل القُرى والأرياف، الرئيس والمرؤوس، العالم والمتعلِّم، الأستاذ الجامعي والطالب دون تمييز بينهم، وفي ظل وضع واحد، ويدفعهم شعور واحد لذلك تتوفّر في هذه المراسم فُرصة ثمينة جداً لإذابة الفوارق الاجتماعية ونشر أجواء التآلُف والمحبّة وهذا الأمر ليس قليلاً في زمن تعدّت فيه وجهات النظر وعمّت الفرقة، وفي زمان ظهر فيه الاختلاف حتى بين أبناء الفرقة الواحدة، وعمّ التنافس على المناصب الحكومية والمراكز الاجتماعية.

(١) علم اجتماع الثورة الحسينية، عماد الدين باقي، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٧م، ص١١٠-١١١.

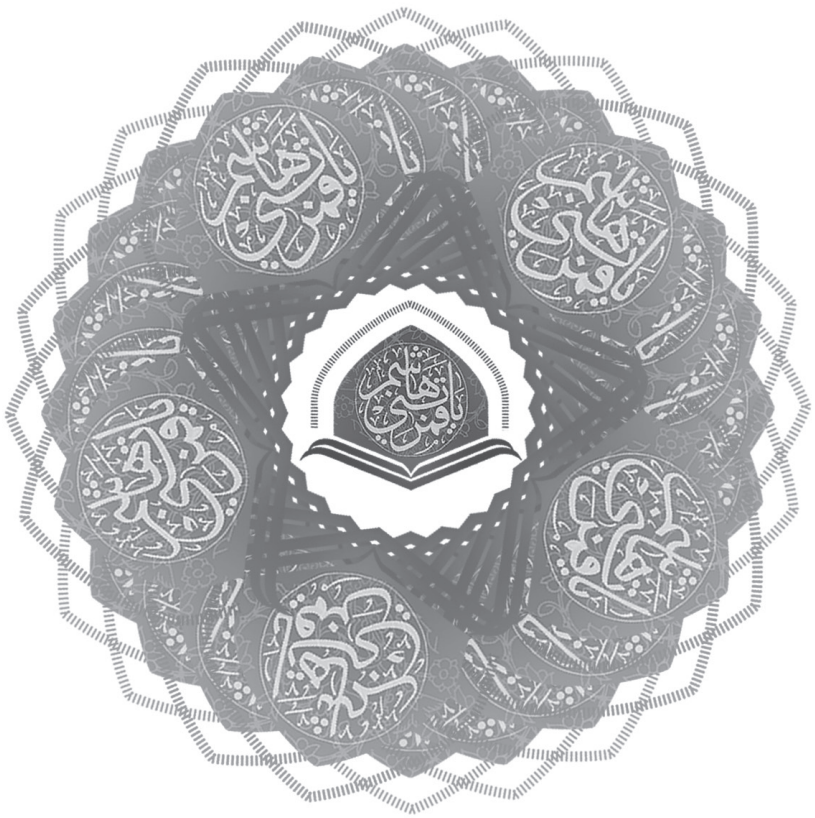

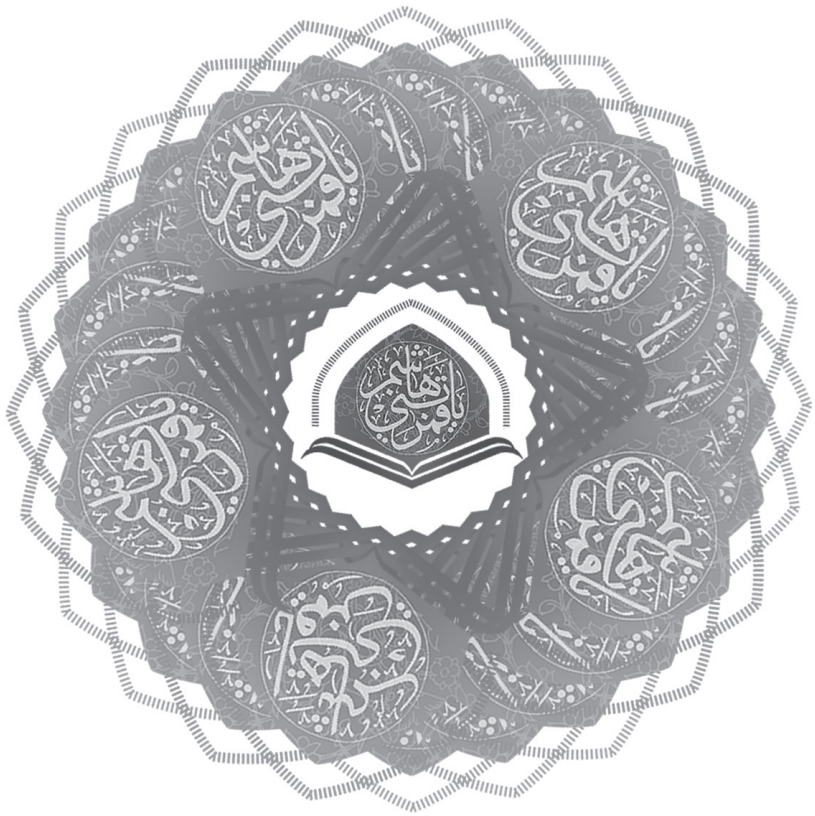

المجتمع الإسلامي المعاصر وحاجته إلى عاشوراء

الشيخ محمد محفوظ

كثيرة هي المعارك والثورات والنهضات، التي اندثر تأثيرها مع الزمن، إلَّا معركة ونهضة الإمام الحسين عليه السلام، حيث أنَّ الزمن يزيد من إشراقها وضيائها.. ففي كل عام يجدد المؤمنون إحياء هذه النهضة، ويستلهم الملايين منها الدروس والعبر.. والذي يتابع حرارة إحياء هذه المناسبة العظيمة، يدرك بعمق أنَّ الزمن وتداعياته، لم يمنع الناس من إحياء هذه المناسبة، فكل المعارك تصغر مع الزمن إلا معركة الإمام الحسين عليه السلام، فإنَّ الزمن يزيد من عظمتها، ويجلي حقائقها وأهدافها وغاياتها النبيلة، وكل الثورات تأفل بأفول القائمين بها، إلا ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فإنَّ القائمين بها، يزدادون عظمة وإشراقًا وتأثيرًا.. وكل النّهضات تتراجع أهدافها وأولوياتها وغاياتها مع الزمن، إلَّا نهضة الإمام الحسين عليه السلام فإنَّ الزمن يؤكِّد أهدافها، وتبقى أولويات الإصلاح والحرية والكرامة هي الشاخصة والسائدة.

فنهضة الإمام الحسين عليه السلام وعبر الحقب الزمنية المتطاولة، هي أم الثورات ومنطلق النهضات ونموذج المعارك الخالدة، والإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه وأنصاره، هم قدوة الثائرين، وأسوة المنعتقين من كلّ الأغلال من أجل العزة والكرامة.. فهم الهداة إلى الحرية في زمن انعدامها وغيابها، وهم أئمة الكرامة في كلّ زمن تمتهن فيه كرامة الإنسان وتسحق مقدّساته، وهم المثل الأعلى في التضحية والعطاء في كلِّ زمن يبخل الناس عن العطاء والتضحية.. فثورة الإمام الحسين هي مستودع القيم والمبادئ الإسلامية، كما أنّها اللحظة التاريخية التي أثبتت بشكل لا لبس فيه أنَّ الدم ينتصر على السيف، وأنَّ الظلم مهما تمادى واستفحل فهو إلى زوال.

أضواء على الإمام الحسين عليه السلام:

عاش الإمام الحسين عليه السلام ثمانية وخمسين عامًا، توزَّعت بالطريقة التالية: ثماني سنوات في حجر رسول الله في المدينة المنورة، ثلاثون عامًا عاشها مع أبيه في المدينة المنورة والكوفة، عشر سنوات عاشها مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام في المدينة المنورة، ما يقارب العشر سنوات عقب استشهاد الإمام الحسن تسلم خلالها إمامة الأمة، قضى منها تسع سنين ونصف في المدينة والستة الأشهر الأخيرة من مسيرته، قضى أربعة منها في مكة بجوار بيت الله، والشهران المتبقيان تصرّما بين المدينة ومكة، والقسم الأعظم منها كان مسير مكة والكوفة وكربلاء، ثم توقّف في كربلاء ثمانية أيام؛ ليستشهد بعدها ظهيرة عاشوراء سنة(٦١) هـ.

والمكتبة الإسلامية اليوم، تضم ما يقارب ٤٩٥٦ كتابًا ومقالًا عن الإمام الحسين عليه السلام على حسب ما استقصاه الشيخ عبد الجبار الرفاعي في موسوعته المسماة «معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت-صلوات الله عليهم-».

أضواء على كربلاء:

١- ذكرت المصادر على أنَّ عدد القتلى في جيش عمر بن سعد بلغ(٨٨) ألف شخص، إلّا الشيخ مهدي الحائري المازندراني، صاحب معالي السبطين، فإنَّه أوصل عدد القتلى إلى(١٥٠ ألفًا). وعدد شهداء عاشوراء يتراوح في المصادر بين(٧٣) شهيدًا أو(١٠٧) من الشهداء، وعلى أكثر الأقوال(٢٣٣) شهيدًا.

٢- عدد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام حال نزوله كربلاء، ٦٩ رجلًا، وارتفع العدد بانضمام ٢٠ رجلًا من جيش عمر بن سعد، فبلغ المجموع ٨٩ رجلًا. وفي كتاب بحار الأنوار وصل عدد أصحاب الحسين إلى ألف راكب ومائة راجل.

٣- عدد الجروح التي أصيب بها الإمام الحسين تراوحت في كتب التاريخ والسيرة من ٦٣ إلى١٢٠ و ٣٢٠ إلى ١٩٠٠ جرح، وأوصل البعض عدد الجراحات إلى ٤١٨٠ جرحًا.

٤- تعدَّدت روايات المؤرّخين، حول عدد الجيش الأموي في معركة كربلاء . وجاء في الكتب أنَّ عدد الجيش الأموي كالتالي:

ألف مقاتل كما جاء في تذكرة الخواص، أربعة آلاف في تاريخ اليعقوبي، وستة آلاف في مناقب آل النبي، وثمانية آلاف في مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، واثنا عشر ألفًا في الدر النظيم، وعشرون ألفًا في الصواعق المحرقة، واثنان وعشرون ألفًا في شذرات الذهب، وثلاثون ألفًا في عمدة الطالب . ووصل العدد في بعض الكتب إلى مائة ألف . ويذهب المتتبّعون المعاصرون إلى أنَّ الأقرب للصحة هو أنَّ عدد الجيش الأموي الذي واجه الإمام الحسين في كربلاء هو ثلاثون ألفًا . ويستندون إلى رواية مذكورة في أمالي الصدوق عن الإمام زين العابدين أنَّه قال: (ولا يوم كيوم الحسين ازدلف عليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنَّهم من هذه الأمة!

كلّ يتقرّب إلى الله عزّ وجل بدمه!! وهو بالله يذكرهم فلا يتّعظون حتى قتلوه بغيًا وظلمًا وعدوانًا ...) (١) .

قيمة عاشوراء:

وقيمة يوم عاشوراء، هو أنَّه اليوم الذي تجلّت فيه كلّ القيم والمبادئ، حيث برزت فيه قداسة الحق وشرف التضحية وخلود العطاء الذي بذله الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه . وقد لا نجد في تاريخ الإنسانية كلها، يوم تجلّت فيه كلّ قيم الخير والعطاء والتضحية من جهة الإمام الحسين عليه السلام وصحبه، ومن جهة أخرى تجلت العنجهية بأبشع صورها والأنانية بكل مخزونها المقيت من جهة الجيش الأموي بقيادة عمر بن سعد . فهو اليوم –القضية –الذي تجسّدت فيه عناوين المعركة الإنسانية عبر تاريخها المديد . [إنّه يوم لم يعرف المسلمون بعد حقه عليهم، ولا واجبهم تلقاءه. وإنَّ الأقدار لم تدع رؤوس أبناء الرسول تحمل على أسنة رماح قاتلهم، إلا لتكون (مشاعل) على طريق الأبد للمسلمين خاصة، وللبشرية الراشدة كافة، يتعلّمون في ضوئها الباهر: أنَّ الحق وحده هو المقدّس . وأنَّ التضحية وحدها هي الشرف. وأنَّ الولاء المطلق للحق، والتضحية العادلة في سبيله: هما وحدهما اللذان يجعلان للإنسان وللحياة قيمة ومعنى] (٢) .

وعليه فإنَّ من أراد الهدى، يجده في عاشوراء، ومن يتطلّع إلى العزّة يجدها مجسّدة في كربلاء، ومن يبحث عن التضحية يكشف أجلى صورها في كربلاء الحسين عليه السلام .

واللحظة العاشورائية، ليست وليدة الصدفة، وإنَّما هي الجواب الرسالي، على عمليات التضليل والهيمنة والاستبداد التي تنخر في جسم الأمة آنذاك، وتستهدف تزييف وعيها، وإخراجها من مقتضيات قيمها ورشدها. والإمام الحسين عليه السلام لم يخرج من أجل مكاسب آنية، وإنَّما خرج لتقويم الاعوجاج ورفع الغطاء عن كلّ القوى والفعاليات التي تعيث فسادًا في جسم الأمة على أكثر من صعيد.

فالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء واجه:

الزيف والتضليل، وأبان أصالة القيم الإسلامية.

وواجه الاستئثار والاستفراد والاستبداد، بعطائه اللامحدود وتضحياته الكبرى والنموذجية.

وواجه الخوف والصمت والهروب من تحمّل المسؤولية بصرخات العزة ومناقب العظماء.

فأعاد للأمة جمعاء عزها ورشدها وعنفوانها الأصيل.

---

(١) موسوعة (مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة)، ستة أجزاء، تأليف مجموعة من المحققين، مركز الدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية، قم المقدسة، ١٤٢٥هـ .

(٢) خالد محمد خالد، أبناء الرسول في كربلاء، ص ٩، الطبعة الثانية، مطبوعات دار الشعب، القاهرة، نوفمبر، ١٩٦٨م .

فكان الإمام الحسين عليه السلام تجسيدًا صريحًا لوصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إليه وإلى أخيه الإمام الحسن حين قال لهما:

[أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، افعلا الخير، وكونا للظالم خصمًا، وللمظلوم عونًا] (٣).

فقيمة عاشوراء تتجلّى في أنَّها اللحظة التي تم الانتصار فيها للقيم والمبادئ الإسلامية والإنسانية، والوقوف بصلابة ضد كل الانحرافات والسلوكيات المسيئة للإسلام والأمة في الحكم والسياسة.

و[لقد واجه الإمام الحسين وضعًا استثنائيًا متردّيًا في الأمة حيث انقلب كل شيء رأسًا على عقب، فإذا بالمنابر قد تحوّلت من وسائل للإرشاد والهداية، إلى وسائل للسب والشتم واللعن، وإذا بالسيوف التي شهرها الإسلام في وجه الكفر، تنقلب لمواجهة أهل البيت عليهم السلام، وإذا بالزكاة التي فرضت لتطهير النفوس وتزكيتها تصرف في شراء الضمائر.كما أنَّ الحاكمين الذين أخذت البيعة لهم عن طريق الإكراه، أو عن طريق الترغيب، كانوا يحكمون باسم رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن هنا فإنَّ معركة الإمام الحسين عليه السلام تحظى بالأهمّيّة القصوى، تمامًا كما إنَّ لمعركة الإمام علي عليه السلام، ومعركة النبي صلى الله عليه وآله أهميتهما القصوى أيضًا.

ذلك لأنَّ الانتصار النهائي للدين، ليس في أن يصبح باسمه حاكمون على وجه الأرض، وإنَّما الانتصار الحقيقي، أن تكون الحاكمية الفعلية للقيم، والمبادئ التي ينادي بها الدين، فما دامت المبادئ والقيم تتعرّض للتحريف والتزييف. فلا قيمة للشعارات، ولا قيمة للإطارات.

والإسلام يجعل المقياس النهائي هو الإيمان والعمل الصالح، وليس مجرد الشعار.

ومن هنا فإنَّ انتصاره النهائي هو انتصار قيمه ومبادئه ومحتواه، وهذا ما كان مفقودًا في الظروف التي ثار فيها الإمام الحسين عليه السلام .

و إنَّ الحسين عليه السلام كجسد قتل قبل أكثر من ألف عام، ولكنَّه كمبدأ، وكقضية، وكرسالة، موجود في كلّ عصر، وفي كل زمان. وثورته لا شكَّ هي ثورة الإنسان، كما أراده الله-تعالى-، وثورة الإسلام كما أنزله الله-تعالى-.

فحينما يتمسّك الإنسان بقيمه، ويحمل مشعل قضيته المقدسة والمشروعة، تتضاءل كلّ الصعوبات، ويزداد إصرار الإنسان بإرادته، على القبض على أهدافه وغاياته النبيلة. ألم يقل علي الأكبر لأبيه حينما سمعه -يسترجع-: يا أبه ! أولسنا على الحق؟ قال: بلى، والذي بيده أرواح العباد. قال: إذن لا نبالي، أوقعنا على الموت أو وقع الموت علينا] (١).

---

(١) أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٧٤، مكتبة الشريف الرضي، قم المقدسة .

هكذا تكون التضحيات، وبهذه النماذج تتحقّق الانتصارات في كل زمان ومكان.

وحينما يكون الجهاد من أجل رفع راية الإصلاح في الأمة، وتحقيق عزّتها، يكون الموت أحلى من العسل. ألم يقل الإمام الحسين عليه السلام [إنّي لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين لا برما] (١).

ويعلّمنا التاريخ [إنَّ كل الذين تقاعسوا عن نصرة الحق، وكلّ الذين برّؤوا الجلاد، وأدانوا الضحية وقعوا في قبضة الجلاد نفسه وصاروا طعمة لسيفه.

فالذين تخاذلوا عن نصرة مسلم بن عقيل في الكوفة، وتركوا لابن زياد فرصة القضاء عليه، هؤلاء قتلوا فيما بعد بسيف ابن زياد نفسه .

فالمهم أبدًا ودائمًا هو الكفاح الإنساني المتواصل، من أجل طرد كل العناصر المسيئة إلى العدالة والحرية والمساواة الإنسانية .

وإنَّ قداسة عاشوراء في ضمير الأمة، هي من قداسة الإمام الحسين عليه السلام والقيم التي رفعها ودافع عنها، وضحى من أجلها . فـ [قداسة الإمام الحسين عليه السلام المثل الأعلى في ضمير ووجدان الأمّة هي التي أسبغت على عاشوراء كلّ هذه القداسة وهذه الرمزية في الزمان . فبه عليه السلام صارت فاجعة عاشوراء (مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيّتها في الإسلام وفي جميع السماوات والأرض)، ولولاه عليه السلام لكانت واقعة الطف بكل ما غصّت به من فجائع أليمة مأساة يذكرها الذاكر فيأسف لها كما يأسف لكثير من وقائع التاريخ الأليمة الأخرى المقيدة بحدود الزمان والمكان] (٢).

فقيمة عاشوراء من قيمة سيد الشهداء، وتضحياته هو وأهل بيته وأنصاره الميامين، ومن الآثار الكبرى التي تركتها هذه الثورة في مسيرة الأمة في أبعاد الزمن الثلاثة . لهذا كشفت عاشوراء عن وحدة وجودية لا انفكاك لها بين الإسلام الخالص وبين الحسين عليه السلام، فصارت الدعوة إلى الإسلام بعد عاشوراء هي عين الدعوة إلى الحسين عليه السلام، وبالعكس، وصارت مواجهة الحسين ومعاداته بعد عاشوراء هي عين مواجهة هذا الإسلام ومعاداته، وبالعكس، وصار بقاء الإسلام بعد كربلاء ببقاء عاشوراء الحسين عليه السلام. فالإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء] (٣). لذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام [يا ابن شبيب، إن سّرك أن تلقي الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام، يا ابن شبيب، إن سرّك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي فالعن قتلة الحسين، يا ابن شبيب، إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا] (٤).

---

(١) السيد عبد الرزاق الموسوي (المقرم)، مقتل الحسين، ص ١٤٤، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة.

(٢) مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، مصدر سابق، ص ٤ .

(٣) المصدر السابق، ص ٥ .

(٤) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، جـ ٤٤، باب ثواب البكاء على مصيبته، مؤسسة الوفاء، بيروت.

لماذا عاشوراء:

إنَّ سفر الحياة المفتوح، يعلّمنا أنَّ البطولات والتضحيات الإنسانية النبيلة، والتي تتجسّد بكلّ معانيها ومستوياتها في كربلاء الحسين عليه السلام، هي عنوان الحضور والشهود، وهي صناعة للتاريخ وفق مقاييس القيم ومتطلبات المثل العليا . فالإمام الحسين عليه السلام بتضحياته وفعله الاستشهادي في سبيل الله والإصلاح في أمة المسلمين، قد كرّس خطًّا جهاديًّا في مسيرة الأمّة ضدّ كل مظاهر الزيغ والانحراف والخروج من ضوابط القيم ومتطلبات الاعتقاد الديني . فالحسين عليه السلام ضرورة لكلّ العصور، لما يجسّده من قيم ومبادئ ومُثل إسلامية عليا.

وعاشوراء الفداء التي سطَّر مفرداتها ثلة من المؤمنين المخلصين، هي التي أمسكت دفّة التاريخ، وتحكّمت بشكل أو بآخر في مسار العديد من ظواهر التاريخ الإسلامي بعد معركة الطف .

فعاشوراء مناسبة تاريخية مستمرة، لاستيعاب دروس التضحية والفداء، وهذا الاستيعاب يتم وفق النظرة العميقة والمنهج الدقيق والقصد الشريف، ولا نعدو الصواب حين القول: أنه ليست هناك مناسبة تاريخية في الدائرة الإسلامية، استطاعت أن تثير الوعي والضمير، والفكر والوجدان باتجاه الخير بكل صوره وأشكاله، بمثل مناسبة عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، ففي هذه المناسبة تنمو نوازع الخير وتخبو نوازع الشر والطغيان، وكل ذلك بفعل الزخم العاطفي والتربوي الذي تحدثه هذه المناسبة العظيمة في نفوس أبناء مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

لذلك فإنَّ الاحتفاء بعاشوراء والاستمرار في إحياء ذكرى الطف وأهوالها، ليس من أجل الانحباس في التاريخ، وإنَّما من أجل أن تأخذ القيم التي نهض من أجلها الإمام الحسين عليه السلام طريقها، وتتبوّأ موقعها في حياتنا المعاصرة، فعاشوراء وفق هذا المنظور ضرورة راهنة؛ لأنَّها مناسبة تاريخية تدفع المجتمع بكل أطيافه وطبقاته وشرائحه إلى التفاعل مع قيم الفداء والتضحية والنبل والوفاء، وما أحوجنا اليوم إلى تلك القيم، التي تغرس في محيطنا الاجتماعي كل موجبات الانعتاق والتحرر من كل رواسب الجاهلية .

فعاشوراء طريقنا لتربية الأجيال وفق قيم الإسلام الخالدة، وسبيلنا إلى تذليل كل العقبات التي تحول دون التفاعل الاجتماعي المطلوب مع تلك القيم والمبادئ .

وملحمة كربلاء تحوّلت إلى رمز وأنموذج للنهضة الأصيلة، التي جمعت في واقعها وعناصرها وعواملها كل شروط الإسلام، ودروس الرسالات السماوية عبر التاريخ .

وكربلاء ليست مدرسة للبطولة الثورية فقط، وإنَّما هي أيضًا، مدرسة لبطولة الإنسان حينما يخرج من ذاته، من شح

نفسه، من حدوده الضيقة، ليملأ الدنيا شجاعة وبطولة. كربلاء مدرسة الوفاء، مدرسة التبتل والتضرع، مدرسة الحب والتضحية، مدرسة العلم والتقوى، بالإضافة إلى أنها مدرسة الجهاد والاستشهاد .

وبالتالي فإنَّ ملحمة كربلاء تحوّلت إلى مسيرة عبر التاريخ، واحتفاؤنا بهذه الذكرى الأليمة، هو في جوهره تعظيم لكل إنسان مسلم يضحّي في سبيل دينه وأمّته، وإلى كل مجتمع يقف ضدّ كل أشكال الزيغ والزيف، وتكريم لكل دم أريق في سبيل الإصلاح والحرّيّة والكرامة .

وبكاؤنا ليس وسيلة للعجز، وحزننا ليس يأسًا وأداءً للانطواء، إنَّما هو أمل يفتح لنا الطريق واسعًا، ويسد أمامنا أبواب الخزي والتخاذل والغرور والخداع الذاتي، وتجديدنا لذكرى الشهداء ليس طريقًا للتعويض بهم عن شهادتنا وعن تضحياتنا . إنَّ بكاءنا تنديد بالظلم، وعويلنا وصراخنا إنَّما هو صراخ الضمير الحر والحي النابض في وجدان أمّتنا، وصراخ النفس الأبيّة ضد العبودية والطغيان، وبالتالي هو وسيلتنا للتعبير عن سخطنا واعتراضنا المغلف بالحزن والأسى على الفساد المنتشر في أنحاء الأرض، وتكريمنا للشهداء معراجنا إلى ذلك المستوى الأسمى الذي بلغه هؤلاء الأبرار .

فعاشوراء مدرسة تربوية متكاملة، نتعلم منها كيف ننتصر على ذواتنا ونصل إلى مستوى الصديقين، وكيف نخرج من جمودنا وسباتنا من أجل الحق والحرية، وكيف نتحمّل كل المكابدات والصعوبات في سبيل الأهداف المقدّسة والمشروعة، وكيف نضحّي بأعز ما نملك من أجل تحرير الآخرين من ربقة الذل والعبودية، إنّها مدرسة انتصار الدم على السيف، ومدرسة الاستغفار والتوبة والقرب إلى الله سبحانه وتعالى عبر الصلاة والدعاء وتلاوة الذكر الحكيم وفعل الصالحات .

فعاشوراء نور عبر التاريخ، ينير لنا دروبنا، وتبلور تطلّعاتنا، ونبراسًا مضيئًا لكل حياتنا، وبفعل التراكم التاريخي تحولت منابر عاشوراء إلى وسائل للدعوة والهداية والإرشاد، وتعميق مفاهيم الدين الحنيف في المحيط الاجتماعي، وزيادة منسوب الوعي الديني والحياتي، فعاشوراء مدرسة متكاملة، تغذي العقل والروح، وتشحذ العاطفة والوجدان، وتوصل التاريخ بالراهن، وتطهّر الضمائر من رواسب الزيغ والتحريف والتبرير، وتبلور للإنسان الموقف والموقع المناسب من معارك الوجود. فحينما ينادي الإمام الحسين عليه السلام في أرض المعركة [والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد] . أو قوله [إنَّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السّلّة والذّلّة، وهيهات منّا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله ...] . أو قوله [ألا وإنَّ هؤلاء قد تركوا طاعة الرحمن، وأطاعوا الشيطان، واتخذوا مال الله دولا، وعباده خولا ...] (١). فإنَّه يرسم نهجًا لكلّ المؤمنين والأحرار، بأنَّ الحرّيّة لا توهب أو تعطى، وإنّما هي تؤخذ وتكتسب بالجهاد والتضحية والفداء. فلا حرية حقيقية بدون جهاد وتضحية، وعاشوراء الحسين عليه السلام تعمق

(١) الخوارزمي (أبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي)، مقتل الحسين، جـ ٢، ص ١٠، دار أنوار الهدى، قم المقدسة .

هذه العلاقة السببية بين التضحية والحرية، بين الإصلاح والعمل والكسب الإنساني، بين الظاهر والباطن، بين اللسان والقلب، بين القول والفعل، فالقيم الإسلامية منظومة متكاملة، تتعاطى مع كل العناصر والدوائر .

وهكذا تعلمنا عاشوراء، إنَّنا بإمكاننا أن نتحوّل من التبرير إلى المسؤولية، ومن الجمود إلى الحركة، ومن الخضوع إلى المقاومة، ومن الانتظار السلبي إلى الفعل الإيجابي، ومن التواكل إلى التوكل، ومن ليس بالإمكان أفضل مما كان، إلى اجتراح الفرادة الذاتية والإبداع .

وعلى المستوى التاريخي والواقعي، تماهت قيم العزة والكرامة والحرية مع السبط الشهيد . فالمطلوب أن نكون حسينيين في عزّتنا وكرامتنا، كربلائيين في حريتنا وعنفواننا . ولهذا فإنَّ الحسين تحوّل من فرد إلى قضية ومشروع، ومن شخص إلى منهج، يجيب عن كلّ التساؤلات والاستفهامات التي تعترض طريق المصلحين عبر العصور . لهذا فإنَّ [الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة] (١)، لذلك نجد أنَّ الإمام الحسين أعلن لأصحابه مساره، وإلى أين يتّجه، فلم يضلل أحدًا، أو يمني أحدًا بجاه أو منصب، وإنَّما أعلن الخروج على يزيد بن معاوية لانحرافه واستهتاره بقيم الدين والشريعة المقدسة .

ففي مكّة وقبيل مغادرتها باتجاه الكوفة، قام السبط خطيبًا وقال [الحمد لله وما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله . خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن منّي أكراشًا جوفا، وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده .. ألا ومن كان باذلًا فينا مهجته، موطنًا على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإنّي راحل مصبحًا إن شاء الله تعالى (٢) .

فالهجرة من مكة لم تكن هروبًا، وإنّما استجابة لدعوة المسلمين وتحمّلًا للمسؤولية، وحملًا للأمانة المقدسة . فالحسين باستشهاده أيقظ ضمائر الناس، وعاشوراء لا تزال تمارس هذا الدور على مرّ العصور .

فالاحتفاء بعاشوراء واستدرار الدموع على أبي عبدالله وأنصاره الكرام، هو احتفاء بالضمير الحي وبالوعي الديني الذي يقف ضد كل أشكال الخروج من ربقة الدين، وهو احتفاء بذلك الإنسان البطل الذي تخلّى عن كل شيء من أجل الدفاع عن دينه ومبادئه المقدسة . [ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا] (٣) .

---

(١) أعلام الهداية، مصدر سابق، ص ١٤٥ .

(٢) مثير الاحزان/ ٢/ ٢٨..

(٣) أبو جعفر (محمد بن جرير بن يزيد الطري)، تاريخ الأمم والملوك (٤ / ٣٠٤)، دار الكتب العلمية، بيروت .

فمن عاشوراء يتم استلهام دروس التصدي والتحدي والاستقامة، ومن ذكراها العطرة ومدرستها الجهادية يتم خروج الأبطال والمضحين بكل ما يملكون في سبيل دينهم وأمتهم .

فعاشوراء مدرسة للالتزام وتعميق عناصر الإيمان في النفس والسلوك، وهي منبر إعلامي عبر التاريخ لفضح الظالمين، وتعرية المتخاذلين والمستسلمين، وبلورة الموقف الرسالي من أحداث الواقع .

وفي خضم التحديات الكبرى التي تواجه الأمة الإسلامية اليوم، نحن أحوج ما نكون إلى مدرسة عاشوراء، وقيمها ومبادئها؛ لأنَّها هي التي تبلور لنا معاني العزة والكرامة . وذلك لأن الإنسان الذي ينتصر على ذاته، وعلى ما فيها من تردد وازدواجية وعجز، ويتغلب على الرهبة من الحياة، يكتشف ما أودع الله عز وجل في كيانه من كنوز، من العقل والإرادة والضمير النابض، إنَّ هذا الإنسان هو القادر على تغيير المعادلات، ومواجهة التحديات، واجتراح الانتصارات والمكاسب .

حاجتنا إلى عاشوراء:

عديدة هي المشاكل والأزمات والتوترات، التي يعيشها الاجتماع الإسلامي المعاصر، ولا علاج ناجع لهذه إلَّا بتوفر إرادة مجتمعية، تتّجه صوب تفكيك موجبات كلّ المظاهر السيئة والأزمات المتلاحقة التي يعيشها الاجتماع الإسلامي المعاصر .

وفي تقديرنا أنَّ قيم عاشوراء، هي روافع الأمة اليوم، للخروج من هذه الأزمات والمشاكل، فحاجتنا إلى عاشوراء تنبع من حاجتنا إلى قيم النهوض والانعتاق من آسار وربقة كل الأزمات والتوترات التي نعانيها على أكثر من صعيد ومستوى، ولا شك أنَّ حاجتنا ماسة اليوم لاستلهام الثالوث القيمي التالي من مدرسة كربلاء وأحداث الطف الأليمة:

١-الكرامة الإنسانية:

فعاشوراء الحسين عليه السلام تربطنا ارتباطًا جوهريًّا بقيمة الكرامة، وتعلّمنا أنَّ الإنسان أو المجتمع الذي تمتهن كرامته وتهدر حقوقه الإنسانية عليه العمل والسعي والجهاد لإزالة الذل وصيانة الكرامة الإنسانية والمحافظة على حقوق الإنسان .

لذلك نجد أنَّ الإمام الحسين عليه السلام يخاطب أعداءه قائلاً لهم [والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد](١) .

فالإنسان المسلم ينبغي له أن لا يقف موقفًا سلبيًّا لا أباليّا تجاه أي طرف يمتهن كرامته ويدوس مقدساته وينتهك حقوقه، وإنَّما عليه اتخاذ الموقف الإيجابي الذي يتجسّد في صناعة الوعي الذي يدفع الجميع إلى المطالبة بكرامتهم المسلوبة، والعمل بكل

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين، مصدر سابق، ص ٣٥٨ .

الطاقات والإمكانات لإعادة الحقوق المستلبة .

فعاشوراء الحسين عليه السلام ليست حبيسة الماضي، وإنَّما تطل على الإنسان المسلم بقيمها ومبادئها ومثلها وآفاقها ودروسها وجهادها ودمائها على حاضر الإنسان؛ لكي تدفع الراهن نحو التشبّث بالكرامة الإنسانية حتى لو تطلّب الأمر التضحية بالنفس في سبيل صون الكرامة الإنسانية؛ وذلك لأنَّ صون الكرامة الإنسانية من أهداف الدين وغاياته العليا التي ينبغي المحافظة عليها، وخلق الوقائع المجتمعية التي تحميها وتطوّر آفاقها في الواقع الاجتماعي . فقد قال الله -تعالى- [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا](١).

كما أنّ مدرسة كربلاء تعلّمنا أن صون الكرامة الإنسانية بكلّ متطلّباتها وآفاقها بحاجة إلى الدفاع المستميت عنها، والجهاد الدائم من أجل صونها، وغرس الوعي اللازم لممارستها . فحاجتنا إلى عاشوراء الحسين تتجسّد في حاجتنا إلى قيم الكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان فهي سبيلنا لتعلم هذه القيم، وغرسها في نفوس أبناء مجتمعنا، وعقد العزم على اعتبارها من أولويات وجودنا الإنساني، الذي ينبغي أن نعمل ونجاهد من أجل تحقيقها وصونها في واقعنا المعاصر .

لذلك نجد أنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم ترهبه الكثرة المدججة بالسلاح، ولم تهزمه الحشود البشرية التي تجمعت إلى قتاله، وإنَّما جميع هذه المظاهر زادته عزيمة على صون كرامته والدِّفاع عن مقدَّساته وقيمه العليا .

ما تعلّمنا إيّاه مدرسة عاشوراء، أنّ صون الكرامة الإنسانية مطلب ديني وحضاري وإنساني، وينبغي أن ندافع عن هذه القيمة بكلّ ما نملك من إمكانات وطاقات . فالمطلوب دائمًا أن نشعر بعزّتنا وكرامتنا، وندافع عنهما بالكلمة والوعي وخلق الوقائع المعبّرة عن هذه القيم، والاستعداد الدّائم بكل مستوياته للدفاع عنهما، فعاشوراء تعلّمنا ضرورة أن نكون أكثر شفافية تجاه كرامتنا الإنسانية وعزّتنا الدينية، حتى لا نسمح لأي طرف أن ينتقص من كرامتنا أو يذوّب جزءًا من عزّتنا .

والكرامة الإنسانية هي بوّابة الحرية، إذ لا حرية لمن لا كرامة له، أي أنَّ الكرامة الإنسانية هي التي تدفع الإنسان إلى دفع ثمن الحرية، وهي التي تجعله يدافع عنها ويحميها من كل المخاطر والشرور . لذلك نجد أنَّ الإمام الحسين عليه السلام يؤكّد على قيمة الكرامة والعزّة، ويحث القوم إلى استعادتهما والانعتاق من ربقة الذل والمهانة؛ وذلك لأنَّ الإنسان الذليل لا يستطيع أن يحافظ حتى على حقوقه الشخصية فضلاً عن حقوق الأمة، وعاشوراء الحسين عليه السلام تغرس في نفوسنا جميعًا الاستعداد التام للدفاع عن كرامتنا وعزّتنا .

والأمة التي تمتهن كرامتها، ترتهن إرادتها، بمعنى أنَّ الأمة التي تهان كرامة أبنائها، ويداس على قيمها ومبادئها، ولا

(١) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٧٠ .

تحرك ساكنًا ولا ترفض الظلم والضيم، فإنَّ هذا الامتهان هو البوّابة الكبرى لدخول الأمة جمعاء في براثن التبعية والذيلية وارتهان إرادتها واستقلالها وقرارها لصالح العدو الحضاري للأمة، لذلك فإنَّ الدفاع عن الكرامة، هو دفاع عن استقلال الأمة ومستقبلها. فامتهان الكرامة، يعني المزيد من الإخضاع والتركيع، والوقوف بوجه كل المحاولات التي تستهدف النيل من كرامة الأمة وعزّتها، يعني الوقوف ضدّ كلّ من يحاول تحريف مسيرة الأمة وتزييف قناعاتها وسرقة جهودها وجهادها، والعمل الجاد ضدّ كل محاولات الارتهان والتبعية بكلّ صورهما وأشكالها .

لذلك فإنَّ امتهان كرامة إنسان، دون التصدي لعملية الامتهان والتحقير، يعني على المستوى العملي، انتقال هذا الامتهان إلى الجميع؛ وذلك لأنَّه من يجرؤ على امتهان كرامة إنسان، فإنّه سيستمر في جرأته إذا لم يردعه رادع لتطال كل المجتمع والأمة . قال -تعالى- [مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ](١).

٢- الحرية:

الحرية في الرؤية الإسلامية، ليست بعيدة عن مرجعية التوحيد، وإنَّما هي منبثقة من هذه المرجعية، وهي التي تعطي للحرية معنى وهدفًا وتشريعًا .

والشرك العقدي أو السياسي يعيق من انطلاقة مقولة وفكرة الحرية ويضيف لها أبعادًا ومضامين مناقضة للمفهوم الجوهري للحرية .

لهذا فإنّ جميع المصلحين عبر حقب الزمن المتطاولة، ينادون بالحرية، ويعملون من أجل تجسيدها في الواقع الخارجي .

وإنّ الحرية كقيمة فردية ومجتمعية، بحاجة إلى من يدافع عنها، ويبشّر ببركاتها .

والإمام الحسين عليه السلام حينما رأى الاستئثار والاستبداد وتكميم الأفواه وإفساد حياة المسلمين السياسية، وقف في وجه هذه الممارسات، معلنًا بصوت صريح معارضته لتولّي شؤون الأمة [يزيد بن معاوية] وهو الذي قال في حقّه سيد الشهداء عليه السلام [... إنا بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، وقاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أيّنا أحق بالبيعة والخلافة] (٢).

وحينما تمادى الطغاة في فسادهم وانحرافهم، ضحّى الإمام الحسين عليه السلام بكلّ ما يملك في سبيل حرية الأمة وصون مقدساتها

(١) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية ٣٢ .

(٢) الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، جـ ٤٤، ص ٣٢٥، مؤسسة الوفاء، بيروت .

وكرامتها.

وكما نعلم جميعًا فإنَّ الإنسان الذي لا يتمتع بالحرية، لا يستطيع إنجاز عدالته، كما أنَّ الإنسان الذي يعيش واقعًا اجتماعيًا بعيدًا عن العدالة وتسوده حالة الظلم فإنَّه لن يستطيع أن يدافع عن حريته ويجذرها في واقعه العام . فلا حرية بدون عدالة في كل المستويات، لذلك فإنَّ رفض الظلم بكلّ صوره ومستوياته، والوقوف بوجه الظالمين هو بوّابة إنجاز مفهوم الحرية في واقع المسلمين .

من هنا ندرك طبيعة الحركة التي أقدم عليها سيد الشهداء عليه السلام، فهو رفض الظلم ووقف بوجه الظالمين، وضحّى بكلّ ما يملك في سبيل رفع الظلم عن الأمّة .

وتعلّمنا عاشوراء أنَّه لا حرّيّة بدون أحرار، ولا ديمقراطية بدون ديمقراطيين، وإنَّ كل حرية بلا أحرار هي حرية شكلية، وأنَّ كل ديمقراطية بدون ديمقراطيين هي شكلية أيضًا .

وإنّ حجر الزاوية في مشروع الحرية، هو وجود الإنسان الحر، الذي يترجم قيم الحرية، ويدافع عن مقتضياتها ومتطلّباتها .

لذلك نجد الإمام الحسين عليه السلام يصرخ في وجه أعدائه [يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرارًا في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عربًا كما تزعمون] (١) .

فالحرية كممارسة، ليست خطابًا يلقى، أو ادعاءً يدّعى، وإنّما التزام وتضحية وإرادة إنسانية صلبة تتّجه نحو التمسك بالحرية ومقتضياتها. وحيث تتوفّر الإرادة الإنسانية المتجهة صوب الحرية، تتحقّق بذات القدر حقائق الحرية. فحجر الزاوية في مشروع ممارسة الحرية، هو الإرادة الإنسانية، وهذا بطبيعة الحال بحاجة إلى تربية وتأهيل وتدريب واستعداد نفسي تام للقيام بكلّ مقتضيات الحرية .

وعاشوراء الحسين عليه السلام، هي أحد المدارس الكبرى التي نتربّى فيها على قيم الحرية ورفض الظلم ومقاومة الظالمين، وتحمل كلّ الصعاب في طريق إرساء قيم الحرية في واقع العرب والمسلمين .

وكما قال الإمام الصادق عليه السلام [إنّ الحر حر في جميع أحواله، إن نابته نائبة صبر لها، وإن تداكت عليه المصائب لم تكسره، وإن أسر وقهر استبدل بالعسر يسرا، كما كان يوسف الصديق الأمين، لم يضرر حريته إن استعبد وقهر وأسر] (٢).

(١) مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص ٤٢١ .
(٢) حسين بن محمد تقي النوري، مستدرك وسائل الشيعة (٦٨ / ١٢)، مؤسسة آل البيت، بيروت .

فالإنسان الحر هو الذي يقاوم كل المعادلات الظالمة، ولا يخضع لها، وهو الذي يعمل ويكافح ويجاهد من أجل بناء حقائق الحرية في فضائه الثقافي والاجتماعي والسياسي .

ومن كربلاء أرض البطولات والتضحيات، نستلهم كل معاني الإباء والحرية . ومن عاشوراء ننطلق في سبيل الدفاع عن حرّيّتنا وعدالتنا وكلّ حقوقنا المشروعة .

وكل الرّايات التي حملت لواء الحرية، وطالبت بنبذ الظلم ومقاومة الظالمين، استلهمت قيم عاشوراء، واستندت إلى عنفوان كربلاء، وتمسّكت بمعادلة أنّ الدم ينتصر على السيف، فروح الحرية حينما تسري في قلب وعقل الإنسان، فإنّها تجعله طاقة خلاقة، قادرة على مواجهة كل الصعاب، ويمتلك الشجاعة المادية والمعنوية، للتعبير عن قناعاته ومواقفه والدفاع عنهما والتضحية من أجلهما .

فهذه الروح حينما سرت في قلب وعقل [قيس بن مسهر الصيداوي] إذ أمره سيّد الشهداء أن يسير إلى مدينة الكوفة وهو يحمل كتابًا مختومًا من الإمام .

إذ تقول كتب السيرة الحسينية [فمضى قيس إلى الكوفة، وعبيد الله بن زياد قد وضع المراصد والمسالح على الطرق، فليس أحد يقدر أن يجوز إلا فتش، فلمّا تقارب من الكوفة قيس بن مسهر لقيه عدو الله، يقال الحصين بن نمير السكوني، فلمّا نظر إليه قيس كأنَّه اتقى على نفسه، فأخرج الكتاب سريعًا فمزّقه عن آخره . فأمر الحصين أصحابه فأخذوا قيسًا وأخذوا الكتاب ممزّقًا حتى أتوا به إلى عبيد الله بن زياد . فقال له عبيد الله بن زياد: من أنت!؟

قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين الحسين بن علي.

قال: فلم خرقت الكتاب الذي كان معك ؟

قال: خوفًا حتى لا تعلم ما فيه !

قال : وممن كان هذا الكتاب وإلى من كان !؟

فقال: كان من الحسين إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم !

قال: فغضب ابن زياد غضبًا، ثم قال: والله لا تفارقني أبدًا أو تدلني على هؤلاء القوم الذين كتب إليهم هذا الكتاب أو تصعد المنبر فتسب الحسين وأباه وأخاه فتنجو من يدي أو لأقطعنك .

فقال قيس: أما هؤلاء القوم فلا أعرفهم، وأما لعنة الحسين وأبيه وأخيه فإني أفعل .

فأمر به فأدخل المسجد الأعظم، ثم صعد المنبر، وجمع له الناس ليتجمّعوا ويسمعوا اللعنة فلما علم قيس أنَّ الناس قد اجتمعوا وثب قائمًا فحمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على محمد وآله، وأكثر الترحم على علي وولده، ثم لعن عبيد الله بن زياد ولعن أباه ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم ثم دعا الناس إلى نصرة الحسين بن علي .

فأخبر بذلك عبيد الله بن زياد، فأصعد على أعلى القصر، ثم رمي به رأسه فمات رحمه الله(١) .

فروح الحرية إذا سرت في قلب إنسان، فإنه يواجه كل المعادلات الظالمة، ويملك الاستعداد النفسي التام للتضحية والفداء من أجل مبادئه وقيمه العليا .

ووظيفة عاشوراء أنَّها تجدّد عهدنا باستمرار بهذه القيم الخالدة، وتدفعنا عبر إحياء الشعائر الحسينية إلى تجسيد هذه القيم والانطلاق في رحاب العمل للدفاع عن قيمنا وحرّيّتنا وكرامتنا .

٣-الإصلاح:

إذ أعلن الإمام الحسين عليه السلام ومنذ انطلاقته إلى كربلاء أنّه لا يستهدف إلَّا الإصلاح في أمّة جدِّه، فهو كما يقول [لم أخرج أشرًا ولا ظالمًا وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدِّي آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين](٢).

فحينما يسود الفساد السياسي، وتتعمّق في الأمة ثقافة التضليل والتجهيل، ويستبعد الأخيار والمصلحين من المشاركة في الحياة العامة، حينذاك تزداد الكوابح المانعة للتطور والتقدم، وتتراكم عناصر التأخّر والتخلّف، وتبرز أهمية العمل لإصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية، فليس مطلوبًا من العلماء والفقهاء والمثقفين، التفرج على عملية الانهيار والتراجع السياسي والحضاري، وإنَّما المطلوب هو عقد العزم لبلورة مشروع إصلاحي، ينتشل واقع المجتمع والأمة من وهدة التخلف ودهاليز الانحطاط.

وهذا ما تعلمنا إياه عاشوراء، فالصمت والانزواء والهروب من مسؤوليات الراهن، ليس هو الخيار الأصيل الذي ينقذ الأمة ويخلصها من براثن الاستبداد والاستئثار .

كما أنَّ الخوف من المواجهة، لاعتبارات خاصة أو ذاتية، لا يزيد الأمور إلَّا سوءًا واستفحالًا، ويبقى المطلوب هو تحمّل المسؤولية والانخراط في مشروع الإصلاح ودعوة جميع الفعاليات والتعبيرات للمشاركة في خيار الإصلاح والدفاع عن رموزه

(١) مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، مصدر سابق، ص ٧٦،٧٧ .
(٢)أعلام الهداية، مصدر سابق، ص ١٣٢ .

وشخصياته، وتعميق هذا الخيار والمشروع ثقافيًا واجتماعيًا .

وحاجتنا إلى عاشوراء، تنطلق من حاجتنا الدائمة إلى إصلاح أوضاعنا، وتطوير واقعنا، ومهمتنا المعاصرة هي أن نحوّل عاشوراء إلى مناسبة مجتمعية وإنسانية لتعميق قيم الإصلاح والحريات الدينية والفعل الإصلاحي المتواصل الذي يتجه إلى طرد أسباب الانحراف وموجبات الخروج من الجادة.

وإنَّ النهضة الحسينية كانت من أجل خلق أمة الإصلاح والكرامة والعدالة، فرفعت الراية ضد الظلم والانحراف؛ لأنَّهما (الظلم والانحراف) يهددان كرامة الإنسان ومفهوم العدالة ويعرقلان مشروع الإصلاح الدائم في الأمة .

وعبر التاريخ الطويل، انشغل أئمة أهل البيت عليهم السلام وأنصارهم وأتباعهم للدفاع عن الإسلام والأمة وأهدافهما العليا، وقدّموا في سبيل ذلك –ولا يزالون– الكثير من الشهداء والتضحيات من أجل إعلاء كلمة الحق وإرساء دعائم الحرية والعدل في المجتمع الإنساني .

ولا يمكن أن يحمل عبء الدعوة إلى الحق والكرامة من أَلِف الخضوع إلى الظلم والظالمين . فإنَّه لا يدعو إلى العزة إلَّا الأعزاء، ولا إلى الكرامة إلَّا الكرماء، وثورة عاشوراء جاءت من أجل صون الكرامات ووقف الانهيار الخطير الذي أصاب الأمة آنذاك على جميع الصعد والمستويات، فالطغاة دائمًا يسارعون في الذل والهوان وإماتة الهمة.

والإمام الحسين عليه السلام بثورته، حاول أن يبث روح العزة والكرامة وإسقاط كل مشاريع التخويف وألفة الخضوع للظالمين، ولولا نهضة الإمام الحسين عليه السلام التي أمدّت الأمة عبر الأجيال بزخم الرفض للظلم والظالمين؛ لأرهق الأمة ذل الطاعة للطغاة، وحينما يلتزم الإنسان بقيم الكرامة والعزة والإباء، تتحول الوسائل المادية التي يمتلكها إلى وسائل فعالة وذات تأثير عظيم، كما أنَّ الإنسان ضعيف الإيمان وخائر القوى والإرادة، وفاقد معنى البسالة والشجاعة، لا يستطيع أن يستفيد من كلِّ إمكانات الدنيا، بل قد تكون نقمة عليه، وذلك؛ لأنَّه لا يحسن التعامل معها .

فمربط الفرس في كلِّ هذه الأمور، هو الإنسان نفسه، لذلك نجد أنَّ عاشوراء اتجهت إلى الإنسان ذاته، وحوّلته إلى طاقة خلَّاقة، وبفعل الإيمان العميق بقضية الإسلام والعزة والكرامة، تحوّلت إمكاناتهم المحدودة إلى إمكانات ضخمة على مستوى التأثير والتداعيات؛ لذلك نجد وعبر هذه السنين المتطاولة، أنَّ لكربلاء وهجها الدائم، ولعاشوراء منطقها الثابت، وللإمام الحسين عليه السلام سفينته وموكبه المتواصل، ولأصحابه الكرام تأثيرهم الخالد .

فالإنسان المؤمن بربّه وقضيّته، لا يخضع للمعادلات الظالمة، وإنَّما يسعى بكلِّ إمكاناته وقدراته إلى تغيير هذه المعادلات، وإرساء معالم جديدة قوامها العدالة والكرامة الإنسانية، فالإنسان هو القيمة الكبرى التي جاءت جميع الأديان السماوية للحفاظ

عليه وإسعاده وإبعاده عن كلِّ ما يشينه أو يدخله في أتون الشقاء والمعصية. وعاشوراء الحسين عليه السلام جاءت في هذا السياق، وقاومت الظالمين من أجل الحفاظ على كرامة الإنسان ومنع استلابها وتزييفها، فالفئة المؤمنة التي تحمل لواء الحق وتضع أرواحها على أكفها فداءً له هي الفئة القادرة –حتى ولو سفك دمها– على تعمير الأوطان بالسعادة والحرية، وهي التي تمنع الانهيار، وتبقي وهج العزة حيًّا ونابضًا في قلب الإنسان فردًا وجماعة، فالإنسان الذي يحمل الإيمان في قلبه ويملك الاستعداد التام للدفاع عنه بكل ما يملك، ولا يبحث في جهاده إلَّا عن تحقيق الحرية وصيانة الكرامة الإنسانية، فإنَّه يمتلك القدرة على التأثير في الحياة، أكثر مما تملكها الجيوش الجرارة والمعدات العسكرية المتطورة التي يقودها أو يعمل عليها من هو أسير نفسه وسجين أهوائه وغرائزه ونزواته الشيطانية .

فعاشوراء وملحمة الإمام الحسين عليه السلام، هي التي تبنّت في النفوس فكرة البطولة والتضحية بأجلى صورها وأسماها طلبًا للعدالة، ورفضًا لمنطق الطغيان والاستبداد، ودفاعًا عن الكرامة الإنسانية.

وإنَّنا نرى أنَّ حاجتنا إلى عاشوراء، تتجسّد في حاجتنا إلى قيم الكرامة والحرية والإصلاح، ونرى أنَّ هذه القيم، هي القيم العليا التي وجّهت نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

لذلك نهيب بخطبائنا الكرام دائمًا، أن يعمقوا هذه المفاهيم في نفوس المستمعين، وأن تكون موضوعاتهم ومحاضراتهم في سياق صيانة كرامتنا ونيل حريتنا والإصلاح في واقعنا المعاصر، وبهذه القيم تكون عاشوراء بحق ملحمة إنسانية وحضارية، تساهم بشكلٍ دائم في تطوير الواقع الإنساني على مختلف الصعد والمستويات .

الخاتمة

(١)

المجتمعات الإنسانية جمعاء، بحاجة دائمًا إلى دوافع روحية وثقافية وسياسية، لإزالة سيئات الواقع أو إصلاحه وتطويره ..

وعاشوراء بما تحتضن من قيم ومبادئ وشعائر متعددة، هي من المواسم الدينية الهامة، التي تشكل رافعة روحية وثقافية واجتماعية وسياسية في آن ..

ففي عاشوراء ولاعتبارات قيمية وموضوعية، تبرز نوازع الخير، وتتجه النفوس والعقول للمشاركة في الأنشطة الدينية والاجتماعية .. لذلك نستطيع القول وبدون مبالغة، إنَّ موسم عاشوراء، هو من المواسم النموذجية للأنشطة الدينية والخيرية والتطوعية في المجتمع .. حيث تحتضن عاشوراء العديد من المفاهيم التي تتجه في كلِّ عناصرها ومفرداتها إلى:

١- نقد بعض المظاهر السيئة في الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي، والعمل على تفكيك موجبات وحواضن هذه المظاهر ..

٢-بلورة المعالجات السليمة، التي تساهم في إخراج المجتمع من تداعيات تلك المظاهر السيئة ..

ولذلك عمل الإعلام الأموي ومنذ معركة الطف، إلى تصوير معركة كربلاء بوصفها فعلًا انشقاقيًا في الأمة ..

ولكن في حقيقتها هي الفعل التَّوحيدي المتميز الذي حافظ على قيم الدين بدون تزييف وتضليل، وحدَّ من تغول السلطة الأموية على الأمة ..

وهكذا الحركات الإصلاحية في الأمة، قد لا تصل إلى كل أهدافها وغاياتها، ولكن وجودها في الأمة ضرورة من أجل صيانة قيم الأمة، ومنع تغول السلطة أو الدولة وإلتهامها لكلِّ شيء ..

(٢)

عديدة هي مبررات ومسوغات الخروج على الظلم والجور، ولكن عمدة هذه المسوغات، هو أن الظلم والاستبداد يشرع لأبناء الأمة مقاومة هذا الظلم بالوسائل المتاحة ..

ما قامت به السلطة الأموية عبر وعّاظها ورموزها الدينية، هو حصر مبرر الخروج والمقاومة في الكفر البواح لذلك حدثت في الأمة المفارقة التالية [سلطة سياسية موغلة في الاستئثار والاستبداد والفساد، ولكن تغطي نفسها ببعض المظاهر الإسلامية الشكلية] فتبقى وفق هذا المنظور سلطة شرعية، لا يجوز مواجهتها ومقاومتها ..

ما فعلته عاشوراء وهو أنَّها شرعت إمكانية الخروج على السلطة لفسادها واستبدادها السياسي، حتى ولو تجلببت ببعض شكليات الدين ..

ولعل المأزق الحقيقي الذي تعانيه اليوم، العديد من الوجودات الإسلامية على صعيد الفقه السياسي هو هذا المأزق .. هل تبلور في إرثها وفقهها السياسي، خيار مقاومة الظالم لاستئثاره وفساده السياسي ..

(٣)

في كلِّ مناطقنا الحضور الجماهيري في إحياء الشعائر الحسينية متميز وحيوي وحار، وما نحتاج إليه هو العمل على توظيف هذا الحضور في مشروعات ذات طابع مؤسسي وتنموي، يتجاوز في فائدته حدود اللحظة الزمانية القائمة .. لذلك نحن بحاجة إلى التشاور الدائم حول بعض المشاريع الإسلامية والاجتماعية، التي يمكن أن نؤسّسها انطلاقًا من زخم عاشوراء وبركات الشهداء ..

(٤)

نحن في مجتمعاتنا لا نعيش وحدنا، وإنَّما لنا شركاء في الوطن .. وتمر هذه المناسبة العظيمة دون الالتفات إلى شركائنا في الوطن ..

لهذا فإنَّنا جميعًا نتحمّل مسؤولية مباشرة، لتعريف شركائنا في الوطن حقيقة عاشوراء، وطبيعة النشاطات العاشورائية التي نقوم بها ..

والتعويل على مبادراتهم الفردية للمجيء لا يكفي، وإنَّما نحن بحاجة إلى آلية عمل تتجه إلى دعوة شخصيات وفعَّاليات المجتمع للتعرف بشكل مباشر على مناسبة عاشوراء ..

فليس لدينا ممارسة في عاشوراء نخجل منها أو من تعريفها للآخرين .. كما إنَّنا معنيّون بمواجهة حروب الشائعات والفتن والتضليل التي تستهدفنا وتستهدف مناسباتنا الدينية ..

إنَّنا اليوم بأمسّ الحاجة لإطلاق مبادرات ومشروعات إعلامية واجتماعية، تستهدف أبناء وطننا؛ لتعريفهم بحقيقة عاشوراء وطبيعة الشعائر الممارسة في مجتمعنا.

ونحن هنا ندعو جميع الأخوة القائمين على إدارة الشعائر الحسينية للاهتمام بهذا الأمر، والقيام بخطوات عملية لتعريف شركائنا في الوطن بحقيقة وطبيعة موسم عاشوراء في مجتمعنا ..

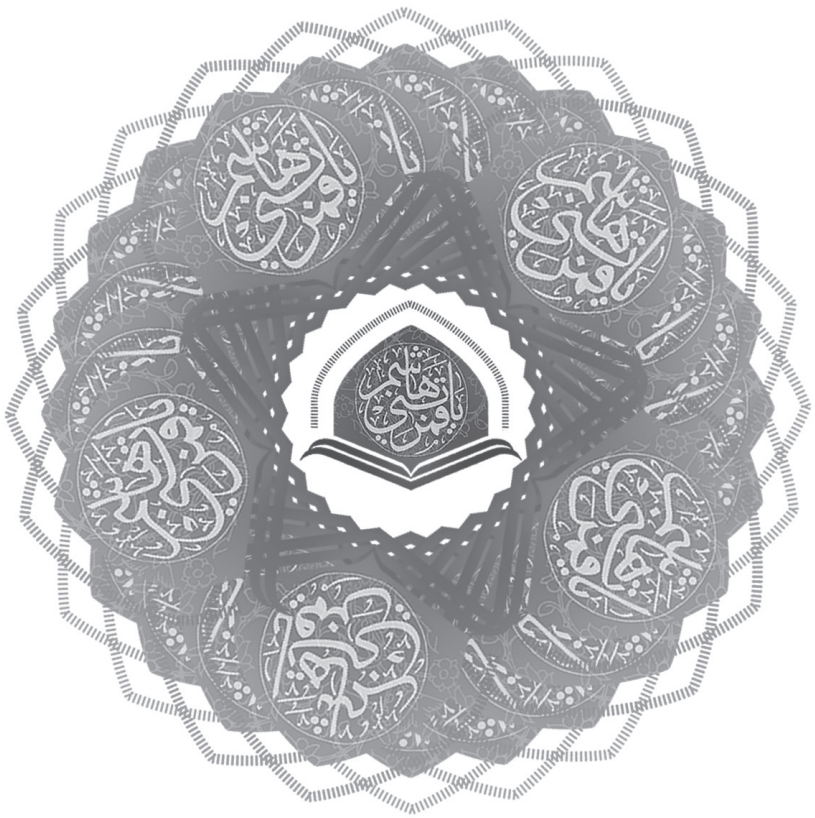

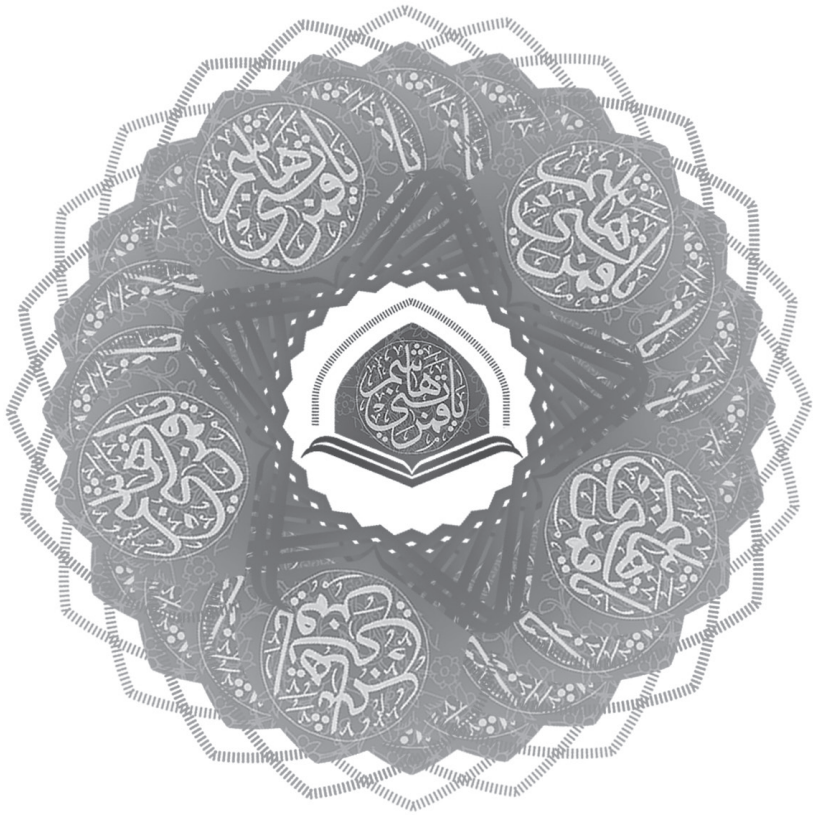

المدرسة العاشورائية في التربية -الأبعاد والعبر-

أ. بتول عرندس

بسم الله الرحمن الرحيم

من خلال التأمل والتدقيق في عمق الثورة الحسينية نلمسُ بُعدًا اجتماعيًّا وتربويًّا مميزًا، وبالتعبير الأدق نستنبط دروساً ومناهج تعليمية تسهم في رفد المدارس والمرافق التعليمية بعلومٍ إسلاميةٍ محمديةٍ عاشورائيةٍ أصيلة. فقد أدّت المرأة في كربلاء دوراً عظيماً شأنه شأن الدور الذي أدّاه الرجال؛ ذلك لأن عاشوراء نهضةٌ متكاملة قامت على أسسٍ عديدة، وعلى أدوار أُنيطت طبيعياً بالرجال والنساء معاً.

هذه الأدوار المجيدة هي الأنموذج التربوي الأنصع لكل مجتمع يتطلع نحو الكمال والرفعة والتقدم. ومما لا شك فيه أنَّ السيدة زينب ﷺ شكلت اللبنة الأساس في هذه المدرسة بحسن أدائها وقيادتها وحكمتها ومواقفها وتبليغها. صنعت النصر مع بقية النساء وأتممنَ تكليفهنَّ على أكمل وجه، وأكملنَ مسيرة الحفاظ على نتاج النصر المحقق في كربلاء.

في بحثنا هذا نسلط الضوء على الدور القيادي للمرأة الزينبية وأثره في تحقيق النصر على الظالم. ونحاول تبيان بعض النماذج التربوية المستقاة من العلاقات المميزة بين أفراد الركب الحسيني، والتي يُبنى عليه في محاولة إصلاح المجتمع الإسلامي وتقوية أواصر العلاقات الأسرية خاصةً، وتلك الاجتماعية بشكلٍ عام.

كما ونسعى لاستخلاص القيم التربوية والسبل الآيلة للتصدي لكل القيم السلبية التي اجتاحت عقول شبابنا في إطار الحرب المفروضة، والتي اصطلح على تسميتها «الحرب الناعمة». إضافةً الى التعريج على البعد الإيماني الذي لا بد منه لمواجهة كل

الضغوط النفسية التي تهدف للحد من عزيمة الفرد والمجتمع على حد سواء. إيماناً بقدرات المرأة وطاقاتها الوقادة لا بد من تعميق الوعي والثقافة الإسلامية التي تتطلّع نحو ارتقاء المرأة وسموها، لكونها الأساس والزهرة الفواحة ومرآة المجتمع، المرأة التي تعتمد الانموذج الزينبي.

المحور الأول: السيدة زينب ﵄ أنموذج المرأة المسلمة

بعث الله سبحانه وتعالى رسله لهداية الناس وتعليمهم، فجاء الرسول محمد ﷺ برسالة الهدى والإسلام مبشرًا وهاديًا ونذيرًا، وأكمل آل بيته الكرام رسالة التبليغ من خلال القول والفعل، أي التلقيين والتطبيق العملي؛ ليكون هؤلاء الأئمة القدوة الأكمل والأفضل. وكذلك ليكون آل البيت ﵈ المحرك لنا والمحفز للتعمق في سبب سموهم وتمايزهم، ومن ثم اتباع أسبابهم وصولاً لأعلى درجات العلم والقدم، كما ورد في القرآن الكريم:

﴿وءاتينه من كل شيءٍ سبباًفأتبع سبباً﴾(١).**

السيدة زينب ﵄، هي من ثمار الشجرة النبوية التي نمت وكبرت وترعرعت في كنف العناية المميزة والعلم الإسلامي المعمق، والمثل الأعلى التي احتوت صفات العظمة وقيم المجتمع الرسالي، الذي ساعدها في خدمة دينها ونصرة قضيتها الحقة بوجه الطاغوت، تعلّمت قيم الأخلاق والصبر والجهاد منذ نعومة أضافرها، بل أُعِدت لمهمةٍ تستدعي كل صنوف التهيئة والتدريب والعمل لتتحقق وظيفتها.

وعندما نشير الى الدور القيادي الذي لعبته العقيلة الطالبية ﵄، فإننا لا نحصر هذا الدور بعاشوراء فقط، ذلك أنّها كانت ناصرةً لأبيها الإمام علي وأخيها الإمام الحسن ﵈ في مراحل متقدمة من مسيرتها الجهادية. أصرّت على مرافقة الإمام الحسين ﵇ وتحمّلت مسؤوليتها على أتمها. قارعت الطغاة في مجالسهم وأرتهم حقارة عروشهم ومقاماتهم. شخصيةٌ تُعلِّمنا قيم الصبر والتضحية والإباء والشجاعة.

ظلت صابرة وقائدة رغم كل المحن والصعوبات، فهي التي شهدت وفاة جدها الرسول ﷺ، ومظلومية وكسر ضلع أمها الزهراء ﵄ وسقط أخيها المحسن، وشهادة أبيها الإمام ﵇ وأخيها الإمام الحسن ﵇. وفي كربلاء شهدت شهادة أولادها وأخيها العباس﵇ وإخوته الثلاثة، وأبناء اخوانها وعمومها، وختاماً شهادة أخيها الإمام الحسين ﵇.

الدور القيادي للسيدة زينب ﵄

---

(١) سورة الكهف:٨٤-٨٥.

عن النيسابوري في رسالته العلوية(١): «كانت زينب بنت علي في فصاحتها وبلاغتها وزهدها وعبادتها كأبيها المرتضى ﷺ، وأمها الزهراء ﷺ». وقد أظهرت ﷺ في مناقبها الشريفة روح القيادة والريادة وفنون السيطرة وردة الفعل والتعامل مع أقسى الهجمات المشنة من قبل العدو، هذا الدور المحوري والأساسي أدّته السيدة زينب ﷺ لكي تعلم نساءنا وأخواتنا واجبهنَّ الريادي في مواكبة الرجال والتصدي للأعداء الذين يتربصون بمجتمعاتنا الشر والفساد، والذين يسعون لحرف المرأة عن عطائها وجهادها وتضحياتها التي فُطِرت عليها، حاملةً رسالة الدين وقضايا الأمة وشؤون المجتمع بين كفّيها.

سطّرت الحوراء ﷺ خلال معركة الطف وخلال رحلة السبي الطويلة وفي مجالس الطغاة وأمام الجموع التي مرّت بهم مواقف خالدة هزّت عروش الطواغيت، وتجلّت كمواقف ثابتة ودروس راسخة للثائرات الأبيّات، زوجات وأمهات المقاومين والشهداء، بناتهنّ، أخواتهنّ، عمّاتهنّ... هو دورٌ رساليٌ لا ينقطع ولا ينتهي، وها هو اليوم يبدو جليًّا وواضحًا في حروب الأمويين المستمرة التي تنبع من حقد دفين وأعمى على شيعة أهل البيت ﷺ.

الإعلام الزينبي وتحقيق النصر

مما لا شك فيه أنَّ كلَّ الانتصارات التي تحقّقت نتجت عن المنهج الكربلائي بكلِّ تفاصيله ومحاوره وأدواره. وحين نتحدّث عن النصر لا بد أن نستحضر القاعدة الذهبية ألا وهي: الحفاظ على منجزات النصر أصعب من تحقيق النصر ذاته، لنقول بالتالي أنَّ الإعلام الزينبي رسّخ المنجزات والمواقف والأهداف العاشورائية، إعلامٌ رسالي لخدمة الدين ونصرته، فلم تكن رفيقة درب الإمام الحسين ﷺ فقط، بل خيرُ ناطقٍ بمواقفه، قارعت يزيد وابن زياد بحجّةٍ بالغة وشجاعةٍ محمديّة علويةٍ فاطمية.

وهنا يبرز دور إعلامنا الرسالي في الإحاطة بقضايا المرأة المسلمة، ودعم كل المشاريع التي تتطلّع للرقي بالمرأة وتوعيتها وحمايتها من السموم التي تبثّها الفضائيات المنحرفة الممولة لإسقاط قداسة المرأة خلف أقنعةٍ مشبوهة، إعلامٌ دأب على ترويج القيم الفاسدة التي تبرّر المعاصي وتحلّل الذنوب، وتهون الفواحش في حملةٍ مدروسة للمساس بالهالة النورانية التي أراد الإسلام أن يحيط بها المرأة.

الحجاب والعفة

لا يستطيع أحد أن يتحدث عن النساء وشرفهنَّ وجهادهنَّ وصبرهنَّ وعفّتهنَّ دون أن يأتي على ذكر السيدة زينب ﷺ، فمناقبها الشريفة وسيرتها العطرة تختصر الخطوط العريضة والعناوين الشاملة التي تحفظ كينونة المرأة وقداستها. هذان الجانبان العظيمان اللذان أريد لهما في عصرنا هذا التلوث بأبشع وأقذر الوسائل لإضعاف أركان المجتمع الأساسية ألا وهنَّ النساء اللواتي إن صلحنَ صلح المجتمع، وإن فسدن والعياذ بالله فسد المجتمع وحلّت فيه الفوضى والغضب الإلهي والبلاء.

(١) وفيّات الأئمة: ٤٤٢.

خرج الإمام الحسين إلى كربلاء طلباً للإصلاح في أمّة جده ﷺ، فكانت النساءُ عنصراً فاعلاً في النهضة، وخرج الأصحاب دفاعاً عن الدين المحمدي الأصيل، فكان الحجاب أغلى من دماء الشهداء. فأي النساء تلك اللاتي صنعن النصر سوى العفيفات الطاهرات الشريفات، اللاتي لم يمنعهنَّ حجابهن عن تأدية دورهن على أتمه، واللاتي لم يكن عفافهنَّ مانعاً بل حافزًا وسببًا في قهر المعتدين.

الحجاب المستهدف اليوم وبشراسة هو الحجاب الزينبي الكامل، الجلباب الشرعي الفضفاض الخالي من الألوان الملفتة للنظر، الحجاب الذي يظهر جوهر المرأة لا جسدها. حجابٌ لم يحجب البتة إبداع نسائنا المعلمات الباحثات المثقفات في شتى المجالات.

المرأة والدفاع المقدَّس

أوجب الله الجهاد دفاعاً عن المقدسات والأوطان، ولم يكن هذا الواجب حكراً على الرجل، واجبٌ استهلته السيدة الزهراء ﷺ دفاعاً عن حق زوجها في خلافة الرسول ﷺ، وحقها في أرض فدك، فنالت من نالت من الحقد حتى ارتقت شهيدةً مظلومة. ثم استأنفت ابنتها ووريثةُ نهجها العقيلة زينب ﷺ هذا النهج فوقفت مع أبيها وأخيها الحسن ﷺ، وفي كربلاء وقفت بهيبته الرسالية أمام الطواغيت.

صمدت وثبتت في رحلة التبليغ والإعلام فكانت المعلمة الأولى وصانعة «علم الإعلام الرسالي» والتبليغ العاشورائي، فكانت مدافعة حرّة أبية، ومثلاً تامًّا للآية القرآنية: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ** ...﴾(١).

تشهد أمتنا اليوم مخططات شيطانية أوجبت على جميع المؤمنين النهوض للدفاع المقدس عن كرامة وعزة الإسلام وأهلها، وقد شدّد القرآن الكريم على حقّ النصرة: ﴿ **وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر** ﴾(٢).

هذا النصر فرضٌ واجب على المسلم والمسلمة. المسلمة تقع عليها فريضة الإعداد المعنوي والتربية ومساندة المجاهدين، وكذلك مسؤولية صيانة المجتمع وحفظه في غياب الرجل.

دفاع المرأة المقدّس يكمن في إعداد الأبناء الصالحين، الممهّدين لظهور صاحب العصر والزمان، ودفاعها يكمن كذلك في عطائها وعملها وابداعها الذي يحقق الأهداف الرساليّة.

---

(١) الأحزاب: ٣٩.

(٢) الأنفال: ٧٢.

الدروس المستلهمة من نساء الركب الحسيني

تمثل نساء الركب الحسيني كلّ القيم السامية والأخلاق العليا التي خص الله بها المرأة، هنّ قمم الصبر والعطاء، وملهمات نسائنا لما أبرزهنّ من إباء وتضحية وطاعة وشجاعة. إحدى تلك العظيمات الرباب (رضوان الله عليها) التي جسّدت بصبرها على شهادة رضيعها أعظم مواقف التسليم والصبر والثبات، وهي المفجوعة، العطشانة، الغريبة، المسبية...لم تستسلم بل سلّمت أمرها لله سبحانه وتعالى وتحمّلت البلاء.

هذه السيدة العظيمة والجليلة تنبّه نساءنا وتعدهنَّ لتقبل أشد البلاءات والمصائب التي قد تتعرّض لها في معارك الدفاع عن الدين ونصرته، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾(١).

نساء كربلاء حجةٌ على نسائنا في مواجهة طغاة الأرض المستكبرين، فكان على كل امرأةٍ تتطلّع لتحقيق النصر الذي حقّقته العقيلة الهاشمية أن تتمسك بمواقفها وبطولتها.

كربلاء تعلّم نساءنا العطاء بتفاني، وما خطبة السيدة زينب ﷺ إلّا بحرٌ من العلم والدروس التي يجب على كل امرأة استنباطها ودراستها وتحليلها، وقد شهدنا هذا التأثّر العميق الذي برز في شخصية حرائرنا المجاهدات في العراق.

رفع المستوى العلمي والثقافي للمرأة

يبدأ إعداد المرأة منذ طفولتها الأولى إعدادًا رساليًّا قويمًا، على يديّ والدين صالحين يزرعان داخلها كل القيم الأخلاقية والسلوكية والدينية والاجتماعية. ولا بد منذ نعومة أضافر زهراتنا العزيزات أن نعتني بثقافتهنَّ الدينية بكلِّ صنوفها لأهميتها في تشكيل وتنمية الفكر الديني والأخلاقي وصياغة مستقبلهنَّ ووعيهنَّ للحياة، ولا بد من تعويدهنَّ على الحجاب والطاعات، وترغيبهنَّ بالإقناع والتوجيه والتحبيب.

والأهم أن تربط المرأة بدورها الرسالي مبكراً، على أنَّها أساس المجتمع المُعِد لظهور صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه). هذا الإعداد يمكن أن يتم من خلال الدروس الثقافية والورش التربوية التوعوية التي تنشر الثقافة الإسلامية الأصيلة وكذلك تعمق الفهم والوعي في شتّى مجالات الحياة العلمية والتربوية والصحية والسياسية. لابد من حثّ المرأة على ارتياد المكتبات وتنمية حس البحث والتفكير المنطقي والمناقشة النقدية. وبالنتيجة، كلّما ازداد المستوى العلمي والثقافي للمرأة كلّما تقدّم المجتمع، أليست النساء وراء كل رجلٍ عظيم وقائدٍ شجاع وجنديٍّ باسل وعالمٍ مبدع.

---

(١) الروم: ٤٧.

المحور الثاني: التربية العاشورائية والمجتمع

نموذج الأسرة في الإسلام

يدعو الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم إلى بناء الأسرة الصالحة المحقّقة للأهداف الإسلامية السامية:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾(١). وقد سأل أبو بصير الإمام الصادق عليه السلام: «كيف نقي أهلنا؟»، فأجاب الإمام: «تأمرهم بما أمر الله، وتنهاهم عما نهاهم الله»(٢). وهل من أسرة في الإسلام أعظم نموذجاً من نموذج أسرة الإمام الحسين عليه السلام التي أظهرت أجمل صور التربية الصّالحة وعلاقاتها من برّ واحترام وتشاور وتقدير وطاعة ووعظ.

وقد أكّد الإسلام على تنشئة الأبناء على الشجاعة والوقوف بوجه الظلم والظالمين، كما وصّى الإمام علي عليه السلام ولديه الإمامين الحسن والحسن عليهما السلام: «كونا للظالم خصماً، وللمظلوم عونًا»(٣)، انطلاقاً من الآية القرآنية: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا**﴾(٤). لا بد من البدء بزرع هذه القيمة مبكراً ليأخذ أبناؤنا موقفًا حاسماً حتى لوتتطلّب الأمر بذل الروح بالشهادة، إقامةً للحق وإعلاءً لكلمة الله العليا.

العلاقات الأسرية المعاصرة

إذا صلحت النفس البشرية صلح المجتمع، وقد هدف الأنبياء على مر العصور الى بناء مجتمع صالح وقوي وأمين يكفل إقامة مجتمع متماسك وقوي. وببالغ الأسف فقد دمرت ثورة التكنولوجيا دعائم العلاقات الأسرية المعاصرة، فبات الطمع والجشع والطمع والغيرة والأنانية المحرك والمحور، وبات المجتمع ضحيّة استبداد ثالوث المال والسلطان والجسد.

هذه العلاقات تستدعي ترميمًا عاجلاً وعلاجًا طارئًا يرتكز على تعميق البعد الإيماني والوعي الديني الذي يبعد الإنسان عن نزوات الطبيعة والأنا التي حوّلته إلى «حيوان» خالٍ من الروح والإحساس والعقل والمنطق. فالإيمان يثبت قيم الرضى والتسامح والشجاعة والإيثار والصدق والعزيمة، وبالتالي، فهو الركيزة الأساس والضمان الأنجع لحماية المجتمع وتعميق أواصر التعاون والتكافل بين أفراده، والمساهم في تحقيق النصر، تماماً كما كان وأظهر المجتمع الكربلائي جسداً واحداً، لم تغريهم الدنيا ولا

(١) التحريم ٦.
(٢) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص١٤٨.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٤٧.
(٤) الفرقان: ٢٧.

الجاه والمركز، بل رضا الله والشهادة في سبيله نصرةً للدين والعقيدة.

القيم التربوية تصنع أمة

الأسرة هي اللبنة الاجتماعية الأولى في المجتمع، وفيها يتعلّم الإنسان دروسه الأولى في الحياة، وقد منّ الله علينا نحن الموالون لأهل البيت ﷺ بنعمة الولاية والهدى. بل إنَّ هؤلاء الأخيار لنا المعلّم والهادي والمرشد، في كتاب نهج البلاغة نبحر في عالمٍ لا ينتهي من علوم التربية التي تضمن لأسرنا النجاح في أداء أمانة التربية، ومن خلالها نلمس عظمة المناهج التربوية التي درج عليها أهل بيت النبوة.

ففي خطبة الوسيلة(١) على سبيل المثال نستلهم الكثير من العبر والقيم التي توضّح لنا القيم التي تلقاها الإمام الحسين ﷺ وأخته السيدة زينب ﷺ، والتي أسهمت في تكوين تلك الشخصيتين العظيمتين اللتين هزّتا عرش يزيد وألهمتا أحرار وحرائر أمتنا العظام.

يؤكد أمير المؤمنين في خطبته هذه على أهمية الحكمة وقول الحق فيقول: « أيّها الناس: إنّه لا خير في الصمت عن الحكم، كما إنّه لا خير في القول بالجهل. واعلموا أيّها الناس إنَّه من لم يملك لسانه يندم، ومن لا يعلم يجهل، ومن لا يتحلم لا يحلم، ومن لا يرتدع لا يعقل، ومن لا يعقل يهن، ومن يهن لا يوقر...»(٢)

التكافل الاجتماعي في النهضة الحسينية

التكافل الاجتماعي قيمة إسلامية سامية وعظيمة، وهي كفيلة بإنشاء مجتمعٍ قوي ومتماسك ومتراحم في أحلك الظروف. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾(٣).

هذا المجتمع يبدأ بنيانه ببناء الفرد بهدايته إلى الصراط المستقيم والقويم عبر إخراجه من غياهب الظلمات والشهوات والأهواء إلى نور الهداية والإيمان، بالعمل المشترك والمترابط والفعال بين كلّ أطيافه وطاقاته.

وقد جسّد نموذج المجتمع الكربلائي أرقى مستويات التكافل والتعاضد والتعاون بين الأب وابنه، والأم وابنها، والصاحب وصاحبه، والجندي وقائدها، والعبد وسيده، ... نماذج في قمّة الوعي لمسؤولية كل منها ودوره في تأدية دوره ومهامه. مجتمعٌ أظهر كيف يجاهدُ كل فرد من موقعه، ووفقاً لطاقاته وقدراته. هذه الطاقات عظيمةٌ ومهمة أيّاً كانت، حيث يدافع الرجل، وتضمد المرأة الجراح وتصبر وتتحمل. علاوة على ذلك، فالإمام السجاد ﷺ رغم مرضه وعجزه كان إلى جانب عمته صاحب

(١) من خطب الإمام علي ﷺ في كتاب نهج البلاغة.
(٢) بحار الأنوار / ج ٧٤ / ص ٢٨٣.
(٣) الفتح: ٢٩.

الكلمة والموقف العظيم بوجه السلطان الجائر.

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الحكيم:﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾(١)، فكل فرد منّا مسؤولٌ اليوم ومطالبٌ بتحمل جزء من المهمة الشاملة، ألا وهي الدفاع المقدس وإصلاح المجتمع تماماً كما جسّد آل بيت الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الذين لم يتقاعسوا أبدًا عن واجبهم وبكل اندفاع ومثابرة، وعياً منهم جميعاً بحجم الحقد والعدوان الموجه ضدّهم، فما خذلوا قائدهم وما تركوه، بل كانوا صُنّاع النصر الإلهي والاستراتيجي في تلك المعركة الخالدة التي ألهمت الأمم وأحرار العالم عبر الزمن.

سمو الذات لدى عوائل المقاتلين

أظهرت عوائل الشهداء رباطة جأشٍ وبسالة لا مثيل لها، فكانت تلك العوائل امتدادًا لا ينقطع لمشروع أبنائهم الذين ارتقوا الى مقام السمو دفاعاً عن عزتنا. وهم اليوم بيننا أمانة هؤلاء الشهداء، وعلينا تقع مسؤولية رعايتهم. يقول الإمام الحسين عليه السلام: «**والله، لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون لأخيه مثل الجسد، إذا ضرب عليه عرق واحد تداعت له سائر عروقه**»(٢). إذاً، لا بد من الحفاظ على حقوق هؤلاء العوائل، وتأمين كل احتياجاتهم؛ لأنَّهم قدموا أبناءهم قرابين للوطن، ولاسيما حقّ اليتيم الذي أظهر الرسول صلى الله عليه وآله عظمة كفالته بقوله: «أنا وكافل اليتيم...في الجنة»(٣).

إضافة الى عوائل المقاتلين المدافعين الذين يستحقون من المعنيين في الشأن الاجتماعي واجب التحرك لإيجاد الأنشطة التربوية والتعليمية والصحية والترفيهية الهادفة، والفعاليات وورش العمل المختلفة التي تثبت دعائم المجتمع وتعد أفرادًا ناجحين ومميزين، في ظل الغزو الثقافي وظاهرة المسلسلات الساقطة والبرامج الفاسدة التي تروج لقيم هابطة قد تهدد أجيالنا الواعدة إذا ما أُخذت كل الإجراءات الوقائية السريعة واللازمة.

المحور الثالث: البعد الإيماني والجهاد

الإباء والدفاع المقدس عن الدين

منَّ الله علينا بنعمة الدين، القانون الأسمى الذي ينظم العلاقات الإنسانية بهدف تحقيق الأمن والأمان في المجتمع ومحاربة شتى ظواهر الجهل والانحطاط والفوضى. ولما كان الدين سُلّم الارتقاء بالإنسان، كان لا بدّ من فرض الجهاد كواجب للدفاع عن كلّ محاولة للنيل من حرمة الإنسان وكرامته. فحين نشدّد أنَّ كربلاء مدرسة الإنسانية نعرض نموذج أبي الفضل العباس الذي أنتجه البيت العلوي الرسالي لأداء تكليفٍ عظيم مع أخيه الحسين عليه السلام في كربلاء.

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٢٣٣.

(٣) مستدرك الوسائل، ج٤٧٤،ص٢.

لم تكن شخصيته ﷺ وليدة اللحظة في عاشوراء، إنَّما مشروع أعدّه والده الإمام علي ﷺ بدءًا من اختيار أمّه الطاهرة العظيمة أم البنين ﷺ: «امرأة ولدتها الفحولة من العرب، فتلد لي غلامًا فارسًا». ثم درج في بيت الولاية مع اخوته فتشرب قيم الإباء والشهامة والعزّة والإباء والشجاعة والإيثار والنخوة.

هذا الإعداد المبارك لا بد أن يلهم أباءنا وأمّهاتنا الذين تقع عليهم مسؤولية اقتباس المناهج التربوية في تربية الأبناء من الفيض العظيم والمبارك لأهل البيت ﷺ؛ ليكون هؤلاء الأبناء بعون الله جنودًا بواسل وزينبيات معطاءات للإمام المهدي (عجل الله فرجه) ومشروعه الأعظم الذي بدأ بالدفاع المقدس وسيكمل حتى الظهور المبارك وتحقق الوعد الإلهي.

يقول الإمام الحسين ﷺ مخاطبًا أخته زينب ﷺ: «يا أخية اتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أنَّ أهل الأرض يموتون وأنَّ أهل السماء لا يبقون، وأنَّ كل شيء هالك إلَّا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خيرٌ مني وأمي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة»(١).

كانت السيدة زينب ﷺ من أوّل المبشّرين بالقضية الحسينية والحافظين لها، وقد أكّدت في خطبتها ومواقفها على أهمية الدفاع المقدس حيث تقول ﷺ مخاطبة الإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين ﷺ: «وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يدرس أثره، ولا يمحى رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنَّ أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه، فلا يزداد إلَّا علوًّا».(٢)

الصلاة والدعاء

يقول رسول الله ﷺ: «الصلاة عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها»(٣)، إذا هي قمة الطاعات ومعراجُ الروح ولحظة اللقاء بالمحبوب، لذا لا بد من الاعتناء بتعليم أبنائنا وجوب الالتزام بهذا الواجب الأساسي الذي يعمق علاقة العبد بالمعبود، ويردعه عن المحرّمات. ونلاحظ خلال معركة الطف ورحلة السبي وخاصة ليلة العاشر، كيف حافظت السيدة زينب ﷺ على صلاتها رغم عظم المصاب؛ لأنَّها تربّت على أنّ الصلاة تشحن الإنسان بالصبر والقوة والتحمل.

آليات الارتقاء بالمستوى العقائدي والديني للمرأة

بيّنّا سابقاً كيف جسدت السيدة زينب ﷺ ولا تزال المثل الأعلى لإعداد المرأة الرسالية. وتحقيقاً لهذا الدور العظيم بإعداد النساء عقائديًّا ودينيًّا لتحقيق التصورات الموضوعة لهنَّ؛ لتخريج دفعات مأمولة من الأبطال والمجاهدين والشهداء الذين يصنعون

(١) تاريخ الطبري/ ج٤ / ص٣١٩و٣٢٠.
(٢) بحار الأنوار/ ج٢٨/ ص٥٥.
(٣) المصدر نفسه / ج ١٠ / ص ٣٩٤.

النصر ويحققون للأمة المجد والرفعة، من الضروري إيلاء النشاطات النسوية كل الدعم والتقدير والتحفيز.

إنَّ إبراز القضية الحسينية لم يكن ليتم لولا رباطة جأش السيدة زينب عليها السلام وعلمها ووعيها بتكليفها الديني والشرعي. هذه المسؤولية العظيمة هي مسؤولية المعنيين بالشأن الديني والاجتماعي، وكذلك النساء اللواتي عليهنَّ يقع تكليف السعي والتعلم الذاتي والبحث والاستفسار، ومتابعة الخطب والمحاضرات الدينية والخطابات الحسينية، وكذلك قراءة الكتب والأبحاث العقائدية والدينية التي تروي عطشها للعلم والمعرفة.

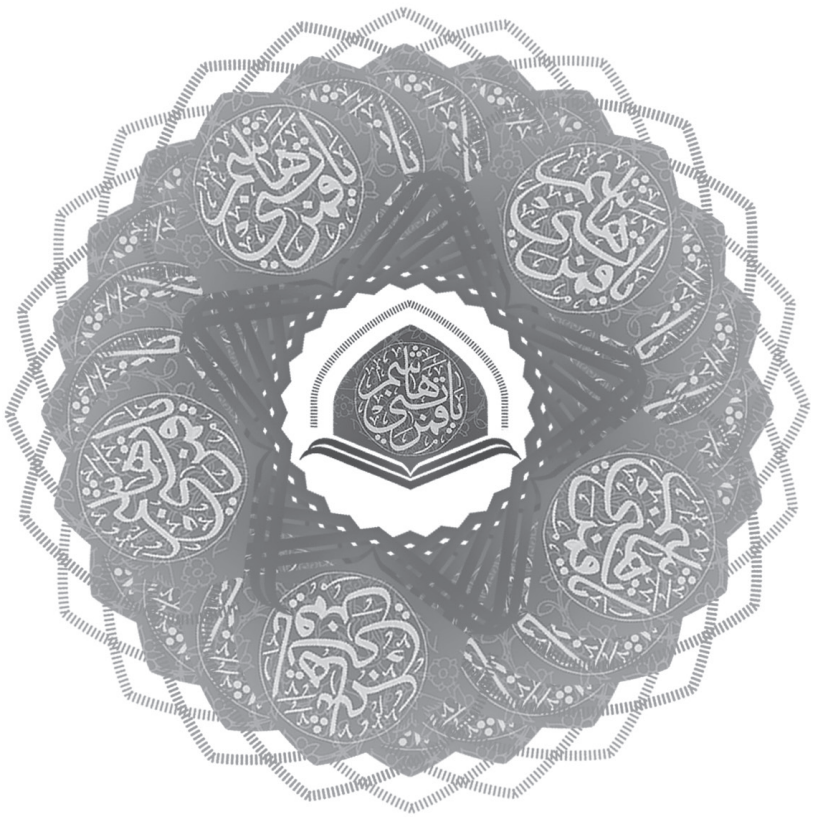

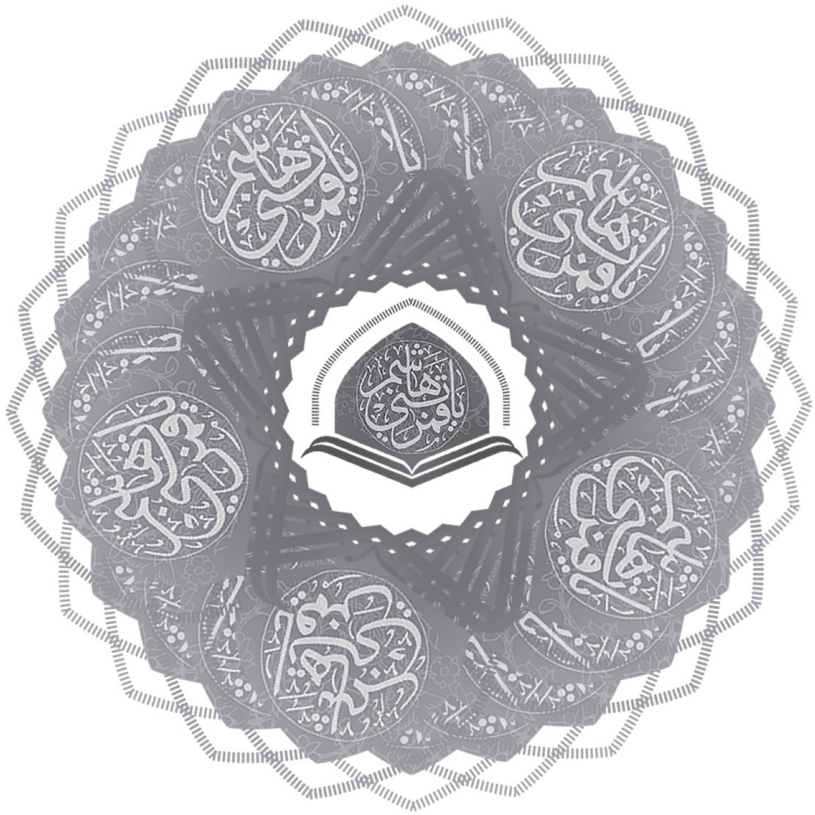

من عطاء الإمام السجاد عليه السلام

حيدر فائق الهنداوي

إنَّ حجة الله في الأرض هو واسطة الفيض بين الخالق والخلق تشريعًا وتكوينًا على ما في الروايات.

وقد ضرب هشام بن الحكم وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام لذلك مثالاً، فقال إنَّ منزلة حجة الله في النظام الكوني كالقلب في بدن الإنسان، فكما أنَّ الإنسان بحاجة إلى القلب كذلك الأمّة بحاجة إلى الإمام (١) عليه السلام.

وكما أنَّ القلب يوصل الدَّم إلى كافَّة الأعضاء الصغيرة والكبيرة وجميع الشرايين والأوردة، كذلك الإمام عليه السلام هو الواسطة بين الله وخلقه، بحيث لا تستغني من وجوده كافَّة المخلوقات من إنسان وغير إنسان.

وكما أنَّ القلب إذا ما توقف عن العمل، فإنَّه ستتعطل كافة أعضاء البدن وتموت.. وبموت الإنسان سيتعرض جسده لأنواع مختلفة من الميكروبات وما أشبه وسيؤدي إلى تفسخه وتلاشيه وفنائه، كذلك بالنسبة إلى الإمام المعصوم عليه السلام فإذا فرض يومًا ما خلوّ العالم من الحجة، فسيفنى الكون وينعدم كلُّ شيء، كما ورد في الحديث الشريف: «لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها»(٢).

ومن هنا بدأ الله –عزَّ وجل– بالخليفة قبل الخليقة؛ لأنَّه –سبحانه– حكيم والحكيم من يبدأ بالأهم فالأهم وفي ذلك يقول الصادق جعفر بن محمد عليه السلام حيث يقول: «الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق»(٣)، وقد خلق الله نور حججه الطاهرين عليهم السلام قبل أن

---

(١) راجع الكافي: ج١ ص١٦٩ .

(٢) راجع دلائل الإمامة: ص٢٣١.

(٣) كمال الدين: ج١ ص٤.

يخلق الخلق أجمعين، فكان أوَّل مخلوق هو حجة الله، وآخر موجود يغمض عينيه عن الدنيا هو حجة الله أيضاً، حيث بموته يفنى العالم، قال تعالى: (إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت)(١) والروايات في هذا الباب كثيرة.

عن الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: « تكون الأرض ليس فيها إمام، قال: «لا» قلت: يكون إمامان، قال: «لا إلَّا وأحدهما صامت»(٢).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إنَّ الله أجلّ وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل»(٣).

دور الأنبياء والأئمة ﷺ

إنَّ علماء الدنيا من المخترعين والمكتشفين والأطباء ومن أشبه، يهتمون بتقديم الخدمات المادية للمجتمع الإنساني، أما الأنبياء والأئمة الأطهار ﷺ وعلماء الدين فإنَّهم مضافًا إلى ما يقدمونه لسعادة البشر ماديًّا، يهتمّون بالجانب الروحي أيضاً الذي هو أهم من الجانب المادي بكثير، فإنّ قيمة الإنسان ترتبط بروحه ونفسه أوّلاً، لا ببدنه المادي فحسب.

نعم، إنَّ علماء الدنيا من المخترعين والمكتشفين يهيئون بعض وسائل الحياة المريحة والمرفهة للإنسان، ولكن أولياء الله يعلّمونه كيف يستفيد من تلك الوسائل، فإنَّ الآلات المتطوّرة والمريحة إذا لم تكن بجانبها تعليمات مناسبة ربما يكون ضررها أكثر من نفعها إذا استفاد الإنسان منها بشكلٍ غير مناسب بحيث أضرّته أو أضرّت بني نوعه، ومن هنا يتّضح أهمّيّة دور المعلّم الأخلاقي والطبيب الروحي في حياة الإنسان، وهم الأنبياء والأئمةﷺ وتلامذتهم.

فإذا فرضنا للإنسان مجتمعًا لا يمتلك فيه وسائل الرفاه يمكن أن نتصور له عيشًا هادئًا بسيطًا، ولكن إذا كان يمتلك مختلف أنواع وسائل الرفاه من دون أن يعرف الموازين الأخلاقية والإنسانية ومن دون أن يطبّق التعاليم المعنوية والروحية فإنَّ الحياة تصبح جحيمًا على البشرية، ولا يمكنهم الاستمرار في الحياة.

وبهذا يتّضح شيء عن أهمّيّة دور حجج الله على الخلق، من الأنبياء والأئمة ﷺ وضرورة وجودهم المبارك، ومن هؤلاء الطاهرين الإمام السجاد ﷺ فهو من المعلّمين الصالحين وأطباء الروح الإلهيين الذين أمرهم الله -عز وجل- بهداية الخلق، وجعلهم أئمة معصومين، وفرض طاعتهم على الناس أجمعين.

---

(١) سورة الانفطار: ١-٢.

(٢) الكافي: ج١ ص١٧٨.

(٣) المصدر نفسه: ج١ ص١٧٨.

فإذا أردنا التّحدّث عن شخصية الإمام السجاد عليه السلام وبيان مقامه الرفيع أو أي واحد من الأئمة المعصومين عليهم السلام بشكلٍ كاملٍ فإنَّه لا يمكننا ذلك؛ لأنَّهم البحر الواسع والعميق الذي لا ينال أحد أطرافه، بل منتهى ما يمكن هو إلقاء نظرة عابرة على بعض سواحله فقط.. وأخذ بعض القطرات من جوده فحسب.

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام هو الرابع من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله الاثني عشر، الذين عيَّنهم الرسول صلى الله عليه وآله واحدًا واحدًا بالأسماء، فإنَّه بالإضافة إلى روايات الشيعة فإنَّ هناك العديد مما روي عن طريق العامّة وهي تؤكِّد على أنَّ الخلفاء اثنا عشر حيث رووا في مختلف كتبهم:

قوله صلى الله عليه وآله: «الخلفاء بعدي اثنا عشر»(١).

وفي بعض رواياتهم تصريح بالأسماء المقدَّسة لهؤلاء الأئمة الأطهار عليهم السلام كما رواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودة(٢)، وغيره(٣).

لماذا هذا العدد الخاص؟

لماذا كان الأئمة عليهم السلام اثني عشر إماماً لا يزيدون ولا ينقصون؟

لعلَّ السبب في ذلك أنَّ كلّ واحد منهم عاش فترة زمنية خاصة، وقد عمل ببرنامج خاصٍ يناسب تلك الفترة، فكان المجموع اثني عشر دورًا تشريعيًّا وتكوينيًّا، بحيث إذا لم يُؤدَّ ذلك الدور كان يحدث شرخ في النظام التكويني والتشريعي في ذلك الزمان.

من هنا نرى أنَّ الأئمة الأطهار عليهم السلام مضافاً إلى كونهم نوراً واحداً من نور واحد، ينبع من ينبوع الوحي والرسالة، وقد تغذّوا منه العلم والمعرفة، وإنَّهم من رسول الله صلى الله عليه وآله، والرسول صلى الله عليه وآله منهم -صلوات الله عليهم أجمعين-.

فقد أدوا الأمانة الإلهية خلال المائتين والخمسين سنة بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بأحسن ما يمكن، وأخذ كل واحد منهم بزمام هداية المجتمع الإسلامي ـ بل الإنساني ـ وإرشاده إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة، وذلك في مختلف الظروف التي عاشوها.

فلون الشهادة هو الغالب على سيرة الحسين عليه السلام، وخشوع الدعاء نعيشه مع الإمام السجاد عليه السلام، وإشراقة مدارس الفقه والحديث والتفسير واتساع آفاقها مع الباقر والصادق عليهما السلام، ونهضة الدين العارمة المتنقّلة بين السجون مع موسى الكاظم عليه السلام .. وظاهرة الإمامة المبكّرة مع الجواد والهادي والمهدي عليهم السلام، فثمّة حلقات تاريخية شاخصة المعالم تجمع سير العظماء الخمسة مع من سبقهم، ومن هو بينهم من هداة البشر عليهم السلام.

---

(١) راجع صحيح مسلم: ج٦ ص٢-٤ كتاب الإمارة الناشر دار الفكر بيروت، صحيح ابن حبان: ج١٥ ص٤٣-٤٥ ط٢ مؤسسة الرسالة بيروت، المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص٧١٥-٧١٦ وج٤ ص٥٤٦ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) راجع ينابيع المودة: ج٣ ص٢٨٢ ب٧٦، ط دار الأسوة.

(٣) فرائد السمطين: ج٢ ص١٣٢، غاية المرام: ص٧٤٣.

من هؤلاء الأئمة المعصومين وخلفاء رسول الله ﷺ الصادقين هو الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، الذي عهد إليه إمامة الأمة وهداية وإرشاد المجتمع الإسلامي بعد شهادة أبيه الإمام الحسين بن علي عليه السلام وكافة إخوته وأقربائه في واقعة كربلاء الأليمة.

فكان هو الابن الوحيد الذي بقى لأبيه الإمام الحسين عليه السلام، وقد تقلّد منصب الإمامة في زمن كان أكثر الشيعة في ظلمة السجون أو قد استشهدوا، وكان الناس لا يملكون الجرأة على الاعتراض والانتقاد ضد ما يرونه من الظلم والاستبداد ومخالفة الشرع المبين من قبل بني أمية مصاصي الدماء الذين استولوا على الحكم بالقهر والإرهاب.

وإذا ما تكلّم شخص بكلمة معترضًا على الظلمة والمعتدين، فيعد مخالفًا لله وخليفة رسوله ﷺ! فيوضع تحت الملاحقة والسجن والتعذيب ويتم تصفيته بكلِّ سهولة.

لقد أراد بنو أمية القضاء على الإسلام وعلى رسول الله ﷺ وذرّيّته النجباء، فقتلوا جميع أولاد النبي ﷺ في واقعة عاشوراء الدامية، ولم يبقَ منهم سوى أحد أبناء الإمام الحسن(١) وأحد أبناء الإمام الحسين عليه السلام وهو الإمام السجاد عليه السلام وذلك بمعجزة من الله –عز وجل–.

وكان هذا بأمر ممن اغتصب الخلافة ومن معاوية وسياسته والذي سعى جادًّا في دفن اسم نبي الإسلام ﷺ إلى الأبد ومحوه من الأذهان، كما ورد في التاريخ أنَّه لمّا سمع صوت المؤذّن وهو يقول: «أشهد أنَّ محمداً رسول الله» قال: دفنًا دفنًا» (٢).

ومن هنا يعلم مدى أهمية قيادة الإمام السجاد عليه السلام للأمة والمجتمع الإسلامي في تلك الفترة المظلمة والحساسة من حكومة بني أمية.

والذي يمكن القول وبجرأة إنَّه لولا إرشادات الإمام السجاد عليه السلام الدقيقة في مختلف ميادين الحياة والتي جاءت في قالب الدعاء والمناجاة وكانت في محلّها تمامًا، لم يبقَ من الإسلام إلَّا اسمه ورسمه، ولحُرِّفَ مثلما حُرِّفَ دين اليهود والنصارى، ولرأت الأجيال القادمة الإسلام من خلال أقوال وأفعال الذين سيطروا على الخلافة الإسلامية من دون استحقاق، ومن خلال المسلمين الذين لا يفكّرون إلَّا في مصالحهم الشخصية، ومن خلال علماء السوء ووعّاظ السلاطين.

نعم مدرسة أهل البيت عليهم السلام بما فيهم الإمام السجاد عليه السلام حفظت القرآن والإسلام وذكر النبي ﷺ وشريعته إلى يومنا هذا غضًّا طريًّا كما أراده الله عز وجل لسعادة البشرية جمعاء في الدنيا والآخرة.

(١) هو الحسن ابن الإمام الحسن المجتبى (المعروف بالحسن المثنى) والذي قد جرح بشدة في واقعة كربلاء وسقط في وسط الشهداء فزعموا أنه مات، ولما صدر أمر اللعين بقطع رؤوس الشهداء من الأبدان، رأوا فيه رمقاً ونفساً في بدنه، فقامت مجموعة من أخواله بأخذه معهم وعالجوه، فشفي بحمد الله، وبسببه حفظ نسل الإمام المجتبى –عليه السلام– واستمر إلى يومنا هذا.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج٥ ص١٢٩.

استمرارية النهضة الحسينية

وبعد شهادة الإمام الحسين ﷺ كان الإمام زين العابدين ﷺ حامل راية الإسلام وذلك برفقة عمّته عقيلة بني هاشم السيدة زينب الكبرى ﷺ فمن خلال خطبه الشريفة في المدن والأماكن المختلفة خصوصاً في مجلس يزيد بن معاوية قد ضمن الإمام ﷺ استمرار تلك النهضة المقدسة، وتمكّن وللأبد من فضح يزيد وغيره من أعداء الإسلام، وإثبات ظلامة وأحقّيّة أهل البيت ﷺ.

النهضة الثقافية والعاطفية

اتخذ الإمام زين العابدين ﷺ بعد شهادة أبيه الإمام الحسين ﷺ في فاجعة كربلاء أسلوب الجهاد الهادئ ضدّ الظلم والطغيان، والجهل والكبت.

وقد كانت لهذا الأسلوب الحكيم في تلك الظروف الحرجة آثار مباركة كثيرة، منها النهضة الثقافية والعاطفية في سبيل توعية الأمة.

فزين العابدين ﷺ سعى جاهدًا، سواء أكان في ساحة كربلاء، أو الكوفة، أو في طريقه إلى الشام، وفي الشام نفسها أيضًا إلى جذب عواطف الناس وإحياء ضمائرهم لمعرفة ما جرى من ظلامة على أهل بيت الرسالة ﷺ من قبل طغاة بني أمية الذين يدّعون الإسلام كذبًا وزورًا، وذلك عن طريق:

أوّلاً: النهضة الفكرية والثقافية: حيث وجّه الإمام ﷺ أنظار الناس إلى الهدف السامي الذي قام من أجله أبوه الإمام الحسين ﷺ وضحّى بنفسه وأولاده وأهل بيته وأصحابه الكرام في سبيله، وهو إحياء الإسلام، والوقوف أمام المؤامرات التي أرادت القضاء على الإسلام، وأن يعيش الإنسان حرًّا كما خلقه الله، من دون أن يستسلم للظلم والاستبداد ولا يخنع للجور والطغيان، وأن لا تكون أزمة الأمور ومصير الشعوب بيد حاكم ظالم مستبد.

وفي الواقع إنَّ الإمام الحسين سيد الشهداء ﷺ لم يكن مخالفًا ليزيد بن معاوية فقط بل كان مخالفًا لجميع الظلمة الفاسدين والمفسدين في كلِّ زمان ومكان، كما أراد للإنسان بما هو إنسان أن يعيش سعيدًا حرًّا، في أيّ زمان ومكان، سواء أكان مؤمنًا أم كافرًا.

قال الإمام الحسين ﷺ: «ويحكم.. إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارًا في دنياكم»(١)).

وقال ﷺ: «إنّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا، ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف

(١) بحار الأنوار: ج٤٥ ص٥١.

وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب عليهم السلام»(١).

نعم إنَّ من يريد الخلاص من الذل والعبودية، ومن أراد العزّة والسعادة، فعليه أن يتعلّم من مدرسة أبي الأحرار الحسين بن علي عليهما السلام درس الشهامة والشجاعة، وسموّ النّفس وعزّة الروح، والاستقلال الفكري وعدم العبودية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح المجتمع وإنقاذ الإنسان، وأخيرًا الجهاد في سبيل الله وفي سبيل الإنسانية ضدَّ الظلم والطغيان.

إنَّ المتتبّع في صفحات التاريخ يرى بوضوح آثار نهضة الإمام الحسين عليه السلام المباركة، فكم من الحركات الإصلاحية والمنادية بالحرّيّة التي نبعت من هذه النهضة المقدسة وتعلّمت منها درس المقاومة والفداء، وذلك منذ يوم عاشوراء عام ٦٠ هجرية وإلى يومنا هذا، وستسمر المسيرة إلى أيّ يومٍ يوجد هناك سطوة ظالم وصرخة مظلوم في الأرض.

ثانياً: النهضة العاطفية: فبالقدر الذي كان قيام سيد الشهداء عليه السلام مؤثّرًا في إحياء الإسلام والقرآن الكريم.. كذلك فإنَّ استمرار وبقاء تلك النهضة له نفس التأثير في استمرارية المفاهيم الإسلامية وشريعتها، فإذا لم تكن عملية استمرار النهضة المقدّسة للإمام الحسين عليه السلام، فإنَّ تلك النهضة سوف تحجم وتحد بزمانها وتنسى وربما تحرّف وتغيّر عن واقعها الموجود عبر الإعلام المزيّف والكاذب، حالها حال كثير من النّهضات والحركات الأخرى، ولكن عملية استمرار النهضة جعلتها حيّة وخالدة في كلّ عصر وزمان بكلّ تفاصيلها وأحداثها.

والنَّهضة العاطفيّة التي تحيي فطرة الناس هي من أهمّ أسباب حفظ واقعة عاشوراء على مرّ التاريخ، ومن هنا يعرف فلسفة البكاء والعزاء على الإمام الحسين عليه السلام.

فإنَّ إقامة المجالس وموكب العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام وإحياء الشعائر الحسينية بكلّ أقسامها وأنواعها المتعارفة تجعل من هذه النهضة غضّة طريّة كأنَّها وقعت اليوم، وتبيّن أهدافها الإنسانية للبشرية بأجمعها، وتدعو المجتمعات الإنسانية للاستجابة إلى نداء الفطرة في كافّة الأزمنة باتباع أفكار ونهج سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام والسير على خطاه ضدّ الظلم والطغيان.

وقد كان للإمام زين العابدين عليه السلام دور أساسيّ في حفظ نهضة عاشوراء واستمرارية مدرسة كربلاء المقدّسة إلى يومنا هذا.

حيث أدّى الإمام السجاد عليه السلام كلّ ما بوسعه لإحياء ظلامة أبيه الحسين عليه السلام حتى استمرّت قضيّة عاشوراء والنّهضة الحسينية المباركة إلى يومنا هذا، بل وستستمر إلى يوم القيامة بإذن الله –تعالى–.

فقد سعى الإمام زين العابدين عليه السلام دائمًا إلى تشكيل مجالس الحزن والعزاء على شهداء كربلاء وبيان ما جرى فيها من الظلم والجور..

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤ ص٣٢٩.

فكان ببصيرته الثاقبة كلّما نظر إلى عمّاته وأخواته شرع بالبكاء عاليًا.

وإذا ما سقط نظره ﷺ على طفلٍ رضيعٍ جرت دموعه على خدَّيه.

وإذا ما شاهدت عينيه رأسًا مقطوعًا حتى إذا كان لحيوان، أو عندما كان يريد الجزار ذبح شاة، فإنَّه ﷺ كان يتأثّر بشدّة، وإذا ما قدّموا له طعامًا أو ماءً، تحسّر وتأوّه حتى يمزج ذلك بدموع عينيه.

وهكذا استطاع الإمام زين العابدين ﷺ من إيجاد حركة عاطفية دائمة في أوساط الناس وواقعهم الخارجي، حتى تبقى على إثرها نهضة الإمام الحسين ﷺ وأهدافه المقدّسة حيّة وخالدة دائمًا.

التربية والتعليم

كان أحد أهداف بني أمية هو محو وطمس حقيقة الإسلام وآثار النبي الأكرمﷺ، وقد صرف معاوية بن أبي سفيان أموالاً طائلة للسيطرة على الحكم الإسلامي والأمة الإسلامية ومحاربة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وشيعته، كان معاوية يريد أن لا يبقى من الإسلام إلَّا الاسم الظاهري، وذلك ضمن الإطار الذي يخدم سلطته وملكه واستمرارية ذلك في عائلته.

وقد أقسم مرارًا بأن يطمس ذكر رسول اللهﷺ ويدفن اسمه الشريف، ويقتل ذرّيته ويجعلهم نسيًا منسيًا.

وقد سار يزيد بن معاوية على تحقيق هذا الهدف أيضًا وتمكّن لحدٍّ كبير أن يقلب بعض المعادلات، وينشر الفساد والإفساد في المجتمع الإسلامي، فقد كان يمارس الفحشاء والمنكر والأعمال التي تخالف الإسلام علنًا، وأراد القضاء على شيعة أمير المؤمنين علي ﷺ، فكان يضع العيون عليهم أينما كانوا، وربما اعتقلهم وزجَّ بهم في قعر السجون ويأخذ بتعذيبهم ومن ثم إعدامهم، كما فعل أبوه من قبل، وأخيرًا سعى للقضاء على ذرّيّة الرسول الأكرمﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ فلا يبقى لهم اسم يذكر.

(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)(١)).

فإنَّهم وإن قتلوا ذرّيّة الرسول بأجمعهم فلم يبقَ منهم من أبناء الإمام الحسن المجتبى ﷺ سوى الحسن المثنى ومن أبناء الإمام الحسينﷺ سوى الإمام زين العابدينﷺ، إلَّا أنَّ الله -عز وجل- بارك في نسلهم إلى يومنا هذا.

لقد أدَّى الإمام السجاد ﷺ دورًا مهمًّا جدًا للإبقاء على الإسلام ومعارفه، في تلك الظروف القاسية، فأخذ بتربية أجيال من الفتيان والفتيات تربية صالحة..

فكان يشتري الكثير من العبيد والإماء وفي خلال فترة قصيرة كان ﷺ يشرع بتربيتهم وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية حيث يعلّمهم

(١) سورة التوبة: ٣٢.

القرآن وأحكامه، ويبيّن لهم سيرة رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ ومن ثم يقوم بتحريرهم وذلك بإعتاقهم في سبيل الله، ورويدًا رويدًا كان هؤلاء يدخلون المجتمع الإسلامي ويقومون بنشر أفكار الإمام ﷺ في أوساط الناس، حتى أنَّ مجموعة من تلك الإماء المتعلّمات وصلنَ إلى داخل القصر الأموي وضمن حريم بني أمية وشرعنَ بإيصال ظلامة أهل بيت النبوة ﷺ وكذلك تعليم المطالب الحقّة إلى نساء وأبناء السلاطين وحُجّاب بني أمية.

مدرسة الدعاء

مما لا شكّ فيه أنَّ الدعاء والضراعة إلى الله -عز وجل- يوجب تقوية روح الإنسان، فإنَّ طلب المعونة من القوة الإلهية تعين في قضاء الحوائج وتسهيل أمور الدين والدنيا، وغفران الذنوب بعد الموت في الآخرة.

وربما يخطر في ذهن البعض هذا السؤال:

إذا شاءت إرادة الله شفاء المريض مثلاً، فعندئذ لا حاجة إلى الدعاء، وإذا لم تشأ الإرادة الإلهية ذلك فلا أثر للدعاء حينئذ، فما هي فلسفة الدعاء؟

والجواب عن ذلك نقول: بأنَّ المسألة لا تنحصر في الحالتين المذكورتين، بل قد تتعلّق إرادة الله تعالى بواحدة من الحالات أدناه.. فمثلاً بالنسبة إلى المريض:

١ـ أحيانًا تشاء إرادة الله –تعالى- شفاء المريض من دون دعاء.

٢ـ وأحيانًا تشاء إرادة الله –تعالى- بحيث إذا دعا المريض تحسّنت حالته وشوفي، وإذا لم يدعُ لا يشفى.

٣ـ أحيانًا تشاء إرادة الله –تعالى- عدم شفاء المريض حتى بالدعاء وذلك لمصلحة يراها الباري -عز وجل-.

قال الإمام علي بن الحسين ﷺ: «الدعاء يدفع البلاء النازل وما لم ينزل»(١).

لماذا لا يستجاب الدعاء؟

ومما يسأله البعض أيضًا أنَّه لماذا لا يُستجاب الدعاء؟

والجواب: لماذا لا ينفع الدواء؟

وهذا جواب نقضي حسب الاصطلاح، والحلي: إنَّ الله –سبحانه- جعل للأمراض الدواء، وجعل لبعض الأمراض والمقاصد الدعاء، وكل واحد منهما في الجملة، لا على نحو الكلية، إذ الأمر دائر بين الثلاث:

(١) الكافي: ج٢ ص٤٦٩.

الأول: عدم الجعل مطلقًا.

والثاني: الجعل مطلقًا.

والثالث: الجعل في الجملة.

فالأول لا صحّة له؛ لأنه نقص في الخلقة، فكلُّ شيء قابل للخلقة وليس فيه محذور وجب أن يخلق؛ لأنّه مقتضى الفياضية المطلقة منه –سبحانه–.

والثاني: لا صحة له، وإلَّا لزم خلاف الحكمة، إذ بذلك تتغيّر الدنيا عن كونها دنيا هكذا، بل تكون جنة، والمفروض أنَّ الدنيا بهذه الكيفية نوع من الخلقة التي تتطلّب الخلق بلسان الواقع، والفياض يخلق كلّ شيء فيه الحكمة بأن لم يكن فيه محذور.

فيبقى الثالث.

فلا يقال: ما أكثر ما يشفي الدواء؟

لأنَّه يقال: وما أكثر ما استجيب الدعاء، فإنَّ أحدنا يذكر أنَّه دعا للدين، والفقر، والمرض، والولد، والعدو، وألف شيء وشيء واستجيب، نعم لا يستجاب الكل.

كما استعمل الدواء لعشرات الأمراض وشوفي، نعم ليس كل مرض يعالج بالدواء، وإلَّا لم يكن هناك مرض وموت وهرم وعقم ونقص خلقة وغيرها.

فالدعاء من الأسباب الكونية المعنوية، كالدواء، لا يصيب كله ولا يخيب كله، كسائر الأسباب والمسبّبات التي ليست علّة تامّة، وإنَّما لها شرائط وموانع ومعدّات وقواطع، إلى غير ذلك.

فقوله سبحانه: (ادعوني استجب لكم)(١) من باب المقتضي لا من باب العلّة التامّة.

كيفية الدعاء

كيف ينبغي الدعاء؟

وماذا نطلب من الله –عز وجل– في أدعيتنا؟

إنّ رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام وخاصّة الإمام زين العابدين عليه السلام قد بيَّنوا في رواياتهم وسيرتهم العملية أسلوب الدعاء،

(١) سورة غافر: ٦٠.

وشروطه وما يوجب الاستجابة وموانعها، وقد ورد عنهم الكثير من الأدعية التي تتضمّن سعادة الدنيا والآخرة.

قال رسول الله ﷺ: «خير وقت دعوتم الله -عز وجل- فيه الأسحار وتلا هذه الآية في قول يعقوب عليه السلام (سوف أستغفر لكم ربّي) وقال: أخرهم إلى السحر»(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «اغتنموا الدعاء عند أربع، عند قراءة القرآن وعند الأذان وعند نزول الغيث وعند التقاء الصفين للشهادة»(٢).

الصحيفة السّجّادية

إنَّ للصحيفة السّجاديّة دورًا مهمًّا جدًا في بيان المسائل العقائدية ومعرفة الأصول الإسلامية، وما يوجب سعادة الإنسان في كافة أبعاد الحياة.

فقد تناولت مختلف الجوانب العلمية والعملية في حياة الإنسان وتبين كيفية سلوكه مع ربّه ومع نفسه ومع الآخرين، فهي تشتمل على أصول الدين، والأخلاق، وعلم الاجتماع، والسياسة، والاقتصاد، وعلم النفس، وأهم المسائل الفكرية والثقافية، كلُّ ذلك في إطار الدعاء والمناجاة مع الباري -عز وجل-.

وبالطبع فإنَّ أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام هي أكثر بكثير مما في الصحيفة المذكورة، فإنّها لا تشمل جميع الأدعية.

إنَّ هذه الصحيفة السّجّادية المعروفة قام بنقلها وروايتها أحد أحفاد الإمام السجاد عليه السلام.

وقد حاز شرف شرحها علماء الإسلام عدّة مرّات وقاموا بطبعها تكرارًا ومرارًا.

وقد جمع بعض العلماء أدعية أخرى للإمام السجاد (٣) عليه السلام وهذه المجموعة أيضاً لا تعني جميع الأدعية كما لا يخفى.

إنَّ حياة الإمام علي بن الحسين عليه السلام وسيرته الطاهرة مليئة بمكارم الأخلاق وهي تشكل قسمًا مهمًّامن بحر فضائله ومكارمه، فكان الإمام عليه السلام خير دليل وأسوة للإنسان الصالح، وأفضل نموذج لكل البشرية في طريق الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤٧٧.

(٢) مكارم الأخلاق: ص٢٧١.

(٣) وقد طبع أخيراً كتاب يقع في أكثر من ٨٠٠ صفحة باسم (الصحيفة السجادة الجامعة) يشتمل على ٢٧٠ دعاء منقول عن الإمام السجاد -عليه السلام-، وقد تشرفت بطبعها مؤسسة الإمام المهدي -عليه السلام- في مدينة قم المقدسة.

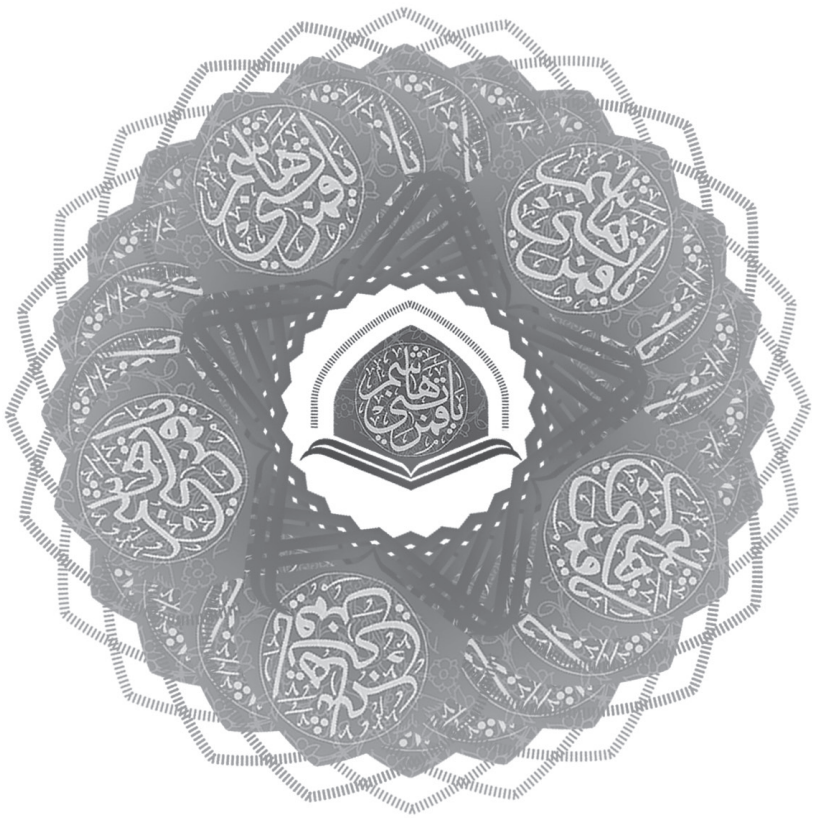

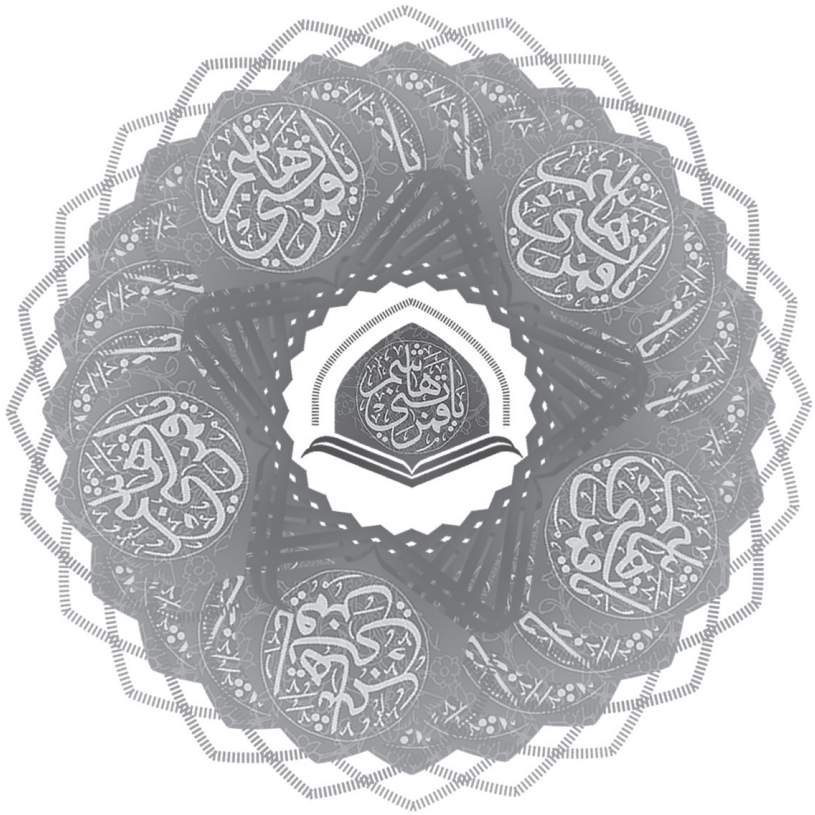

القيادة الرساليّة تكوينها في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام

أ.م. حيدر محمد هناء الشلاه

بسم الله الرحمن الرحيم

تعد القيادة من المفاهيم الفعّالة والمهمّة في حياة الإنسان في كل آن ومكان لما لها من تأثير واضح على واقع حياته، فالقائد المؤمن الرساليّ الناجح بمسؤولياته، المدرك لخطورتها يترك آثاراً إيجابية على مجتمعه ويقوده إلى الارتقاء والرفعة والسمو، أمّا القائد الظالم غير المدرك لمسؤولياته، يتسبّب في هلاك مجتمع كامل، وربّما أكثر من مجتمع. ولذا نجد القرآن الكريم أولى مسألة القيادة عناية كبيرة، وأكّد عليها في موارد كثيرة لينبّه الإنسان على أهميتها وآثارها في حياته.

في ضوء ما تقدّم نشرع بالدخول إلى شخصية نحتت لها عنواناً لامعاً مشرقاً سيبقى خالداً مدى الأزمان، وتركت لها أثراً سامياً تأبى أن تمحوه ذاكرة الزمان، وذلك لأنّه ذاب ذوباناً في حب خالقه واجب الوجود، فأفنى وجوده فداء لدين الإله الواحد المعبود، فجزاه الله تعالى في الدنيا الرفعة والخلود، وأعدّ له في الآخرة المقام المحمود، أعني به سيدي ومولاي صاحب اللواء والجود، أبا الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

إنّ عقلاء العالم اليوم، والمعنيين بشؤون التربية والتعليم يقفون عند سيرة المبدعين في المجالات كافة، فيتناولونها بالدراسة والتحليل؛ ليعرفوا الطريقة التي ساروا عليها والمنهج الذي نهجوه حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، ونحن في هذا البحث، نحاول الوقوف عند قمّة شمّاء من قمم الدوحة العلوية الطاهرة التي جادت على الإنسانية بأبطال قلّ نظيرهم، وهذه القمّة أبو الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ذلك البطل الهمام الذي ضرب لنا أروع الأمثلة في البطولة الإباء والفداء، حتى أصبح أنشودة

الأحرار، ورمز الأبطال، فكان قائدًا فذًّا حمل أسمى مفاهيم القيادة الرساليّة وجسّدها تجسيداً حقيقياً عند ساعات الابتلاء.

إنّ شخصية من هذا النوع حريّ بنا أن نوليها عناية واهتماماً كبيرين من أجل الاستفادة من تجربتها المعطاء في صنع القادة الرساليين في وقتٍ تعيش الأمّة أزمة حقيقة في هذا الميدان.

المطلب الأوّل: القيادة في اللغة والاصطلاح

أوّلاً: القيادة في اللغة:

تعرّف القيادة: بأنّها: القود نقيض السَّوق، يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها، فالقود من أمام والسوق من خلف، وجمع قائد الخيل قادة وقوّاد، وهو قائد بيّن القيادة، والقائد واحد القواد(١)، وقاد الأمير الجيش قيادة فهو قائد وجمعه قادة وقواد، وانقاد انقياداً في المطاوعة(٢) .

ثانياً: القيادة في الاصطلاح:

تعرّف القيادة في الاصطلاح بأنّها: ((القدرة على التأثير في سلوك الآخرين؛ لحملهم على القيام بعمل ما، بغية تحقيق هدف أو أهداف متّفق عليها. أو القدرة على معاملة الطبيعة البشرية، أو التأثير في السلوك البشري لتوجيه جماعة نحو هدف مشترك بطريقة تضمن بها طاعتهم وثقتهم واحترامهم وتعاونهم))(٣).

وعرّفت كذلك بأنَّها: ((الجسر الذي يستعمله المسؤولون؛ ليؤثروا في سلوك المرؤسين وتوجّهاتهم؛ ليربطوا بين أهداف الدولة وأهداف الفرد، وهي في مجملها تحمّل مسؤولية اتجاه المجموعة))(٤).

أمّا القيادة الرسالية، فإنّها ذات خصوصية إذ تحدّد بجملة خصائص، ويمكن تعريفها بأنَّها: هي نيابة ووكالة عامة عن أمور المسلمين، ويجب لمن يتصدى لها أن يتحلّى بمجموعة من الصفات أهمّها: أن يكون متّسماً بالتقوى، وعالماً بأمور زمانه، وشجاعاً، ومدبّراً، وهذه الصفات لا يمكن التحلّي بها إلَّا من خلال الاستلهام من سيرة النبي محمد ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام، والأولياء العظام(٥)، وهذا هو ما فعله سيدنا العباس بن علي عليه السلام الذي استلهم من النبي محمد ﷺ أروع القيم، وأنبل السجايا فصار نشيداً

---

(١) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن أبي مكرم بن منظور (ت٧١١هـ) تحقيق: عبد الله علي الكبير، وآخرون، ط١، مطبعة دار صادر، بيروت لبنان، ٢٠٠٠، مادة قود. وينظر: القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٦هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، مصر، ١٣٧١هـ. وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي،(ت١٢٠٥هـ)، ط١، دار ومكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، ١٣٠٦هـ، مادة (قود).

(٢) ينظر: المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري (ت٧٠٧هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مطبعة المكتبة العصرية، د.ت، ج٢، ص٥١٨.

(٣) ينظر: معجم مصطلحات الإدارة العامة، إبراهيم بدر شهاب، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٨، ص٢٤٦.

(٤) ينظر: القيادة في القرن الحادي والعشرين، محمد أكرم العدلوني، مطبعة قرطبة للنشر والتوزيع، السعودية ـ الرياض، ٢٠٠٥، ص١٨.

(٥) الإدارة والقيادة في الإسلام، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مطبعة سليمان زادة، إيران ـ قم المقدسة، ١٤٣٠هـ. ص٣٦.

للأحرار، وقدوة للثوار، ومناراً للقادة الأبرار.

المطلب الثاني: أهمية القيادة:

تعد القيادة من أكثر الموضوعات ذات التأثير في أوساط المجتمعات الإنسانيّة، وقد دار حولها الجدل على نطاق واسع من حيث أهدافها ومنهجيتها الفكرية والقيمية. فيمكن للقيادة أن تستخدم لغايات إنسانية نبيلة، كما يمكن لها أن تستخدم لغايات التلاعب والتناور والقمع، لهذا يمكن القول أنَّ التفكير في القيادة وفهمها يعد نوعاً من التّحدّيات الفكرية المركبة الصعبة(١).

ويستطيع دارسو القيادة أن يتعلّموا الكثير عن القيادة من خلال قراءة السيرة الذاتية لأحسن القادة وأسوأهم، وهناك فرص لا تحصى للتعلّم عن القيادة التي تشحذ مهارات المتعلّمين في مجال الخطابة، والحوار، والمناظرة، والتفاوض، والتخطيط.

يقول غاردنر: ((ما نتعلّمه بعد أن نعرف الشيء كله هو التعلّم الحقيقي، والقائد هو الذي يتعلّم كيف يتدبّر وقته بحكمة، وهو الذي يتعلّم أن يضع جانباً روتين الكسل والتبلّد والعادات التي تستعبده. القائد الذي يتعلّم أنَّ الشفقة على الذات، أو جلد الذات، والامتعاض والغيظ والاستياء هي مواد سامة، القائد هو الذي يتعلّم كيف يصبح حقاً مشاركاً ومهتماً بالآخرين، كما أنّ القائد هو الذي يعلم باستمرار بأنّ لديه ما يعطي أكثر ممّا سبق وأعطى))(٢).

أمّا قوة القادة فهي تمنح لهم طوعاً من التابعين والذين يقبلون توجيهات القائد من خلال الموافقة المشتركة؛ فهؤلاء القادة يمارسون قوة اؤتمنت لهم برغبة التابعين الذين تأثّروا بأفكار قادتهم وانجذبوا لها، وشاركوهم بقيمهم ومعتقداتهم، واقتنعوا بأنّ قادتهم قادرون على أن يمثلوهم بأمانة وأن يثقوا بهم على ما تعاهدوا عليه والتزموا به.

إنّ مسألة الفرق بين قوة القائد المستمدة من المنصب؛ والمستمدة من أتباعه تكمن فيمن يتحكّم بهذه القوة. مراراً ما يكون الأتباع مصدر القوة، فهم قادرون على سحب الدعم الذي طالما منحوه لقائدهم طوعاً، كما يستطيعون أن يزيدوا من دعمهم لهم فيزداد القائد قوّة(٣).

والقيادة ليست مجرد نمط إداري للتعامل مع الأفراد، ولا هي مجرد طريقة للتصرّف مع العاملين؛ بل هي آلية للتعامل مع الآخرين لتحقيق أهداف المنظمة.

ويتوقّف إنجاز القادة لهذا العمل على كيفية تفسيرهم لمعنى القيادة، ويتحدّد معنى القيادة بنوع العلاقة القائمة بين القادة والتابعين.

(١) القيادة التربوية، كمال سليم دواني، ط١، دار المسيرة، عمان ـ الأردن، ٢٠١٣، ص١٣.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤.
(٣) كمال سليم دواني، المصدر السابق، ص٢٠.

وفي ضوء ما تقدّم يمكننا القول أنَّ أبا الفضل العباس عليه السلام كان قائدًا رسالياً من الطراز الأول، فقد أجاد التعامل مع تابعيه، كما أجل التعامل مع إمامه وأخيه أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

المطلب الثالث: شروط القائد:

كثرت الأبحاث النفسية والتربوية على مجموعة من القادة، من أجل تحديد مقوّمات القيادة، وشروط القائد الناجح، وهناك مجموعة من الشروط التي ينبغي توافرها في القائد، ومن أهمّها:

- **الإيمان بالهدف**: ومعنى ذلك أنَّ القائد قبل كل شيء يجب أن يكون مؤمنًا بدينه، وعقيدته إيماناً عميقاً لأنَّ ذلك هو الباعث الحقيقي لأداء التكاليف الملقاة على عاتقه.(١)
- **العلم والقدرة**: إنَّ المراد من العلم هنا ما يتناغم وينسجم مع عمل المدير والقائد ويؤثّر في تدبيره وقيادته بشكل حاسم، وقسم من هذين الصفتين المهمين ذاتي في الإنسان، وقسم يكتسب من خلال التجربة.
- **الأمانة والصدق**: لا تنحصر الأمانة في حفظ الأموال بل الأمانة في كلّ مقام ومنصب تعد أيضًا مصداقًا لهذا المفهوم الواسع للأمانة، فالأمين في هذا المورد هو الذي يحافظ على أسرار مؤسسته والتشكيلات التي تحت يديه.(٢)
- **الدافع**: ويتضمّن الإنجاز، والطموح، والطاقة، والقدرة على التذكر، والمبادرة.
- **دافعية القيادة**: أظهرت الدراسات أنَّ لدى القادة نوعين من الدافعية نحو القيادة، وكلاهما يتعلقان بالهيمنة كصفة قيادية، فتارة تكون الهيمنة قوة دافعية شخصانية، وأخرى قوة دافعية اجتماعية، فالذين يحملون القوة الدافعية الشخصانية يبحث عن القوة بحد ذاتها، فهؤلاء الأشخاص يستخدمون القوة من أجل الهيمنة على الآخرين، وربما يعزى ذلك إلى الشّك وعدم الثقة بالنفس، أم صفة القوة الدافعية الاجتماعية، فهو الذي يستخدم القوة كوسيلة لإنجاز أهداف مرغوبة أو لإنجاز رؤية(٣).
- **النزاهة والاستقامة**: مع أنَّ صفة النزاهة أو الصدق فضيلتان يحسن توافرهما في الأفراد جميعاً، غير أنّ توافرها في القادة له أهميته الخاصة فالاستقامة هي التواصل الحقيقي بين الأقوال والأفعال، كما أنَّ النزاهة تعني الصدق وعدم الخداع، إنَّهما صفتان تشكلان الأساس للعلاقة القائمة على الثقة بين القائد والأتباع.
- **الثّقة بالنّفس**: تأتي أهمية الثقة بالنفس، من أهمية القرارات الحاسمة التي تتطلّب ثقة عالية من القائد بنفسه.
- **الاستقرار العاطفي**: من صفات القائد المهمّة أن يكون متوازناً بمزاجه وانفعالاته، وقد وجد الباحثون في (مركز الإبداع

(١) ينظر: الإدارة والقيادة في الإسلام، ص١١٥.
(٢)المصدر نفسه، ص١١٨.
(٣) القيادة التربوية، ص٣٩.

القيادي) أنَّ القادة غالباً ما ينحرفون عن الخط السليم عندما يفتقرون إلى الثبات العاطفي(١).

إنّ التأمّل والتدبّر فيما مضى من الشروط التي ينبغي توافرها في القائد الناجح ـ كما توصّل إليها علماء النفس والتربية ـ نجدها وغيرها تتجلى بأبهى صورها في شخصيّة سيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام، فقد كان مؤمناً إيمانًا مطلقًا بهدفه، وعالماً به قادرًا على تطبيقه، وكان على أعلى درجات الأمانة والصدق، فلم يهن ولم ينكل، وكان لديه دافعاً كبيراً، ودافعية عالية لتحقيق هدف، والذود عن حمى الإسلام، وكان في قمة النزاهة، والثقة بالنفس، والاستقرار العاطفي، بل إنّه استثمر العاطفة الجيّاشة في بلوغ الهدف، فعندما استهالوه -الأطفال والنساء- لجلب الماء إلى المخيم تأثر لذلك بشدة، فكانت نتيجة تأثره أن شدّ عزيمته، وهجم على أعدائه، فأزالهم وفتك بهم.

المطلب الرابع: المسؤوليّات والوظائف العشر التي ينبغي توافرها في القائد:

يمكن القول أنّ هناك عشر وظائف أساسية للمدير، هي:

١- **اتخاذ القرار**: يجب على المدير قبل كلّ شيء، ومن أجل المهام والوظائف الملقاة على عاتقه، أن يضع القرارات التي ينبغي العمل بها لتساعده على تحقيق هدفه والوصول إلى مقصوده، ولذا لا بد له من الاستعانة بالمعلومات والخبرات السابقة، وكذلك الاستعانة بالمشورة(٢).

٢- **البرمجة والتخطيط**: بعد مرحلة اتخاذ القرار، تبدأ مرحلة التنفيذ والممارسة الميدانية، وهي مرحلة الحاجة إلى التخطيط، فبدون عملية التخطيط لا يمكن الدخول إلى ميدان الممارسة والعمل.

٣- **التنظيم**: الهدف من التنظيم تقسيم العمل في مجموعة من النشاطات بحيث يضمن تنظيم الأمور، ومن أجل إنجاح عملية التنظيم ينبغي الأخذ بأشكال التخصص العلمي والعملي، والالتزام الأخلاقي وسائر العناصر التي تدخل في عملية إنجاح المشروع.

٤- **إيجاد الانضباط والتنسيق**: يجب أن يكون القائد أو المدير قادراً على التنسيق وإيجاد الانضباط بين مفاصل المكان الذي يقوده أو يديره، وذلك من خلال الحفاظ على علاقته مع أفراد الدائرة والذين يعملون تحت إمرته، ويعمل على تقوية هذه العلاقة بشكل مباشر أو غير مباشر، فهو يملك دور المنسّق، ولا يمكن أن يتغافل عن هذا الدور المهم، لأنّ وجود أفراد جيدين ومفردات جيدة لا يعني النجاح الأكيد، فالمهم هو إيجاد التنسيق والتركيب الصحيح والمتجانس بين هذه المفردات، وهذا هو الذي يضمن نجاح

(١) القيادة التربوية، ص٤٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٨

العمل.

٥- إيجاد المحرّك والدافع.

٦- التفكير بالحل للمشاكل والحوادث غير المتوقعة.

٧- تقييم عوامل النجاح والإخفاق ودراستها.

٨- جمع المعلومات والإحصائيات.

٩- جذب العناصر الصالحة.

١٠- عنصر التشويق والتوبيخ(١).

كما توافرت في أبي الفضل العباس عليه السلام شروط القائد الناجح بأبهى صورها، فإنّ مسؤوليات القيادة ووظائفها تجلّت بشخصيّته المباركة بأروع مناظرها.

المطلب الخامس: تكوين القيادة الرساليّة في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام:

لم تتكوّن الشخصيّة القياديّة عند سيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام بنحوٍ عفويّ، أو بصورة غير مقصودة، وإنَّما كان نتيجة لمشروع إلهي مدروس بعناية كبيرة، وهذا أمر مصرّح به وثابت تاريخياً، وكان لهذا المشروع مراحل عدّة ساهمت هذه المراحل جميعها فيما بعد في تكوين هذه الشخصية وإعدادها إعدادًا محكمًا؛ لتؤدّي الدور الرساليّ المرسوم لها فيما بعد، وفيما يأتي نحاول الوقوف عند كلّ مرحلة من هذه المراحل؛ لتحليلها، ومعرفة أثرها من أجل الاستفادة منها.

المرحلة الأولى: قبل الولادة:

يؤكد علماء التربية على عاملين أساسين يؤثّران تأثيرًا كبيرًا في تكوين شخصية الفرد، وهذان العاملان هما الوراثة والبيئة، وقد تهيّأ هذان العاملان بأروع صورهما في شخصية أبي الفضل العباس بن علي عليهما السلام.

وقد ظهرت في أبي الفضل الشجاعتان الهاشمية التي هي الأربى والأرقى، فمن ناحية أبيه سيّد الوصيّين، والعامرية فمن ناحية أُمّه أُمّ البنين.

من هنا ظهر العامل الوراثي(٢) متألقاً لديه في الأبوين كليهما، أمّا من جهة الأب فإنَّ للعباس عليه السلام نسباً يغبطه عليه سائر

(١) القيادة التربوية، ص٤٧ ـ٥٢.

(٢) عرّفت الوراثة بأنّها ميل طبيعي في الفرع لمشابهة أصله في تكوينه الجسماني، وفي وظائف أعضائه. (الفكر التربوي في الإسلام(دراسة مقارنة)، باقر شريف القرشي، ط١، مطبعة شريعت، إيران ـ قم المقدسة، ١٤٢٧ه. ص٥٩.

الخلق فهو العبّاس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.(١)

امتلك والده صفات لم توجد ولن توجد في شخص غيره ما خلا رسول الله ﷺ فهو وصيّ رسول الله ﷺ، وباب مدينة علمه، وزوج حبيبته، وهو أول من آمن بالله تعالى، وصدّق رسوله وكان منه بمنزلة هارون من موسى، وهو بطل الإِسلام، والمدافع الأول عن كلمة التوحيد، وقد قاتل الأَقربين والأَبعدين من أجل نشر رسالة الإِسلام وإشاعة أهدافه العظيمة بين الناس، وقد تمثّلت بهذا الإمام العظيم جميع فضائل الدنيا، فلا يدانيه أحد في فضله وعلمه، وهو بإجماع المسلمين أثرى شخصية علمية في مواهبه وعبقرياته بعد الرسول محمد ﷺ، وهو غنيّ عن البيان والتعريف، فقد استوعبت فضائله ومناقبه جميع لغات الأَرض... ويكفي العباس شرفاً وفخراً أنّه فرع من دوحة الإِمامة، وأخ لسبطي رسول الله ﷺ.(٢) وهذه المحاسن كلّها كان للعباس عليه السلام نصيب وافر منها بحكم العامل الوراثي، فأسهمت إسهاماً كبيراً في تكوين الشخصية القياديّة ذات البعد الرساليّ.

وأمّا من جهة الأمّ تنتمي السيدة أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية إلى أسرة عربية أصيلة عرفت بالصبر والشجاعة والثبات، فإنَّ من قومها أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، جدّ ثمامة والدة أم البنين، وهو الجدّ الثاني لأُمّ البنين، قيل له: ملاعب الأسنّة، لفروسيته وشجاعته، لقّبه بذلك حسّان لما رآه يقاتل الفرسان وحده وقد أحاطوا به قال: ما هذا إلاّ ملاعب الأسنة. وقيل: إنّ أوس بن حجر قال فيه:

فَراح لَهُ حظُّ الكتائِبِ أجمعُ يلاعب أطراف الأسنّة عامرُ(٣).

ومنهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو أخو عمرة، الجدّة الأوّلى لأُمّ البنين، كان عامر أسود أهل زمانه، وأشهر فرسان العرب بأساً ونجدة، وأبعدها اسماً، ومنهم عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب، والد كبشة، الجدّة الثانية لأُمّ البنين، كان وفّاداً على الملوك، وله قدر عندهم، ومن هنا سُمّي الرحّال، وهو الذي أجاز لطيمة النعمان التي كان يبعث بها كُلّ عام إلى سوق عكاظ، فقتله البراض بن قيس الكناني، وبسببه هاجت حرب الفجار بين حي خندف وقيس. ومنهم الطفيل، فارس قرزل، وهو والد عمرة، الجدّة الأُولى لأُمّ البنين، كان معروفاً بالشجاعة والفروسية، وهو أخو ملاعب الأسنّة، وربيعة وعبيدة ومعاوية بنو جعفر بن كلاب يقال لأُمهم: أُمّ البنين.(٤) كل هؤلاء الفرسان الشجعان هم من أسرة أم البنين وقد عرفوا بالنزعات

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين(١٣٧١هـ)، ج٧، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، لبنان ـ بيروت، ١٩٨٣م. ص٤٢٩.

(٢) العباس بن علي عليه السلام رائد الكرامة والفداء في الإسلام، الشيخ باقر شريف القرشي، ج ٣، د.ط، د.ت. ص١.

(٣) الأمالي، السيد أبو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين الشريف المرتضى(ت٤٣٦هـ)، تصحيح وتعليق: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط١، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران ـ قم المقدسة، ١٩٠٧م.ص١٣٧.

(٤) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي(ت٥٧٣هـ)، ج١، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي(ع) بإشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، ط١، المطبعة العلمية، إيران ـ قم، ١٤٠٩هـ. ص٣٣.

الكريمة، والصفات الرفيعة، وبحكم قانون الوراثة فقد انتقلت صفاتهم الشريفة إلى نسلها الطيّب.

تزوّج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة بنت حزام العامرية، بعد وفاة الصديقة سيّدة النساء كما يراه بعض المؤرّخين(١)، أو بعد أن تزوّج بأُمامة بنت زينب بنت رسول الله كما يراه البعض الآخر(٢).

وتشير المصادر التاريخية أنَّ الإمام علياً عليه السلام قبل زواجه من فاطمة بنت حزام الكلابيّة، أفصح عن سبب هذا الزواج صراحة إذ قال لأخيه عقيل، وهو يكلّفه باختيار زوجة له: (أُنظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوّجها، فتلد لي غلاماً فارساً) (٣).

وهذا السبب يظهر بوضوح أنَّ الإمام علي عليه السلام أراد الزواج؛ ليرزق بغلام فيه صفة الشجاعة والفروسية؛ ليكون فيما بعد ناصراً لأخيه الحسين عليه السلام في معركة كربلاء، وهنا جاءت نصيحة أخيه عقيل، بناءً على طلب أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: ((أين أنت عن فاطمة بنت حزام الكلابية، فإنَّه ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس))(٤).

وفعلاً تمّ زواج هذه المرأة من الإمام علي عليه السلام ورزق منها العباس عليه السلام وإخوته الثلاثة الذين كانوا في قمّة الشجاعة والبطولة والفروسية في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، إنّ هذه الحادثة تضعنا أمام حقيقة تربوية مهمة ينبغي لكل إنسان الاستفادة منها قبل أن يقبل على الزواج، وهي البحث عن امرأة فيها وفي عائلتها الخصال الحسنة، حتى تنتقل فيما بعد إلى ذرّيّتها، ولذا ورد التأكيد كثيراً على البحث عن الزوجة المناسبة، منها قوله صلى الله عليه وآله: (الخال أحد الضجيعين، فتخيّروا لنطفكم)(٥) وهذا ما يصطلح عليه تربوياً بالعامل الوراثي الذي أكّدت عليه روايات النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وكذلك أكّد عليه العلم الحديث.

لقد كان زواج الإمام علي عليه السلام من أمّ البنين مشروعاً إلهيّاً، هدفه استمرار رسالة السماء، وهذا هو الهدف الأساس الذي ينشده الأنبياء والأئمة عليهم السلام وفي طليعة هذه الثلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. الذي كان عنصراً أساسياً، وركيزة كبرى قامت عليها شريعة الله تعالى في الأرض وساهم بكلّ قواه وطاقاته في حفظها واستمرارها، ومن ذلك التدبير والإعداد لمعركة العقيدة والإباء معركة كربلاء.

---

(١) أعيان الشيعة، ج١، ص١٦٨.

(٢) عقيل بن أبي طالب، الأحمدي الميجاني، تحقيق ومراجعة: مجتبى فرجي، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر، إيران ـ قم المقدسة، ١٤٢٥هـ. ص٢٧.

(٣) ينظر، سر السلسلة العلوية، سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان أبو نصر البخاري(٣٤١هـ)، تقديم وتعليق: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط١، المطبعة الحيدرية، العراق ـ النجف الأشرف، ١٤١٣هـ. ص٨٨. عمدة الطالب، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة(ت٨٢٨هـ)، تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني، ط٢، منشورات المطبعة الحيدرية، العراق ـ النجف الأشرف، ١٩٦١م. ص٣٥٧.

(٤) أعيان الشيعة، ص٣٨٩.

(٥) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري(١٢٦٦هـ)، ج٢٩، تحقيق وتعليق: محمود القوجاني، تصحيح: إبراهيم الميجاني، ط٢، دار الكتب الإسلامية، إيران ـ طهران، ١٣٦٦ش. ص٣٧.

المرحلة الثانية: عند الولادة:

يعد أبو الفضل العباس عليه السلام أوّل مولود للسيّدة أمّ البنين عليها السلام، وقد ازدهرت يثرب، وأشرقت الدنيا بولادته وسرت موجات من الفرح والسرور بين أفراد الأَسرة العلوية، فقد ولد قمرهم المشرق الذي أضاء سماء الدنيا بفضائله ومآثره، وأضاف إلى الهاشميين مجداً خالداً وذكراً نديّاً عاطراً.

وحينما بُشِّر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المولود المبارك سارع إلى الدار فتناوله، وأوسعه تقبيلاً، وأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، لقد كان أوّل صوت قد اخترق سمعه صوت أبيه رائد الإيمان والتقوى في الأَرض، وأنشودة ذلك الصوت. « الله أكبر... ». « لا إله إلّا الله ». وارتسمت هذه الكلمات العظيمة التي هي رسالة الأَنبياء، وأنشودة المتّقين في أعماق أبي الفضل، وانطبعت في دخائل ذاته، حتى صارت من أبرز عناصره، فتبنى الدعوة إليها في مستقبل حياته، وتقطّعت أوصاله في سبيلها، فكان بحق قائداً رسالياً.

وقد أفاد بعض المحقّقين أنَّ أبا الفضل العباس عليه السلام وُلد سنة (٢٦ هـ) في اليوم الرابع من شهر شعبان.

وقد كانت لهذه المرحلة ملامحها الخاصّة في تكوين القيادة الرساليّة عند أبي الفضل العباس عليه السلام، ومن أهمّها:

تسميته: بدأت ملامح القيادة الرساليّة في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام، لحظة ولادته، وذلك عندما اختار له والده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام اسماً يتناسب مع الدور الذي ينتظره في المستقبل، فسمّاه (العبّاس) وقد استشفّ من وراء الغيب أنّه سيكون بطلاً من أبطال الإسلام، وسيكون عبوساً في وجه المنكر والباطل، ومنطلق البسمات في وجه الخير، وكان كما تنبّأ فقد كان عبوساً في ميادين الحروب التي أثارتها القوى المعادية لأهل البيت عليهم السلام، فقد دمّر كتائبها وجندل أبطالها، وخيّم الموت على جميع قطعات الجيش في يوم كربلاء(١). والجدير بالذكر أنَّ العبّاس هو اسم من أسماء الأسد. والأسد مضرب الأمثال في الشجاعة والإقدام والقيادة. وكان لهذا الاسم أثراً بالغاً على شخصيّة أبي الفضل العباس القيادية فيما بعد.

وهنا ينبغي الإشارة إلى ضرورة العناية باختيار اسم مناسب يعلي من شأن أبنائهم، ويرسم لهم ملامح الإبداع والتميّز كما صنع أمير المؤمنين عليه السلام مع أبنائه الكرام.

تقبيل الإمام علي يدي أبي الفضل العباس عليه السلام:

يمثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الأنموذج الأرقى في تاريخ البشرية في شتّى المجالات والميادين الحياتية، ومنها ميدان التربية، فلم يكن يخلّف الأبناء لإشباع شهوة، أو لإرضاء غريزة، وإنّما كانت لديه أهداف نبيلة يروم تحقيقها من وراء إنجاب الذّرّية التي

(١) العباس بن علي عليه السلام رائد الكرامة والفداء في الإسلام، ص٣١.

عرفت فيما بعد بأفضل ذرية عرفتها البشرية، ولذا فإنّ الإمام علياً عليه السلام أولى وليده أبا الفضل عناية كبيرة كباقي أولاده منذ طفولته، وغذّاه من صفاته النفسية والتربوية الرائعة، وكان يحنو عليه ويوسعه لثماً وتقبيلاً، حتى إنّه ذات مرّة أجلسه في حجره فشمّر العبّاس عن ساعديه، فجعل الإمام يقبّلهما، وهو غارق في البكاء، فبهرت أمّ البنين، وراحت تقول للإمام: ما يبكيك ؟

فأجابها الإمام بصوت خافت حزين النبرات:

نظرت إلى هذين الكفّين، وتذكّرت ما يجري عليهما.

وسارعت أمّ البنين بلهفة قائلة: ماذا يجري عليهما ؟

فأجابها الإمام بنبرات مليئة بالأَسى والحزن قائلاً: إنّهما يقطعان من الزند.

تأثّرت أمّ البنين كثيراً بهذا الخبر، وذاب قلبها، وسارعت وهي مذهولة قائلة: لماذا يقطعان وهنا أظهر مظهر العزة والشموخ والفخر في قطع كفي أبي الفضل العباس عليه السلام فأخبرها الإمام عليه السلام بأنّهما إنّما يقطعان في نصرة الإسلام والذبّ عن أخيه حامي شريعة الله ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله.(١).

والجدير بالذكر أنَّ المربّي يجب عليه أن لا يكون بعيداً عن أبنائه، بل عليه أن يكون قريباً عليهم ويشملهم بعطفه ورعايته ليشعرهم بالعطف والحنان والانتماء، وبالتالي يمكنه توجيههم بالنهج الصحيح، ويضمن استجابتهم له.

المرحلة الثانية: النشأة والتربية:

وهنا نقف عند محطّة جديدة من محطّات بناء الشخصيّة القيادية لأبي الفضل العبّاس عليه السلام، وهي مرحلة التنشئة، فقد نشأ العباس عليه السلام في ظلال أبيه رائد العدالة الاجتماعية في الأَرض، فغذّاه بعلومه وتقواه، وأشاع في نفسه النزعات الشريفة، والعادات الطيّبة ليكون مثالاً عنه، وأنموذجاً لمثله، كما غرست أمّه السيّدة فاطمة في نفسه، جميع صفات الفضيلة والكمال، وغذّته بحبّ الخالق العظيم فجعلته في أيّام طفولته يتطلّع إلى مرضاته وطاعته، وظلّ ذلك ملازماً له طوال حياته.

زيادة على ذلك فقد لازم أبو الفضل أخويه السبطين ريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة فكان يتلقّى منهما قواعد الفضيلة، وأسس الآداب الرفيعة، أمّا أخوه أبو الشهداء الإمام الحسين عليه السلام فكانت له علاقة خاصّة به، إذ كان لا يفارقه في حلّه وترحاله، لذا قد تأثّر بسلوكه، وانطبعت في قرارة نفسه مُثُله الكريمة وسجاياه الحميدة حتى صار صورة صادقة عنه يحكيه في مثله واتجاهاته، وقد أخلص له الإمام الحسين عليه السلام كأعظم ما يكون الإخلاص وقدّمه على جميع أهل بيته لما رأى منه

(١) العباس بن علي عليه السلام رائد الكرامة والفداء في الإسلام، ص٣١.

من الودّ الصادق له حتى فداه بنفسه. ويمكن القول أنَّ المكوّنات التربوية الصالحة التي ظفر بها سيّدنا أبو الفضل العبّاس ﷺ قد رفعته إلى مستوى القادّة الرساليّن الذين غيّروا مجرى تاريخ البشرية بما قدّموه لها من التضحيات الهائلة في سبيل قضاياها المصيرية، وإنقاذها من ظلمات الذلّ والعبودية.

لقد نشأ أبو الفضل على التضحية والفداء من أجل إعلاء كلمة الحقّ، ورفع رسالة الإِسلام الهادفة إلى تحرير إرادة الإِنسان، وبناء مجتمع أفضل تسوده العدالة والمحبة، والإِيثار، وقد تأثّر العباس ﷺ بهذه المبادئ العظيمة وناضل في سبيلها كأشدّ ما يكون النضال، فقد غرسها في أعماق نفسه، ودخائل ذاته، أبوه الإِمام أمير المؤمنين وأخواه الحسن والحسين ﷺ، هؤلاء العظام الذين حملوا مشعل الحرية والكرامة، وفتحوا الآفاق المشرقة لجميع شعوب العالم وأُمم الأَرض من أجل كرامتهم وحرّيتهم، ومن أجل أن تسود العدالة والقيم الكريمة بين الناس نشأ في كنفهم أبو الفضل العباس ﷺ ونهل من نمير علومهم، فناله من عطائهم ما ناله حتى غدا رمزًا خالدًا من رموز الإنسانية.

الخاتمة

بعد هذه الجولة العلمية التاريخية التحليلية في رحاب سيدي ومولاي أبي الفضل العباس ﷺ، أقف متصاغراً أمام مقامه السامي، وشخصيته المتألقة، لأستخلص بعض النتائج التي يمكن استنتاجها من البحث، وهي:

إنّ الإعداد المسبق لشخصية الفرد يعد أساساً مهماً لا نبالغ إذا قلنا أنّه يعدل وجود الفرد بأسره، لما له من تأثير كبير على الحياة المستقبلية للفرد.

إنّ العباس بن علي ﷺ لم يكن مولوداً عفويّاً، وإنّما كان يمثّل مشروعاً إلهياً اتضحت معالمه فيما بعد.

إنّ العباس ﷺ ضرب لنا أروع الأمثلة في التّألّق والإبداع التي تجعل الأئمة المعصومين يثنون عليه ويعظّمون شأنه، ويجللون قدره.

إنّ الشخصية المباركة لسيدنا أبي الفضل العباس بما تمتلكه من مؤهلات القيادة الرساليّة ذكرنا بعضها، وبقي الكثير لم نذكره لضيق المقام، يستحق أن يكون مادة علمية متكاملة يدرس للقادة والزعماء، ولاسيّما وهو يجمع بين النظرية والتطبيق.

المصادر

القرآن الكريم

١. إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمد بن طاهر الموسوي، تحقيق: محمد جعفر الطبسي، ط١، مطبعة المكتبة الحيدرية، إيران ـ قم المقدسة، ١٣٨٤ش.

٢. الإدارة والقيادة في الإسلام، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مطبعة سليمان زادة، إيران ـ قم المقدسة، ١٤٣٠هـ.

٣. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين(١٣٧١هـ)، ج٧، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، لبنان ـ بيروت، ١٩٨٣م.

٤. الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، إيران ـ قم المقدسة، ١٤١٧هـ.

٥. الأمالي، أبو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين الشريف المرتضى(ت٤٣٦هـ)، تصحيح وتعليق: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط١، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران ـ قم المقدسة، ١٩٠٧م.

٦. البالغون الفتح في كربلاء، عبد الأمير القريشي، ط١، بيت العلم للنابهين، لبنان ـ بيروت، ٢٠٠٨م.

٧. تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي،(ت١٢٠٥هـ)، ط١، دار ومكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، ١٣٠٦هـ.

٨. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ)، ج٦، ط٤، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة خورشيد، إيران ـ طهران، ١٣٦٥ش.

٩. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري(١٢٦٦هـ)، ج٢٩، تحقيق وتعليق: محمود القوجاني، تصحيح: إبراهيم الميجاني، ط٢، دار الكتب الإسلامية، إيران ـ طهران، ١٣٦٦ش.

١٠. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي(ت٥٧٣هـ)، ج١، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي(عجل الله فرجه) بإشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، ط١، المطبعة العلمية، إيران ـ قم، ١٤٠٩هـ.

١١. الخصائص العباسية، محمد إبراهيم الكلباسي النجفي، ط٢، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ـ بيروت، ٢٠٠٧م.

١٢. الخصال، الشيخ الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين، إيران ـ قم المقدسة، ١٤٠٣هـ.

١٣. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى(ت٤٣٦هـ)، ج٤، إعداد: السيد أحمد الحسيني، ط١، مطبعة الخيام، إيران ـ قم، ١٤١٠هـ.

١٤. سر السلسلة العلوية، سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان أبو نصر البخاري(٣٤١هـ)، تقديم وتعليق: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط١، المطبعة الحيدرية، العراق ـ النجف الأشرف، ١٤١٣هـ.

١٥. العباس بن علي عليه السلام رائد الكرامة والفداء في الإسلام، الشيخ باقر شريف القرشي، ج ٣، د.ط، د.ت.

١٦. عقيل بن أبي طالب، الأحمدي الميجاني، تحقيق ومراجعة: مجتبى فرجي، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر، إيران ـ قم المقدسة، ١٤٢٥هـ.

١٧. عمدة الطالب، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة(ت٨٢٨هـ)، تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني، ط٢، منشورات المطبعة الحيدرية، العراق ـ النجف الأشرف، ١٩٦١م.

١٨. الفكر التربوي في الإسلام(دراسة مقارنة)، باقر شريف القرشي، ط١، مطبعة شريعت، إيران ـ قم المقدسة، ١٤٢٧ه.

١٩. القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٦هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، مصر، ١٣٧١هـ.

٢٠. القيادة التربوية، كمال سليم دواني، ط١، دار المسيرة، عمان ـ الأردن، ٢٠١٣م.

٢١. القيادة في القرن الحادي والعشرين، محمد أكرم العدلوني، مطبعة قرطبة للنشر والتوزيع، السعودية ـ الرياض، ٢٠٠٥م.

٢٢. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه(٣٦٧هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ.

٢٣. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن أبي مكرم بن منظور (ت٧١١هـ) تحقيق: عبد الله علي الكبير، وآخرون، ط١، مطبعة دار صادر، بيروت لبنان، ٢٠٠٠م.

٢٤. المزار، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم أبو عبد الله العكبري البغدادي(ت٤١٣هـ)، ط٢، تحقيق: السيد محمد باقر الأبطحي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ـ بيروت، ١٩٩٣م.

٢٥. مصباح المتهجد، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)، ط١، مؤسسة فقه الشيعة، لبنان ـ بيروت، ١٩٩١م.

٢٦. المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري (ت٧٠٧هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مطبعة المكتبة العصرية، د.ت.

٢٧. معجم مصطلحات الإدارة العامة، إبراهيم بدر شهاب، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٨م.

٢٨. المقنعة، الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المفيد(٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم المقدسة، ط٢، ١٤١٠هـ.

٢٩. منازل السائرين، عبد الله الأنصاري الهروي، ج١، دار الكتب العلمية، لبنان ـ بيروت،١٩٨٨م.

٣٠. منتهى المطلب، العلامة الحلي(ت٧٢٦هـ)، ج٢، ط١، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، إيران ـ مشهد، ١٤١٣هـ.

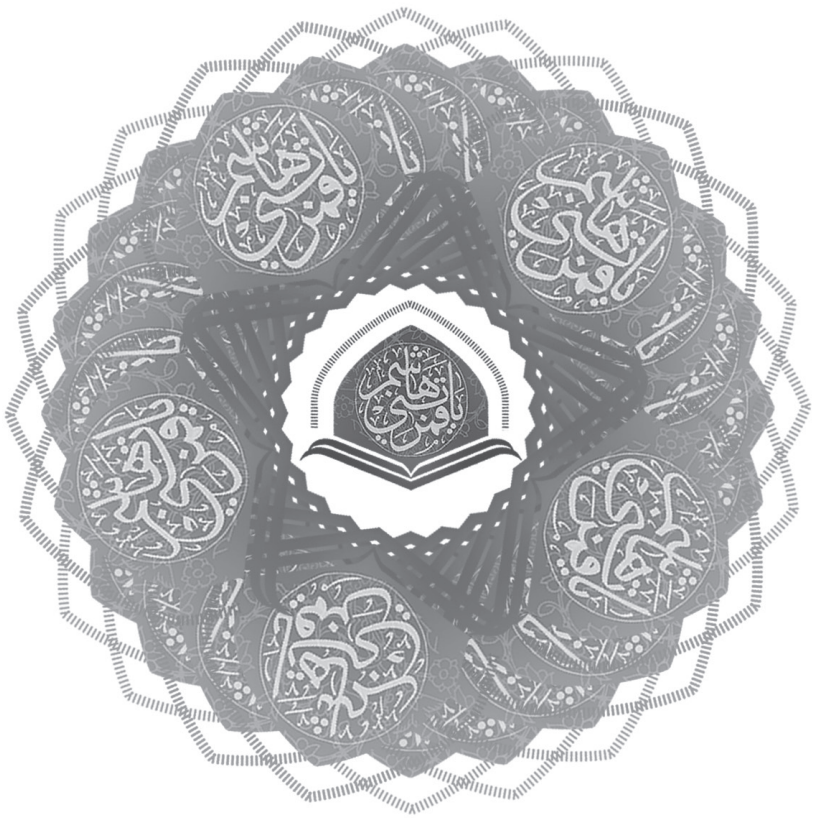

بسم الله الرحمن الرحيم
قُلْ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ

شهـر صفر

- الإمام الباقر عليه السلام وانبثاق الجامعة الكبرى.
- الإمام المجتبى عليه السلام بين المناقبيات والظلامات.
- من فكر الإمام الرضا عليه السلام علاقة الإنسان بنفسه وربه.
- حوار مع المعصومين عليهم السلام حول زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

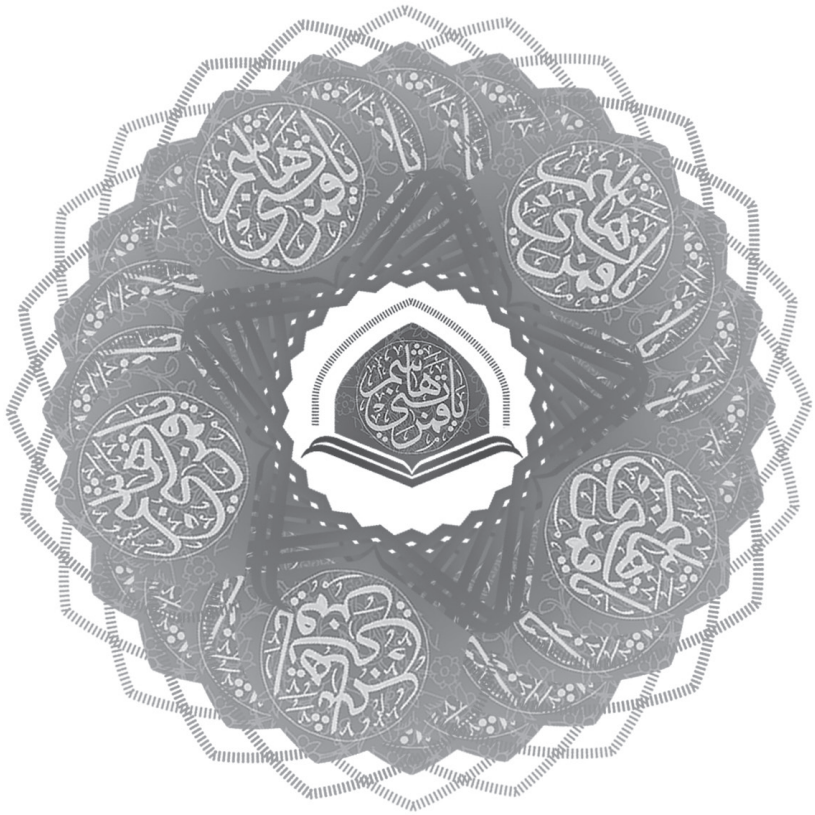

الإمام الباقر عليه السلام وانبثاق الجامعة الكبرى

رسول محمد التميمي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق البرية ومحور النجاة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، أما بعد..

في ظل الارتقاء والسمو نحو الكمال البشري، والوصول إلى سبل الخير والهداية وبناء مجتمع قيّم، يتكلم بلغة التماسك والمحبة، فلا يكمل ذلك إلّا بتطبيق العلوم الطبيعية أو الدينية بالصورة الصحيحة.

فمن هذا المنطلق ارتأيت أن أبيّن معالم السطور النورانية التي تشرق من أهل بيت عُرفوا بالنبل والكرامة ونشر ينابيع العلم؛ لأنّهم مهبط الوحي، فظهر من ذلك البيت الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام فهو عنى بتأسيس أكبر جامعة علميّة رصينة تقع على عاتقها بناء المجتمع والجيل الناجح، لأنَّ العلوم الدينية تحمل أهمّيّة واسعة ضمن نطاق الأمة الإسلامية.

الخطط الاستراتيجية عند الإمام عليه السلام لبناء الجامعة الكبرى:

إنَّ الحركة العلمية والفقهية قد ارتفعت وانطمست من قِبل الحكّام الطغاة والمستبدين في الظلم على سلب حقوق الناس، وخصوصاً أهل البيت عليهم السلام، حيث كان يزيد بن معاوية من أولئك القادة الظالمين، الذي يلاحق أهل العلم والمعرفة ويقتلهم ويشرّدهم عن معرفة دينهم.

فقد قام يزيد بمحاربة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام من أجل إذهاب تلك الحقائق الدينية والعلمية، وإخفائها

على عامة الناس حتى يسيطر في الحكم والرئاسة ولا يقترب منه أحد في حكمه، لذلك فإنَّ يزيد كان قبل أن يُنشر الدين على يد الإمام الحسين ﷺ قد غلَّ وقيَّد التعليم، لذا خلَّد سيد الشهداء ﷺ مقولته الشهيرة:

(أريد آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر أسير بسيرة جدي وسيرة أبي علي بن أبي طالب....(١)).

وبعد هذا الدور قام ابنه علي السجاد ﷺ في الاستمرار بنشر الدين في ذلك الوقت الحرج والصعب؛ لأنّه كان محاصراً على يد الحكماء المتسلّطين، منهم يزيد وهشام بن عبد الملك، والوليد بن عبد الملك، وفي ذلك الحين تحدّى الإمام ﷺ وكافح في نشر التعاليم الدينية، وحصلت له نتائج مميزة.

إلى أن وصل الحال المهم، في إطار القيادة الدينية الحقيقية في السير الديني والعلمي، فتصدّى لذلك الدور الكبير ابنه الإمام الباقر ﷺ في تكملة المسير، وفي زمن الإمام ﷺ كانت نهاية الدولة الأُموية وضعفها، حيث كان الملوك مشغولين في الرئاسة والسلطة والحرب مع الدولة العباسية.

لذا استغل الإمام ﷺ تلك الفرصة، وبدأ بتأسيس أضخم مدرسة تتحدّث عن نشر العلوم الدينية والفقهية وبمجالات واسعة، وذلك في أوائل القرن الثاني حتى أواخر القرن الثالث الهجري، أي من بداية إمامة الإمام الباقر ﷺ حتى نهاية الغيبة الصغرى(٢٦٠ هـ)، فقد صنع إفساحاً واسعاً في الدور الفقهي، والعلوم الطبيعية.

وكانت مصادر التشريع في هذا الدور متمثلة في كتاب الله وهو الدستور الأوَّل، والسنّة النبوية، والإجماع، والعقل، ورفض القياس والاستحسان.

فلذا كانت حركة الإمام ﷺ لها التأثير البليغ على تغيير الواقع المعاصر، ويرجع سبب تقدم الإمام الباقر ﷺ في نجاح التغيير هو أنَّ الملوك قد انصرفوا عن ملاحقة الشيعة وأئمتهم نوعاً ما، وانشغلوا في الحروب الداخلية فيما بينهم.

والخطط التي وضعها الإمام ﷺ في تلك الجامعة هي:

١-اتصال الحديث وعلومه:

يتصل حديث الإمام ﷺ مع النبي ﷺ بصورة مباشرة من حيث السند، فإذا تحدّث ﷺ بحديث يسنده إلى جدّه، كما أخذها ووعاها عن جبرائيل، وكما وعاها جبرائيل عن الله عز وجل، ولا فرق أبداً في شيء من تلك السلسلة المتصلة إلَّا بالواسطة فقط، كما في حديثه المروي عن الشيخ المفيد(ت ٤١٣):

(١) المازندراني، مناقب آل أبي طالب، ص ٢٤١، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني(ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية ١٣٧٥ه-١٩٥٦م

عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي، عن آبائه عليهم السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ أسرع الخير ثواباً البر، وأسرع الشر عقاباً البغي، وكفى بالمرء عيباً أن ينظر من الناس إلى ما يعمي عنه من نفسه، أو يعير الناس بما لا يستطيع تركه، ويؤذي جليسه بما لا يعنيه(١) .

فالإمام عليه السلام سنده من أدق وأصح الأسانيد في الحديث، فهم أهل بيت قد زقّوا العلم زقًّا وتوارثوه عن جدهم، واتصال حديثم ملاصق برسول الله صلى الله عليه وآله .

ربط المدرسة الباقرية بالمدرسة النبوية:

لقد سعى الإمام محمد الباقر عليه السلام في بناء ذلك الصرح العملاق الناشر للعلوم الفقهية التي حفظت أركان الإسلام، وكيان المجتمع المتكامل.

فلذا حقّقت نتائج مذهلة في الدور الفقهي الذي كان يقوده الباقر عليه السلام واستمراراً لما كان يدعوا إليه الرسول صلى الله عليه وآله من تعليم العلوم الإسلامية في بداية دعوته للإسلام الحنيف، وبعدها حثَّ على الرجل العالم منهم أن يعلِّم عشرة رجال، من حيث الكتابة والقراءة والتعاليم الدينية، وتخرّج على يده رجال كثيرون امثال: عبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وغيرهم ممن روى الحديث عن النبي الأكرم.

وقد نظَّم الشاعر ذلك المعنى بقوله:

إذا شئت أن تبغي لنفسك مذهباً ينجيك يوم البعث من لهب النار

فدع عنك قول الشافعي ومالك وأحمـــد المروي عن كعب أحبار

ووالِ أُناساً نقلهم وحديثهم روى جدنا عن جبرائيل عن الباري(٢).

وهنالك اتصال آخر من حيث السند وهو أن جابر بن عبد الله الأنصاري أخذ من رسول الله صلى الله عليه وآله الكثير من الأحكام الشرعية في عهده، ورواياته في كتب أبناء العامة تدل على ذلك، فمنها في صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، والسنن الكبرى، وغيرها من الكتب.

ومن جانب آخر فإنَّ جابر اتصل بالإمام الباقر عليه السلام وأدركه في حياته، وسمع منه الأحكام الشرعية، والرواية المذكورة

(١) المفيد،الأمالي،ص٦٧،ح١،محمد بن محمد بن النعمان البغدادي(ت٤١٣هـ)، تحقيق: حسين الاستاد ولي، علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية-قم، ط. الثانية،١٤١٤هـ-١٩٩٣م

(٢) الأمين، حلو الكلام،ج،١،ص٢٣٩، د.علي مرتضى الأمين(معاصر)، ط.دار القارئ-بيروت ٢٠٠٣م

تصرح بذلك، كما رواها مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ) بسنده في (صحيحه) حيث قال:

حدثنا جعفر عن أبيه(يعني الباقر عليه السلام) عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم إذا اغتسل من جنابة صبَّ على رأسه ثلاث حفنات من ماء فقال له الحسن بن محمد: ان شعري كثير قال جابر: فقلت له: يا ابن أخي كان شعر رسول الله صلى الله عليه(وآله) وسلم أكثر من شعرك وأطيب(١).

وأسند أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن جابر الأنصاري، وروي عن ابن عباس وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأنس، وعن الحسن، والحسين(٢) .

فهذا معنى آخر من اتصال مدرسة الإمام بمدرسة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وهذا يدل على قوة الترابط والتلازم اللحمي للفقه الإسلامي، وأخذ العلم من مداركه المقررة السليمة.

لذا من هذا المنظار أردت أن أبين، بأنَّ جابر الأنصاري قد أخذ من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الكثير من الأحاديث الفقهية وتتلمذ على يده، وكذلك أخذ من حفيده الإمام الباقر عليه السلام، فهذا هو وجهة الاتصال في المدرسة، وأحقية كاملة على صدق الحديث المروى عنه في الجامعة الكبرى.

٢-مرونة الفقه:

يمتاز فقه الإمام بمرونة جميلة تسير مع متطلبات الحياة وتطوراتها من عصر إلى عصر، وجميع المسلمين نالهم الإعجاب في ظل ذلك الفن الفقهي المرن، فهو أنموذج فعَّال للحركة الإسلامية، وذو أصالة وإبداع عميق في جميع أطراف الواقع الحضاري والعلمي والثقافي، فهو ينظم دور المجتمع إلى الاتجاه السليم من خلال مرونته.

٣-فتح باب الاجتهاد:

تعتبر هذه الميزة من أهم المميزات التي بثها الإمام عليه السلام، فهي تؤيد الشخص بأن يصل إلى مراتب استنباط الأحكام الشرعية بنفسه مع تواصل علمه الفقهي، حتى في مسيره يأخذه من هذا الجانب، وقد اتفق المسلمون على هذا الباب.

فقد وفَّر الإمام عليه السلام جميع السبل والطرق لأجل وصول أصحابه إلى استنباط الأحكام الشرعية، وفتح ذلك المجال لهم

---

(١) النيسابوري، صحيح مسلم،ج١،ص١٧٨،ح٣٢٩،مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ)،دار الفكر-بيروت

(٢) الشافعي، حلية الأولياء،ج٣،ص٢٢٠، أحمد بن عبدالله الاصفهاني الشافعي(ت٤٣٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط. الثانية ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

ولجميع المسلمين، فهو أول من أرجع مفهوم الاجتهاد بعدما كان جده رسول الله ﷺ يدعوا إلى ذلك، وذلك تصريحاً من المسلمين وعلى طرق الفريقين.

وجاء في (لسان العرب) في تفسير كلمة التبقر حيث قال: والتبقر: التوسع في العلم والمال. وكان يُقال لمحمد بن علي الباقر، رضوان الله عليهم، لأَنَّهُ بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتبقر في العلم(١) .

فلا نقول بأنَّ الإمام ﷺ هو الذي استنبط الأحكام الشرعية من مداركها، بل هو الذي بثَّها من جذورها وفتح ذلك المجال لبقية العلماء، ولمن يريد الخوض فيها حيث ورد عن أبي عبد الله ﷺ قال: إنَّما علينا أن نلقي إليكم الأصول وعليكم التفريع(٢).

٤-الرجوع إلى حكم العقل:

هذه الميزة الخاصة في فقه أهل البيت ﷺ، التي تصرَّح بأنَّ الحكم الشرعي لا بدَّ فيه من الرجوع إلى تحكم العقل في النص عند المسألة الفقهية، ويشترط فيه اليقين، وأي شيء يناقض اليقين كالظن والقياس والرأي، فهو باطل عندهم ﷺ.

فإنَّ مذهبهم وحده قد اختصَّ في هذا الحكم، وأما بقية المذاهب الأربعة فلم يعتنوا به في أدلة الأحكام الشرعية، والخوض في هذا المطلب يحتاج منّا الكثير في البيان، لذا نترك هذا المجال لأهل الاختصاص في علم الأصول.

العقل مع اليقين:

إنَّ الجدير بالذكر إليه على أنَّ الإنسان إذا طُرح عليه أمر من خلال الإرشاد العقلي، فهنا يتوجّه الحال المهم إلى البحث عن اليقين، لكي يقطع دابر الشك والوهم لأنَّهما ينقضان اليقين، فإذا توصّل إلى الجزم واليقين في ذلك الأمر، حُسمت له النتائج المرضية وهان عليه الموضوع.

فالإمام الباقر ﷺ كان يعلم أصحابه المختصين في رواية الحديث، أن يلزموا اليقين مع العقل، وباستنباط الحكم الشرعي من خلال اليقين في المسألة، منها مما رواه زرارة في الصحيح بالاصطلاح عن الباقر ﷺ قال:

قلت له: الرجل ينام وهو على وضوء أتوجب الخفقة والخفقان عليه الوضوء؟ فقال: يا زرارة قد تنام العين ولا ينام القلب والأُذن، فإذا نامت العين والأذن والقلب وجب الوضوء، قلت: فإن حرك إلى جنبه شيء ولم يعلم به؟ قال: لا، حتى يستيقن أنه قد نام حتى يجيء من ذلك أمر بيِّن وإلا فإنَّه على يقين من وضوئه ولا ينقض اليقين أبداً بالشك ولكن ينقضه بيقين آخر(٣) .

---

(١) ابن منظور، لسان العرب،ج٤،ص٧٤،جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري(٧١١هـ)،نشر أدب الحوزة-قم، محرم ١٤٠٥-١٣٦٣ش

(٢) متفرقات من موقف أهل البيت ﷺ وشيعتهم من السنة، صفحة أعيان الشيعة للعاملي،ج١،ص١٠٣

(٣) القاساني،الأصول الأصلية،ص٦٦،محمد محسن الفيض القاساني(ت١٠٩١هـ)،عنى بطبعه ونشره والتعليق عليه مير جلال الدين الحسني الارموي، ٢٥ محرم الحرام١٣٩٠=فروردين ١٣٤٩ سازمان جاب دانشكاه.

فتلك المميزات الرائعة في الجامعة الكبرى، ولم تجد لها مثيل في غيرها، حيث إنَّ بعض المدارس تنسب الحكم بالحواس الظنية(١).

أسلوب الجامعة الكبرى:

كان أسلوب الإمام عليه السلام في نشر الثقافة الدينية في غاية البساطة عند المتلقي أو المستمع للمسألة أو الحديث، إضافة إلى ذلك فقد جمع بين الرصانة العلمية والفنّيّة عند طرح المسألة الفقهية على تلاميذه.

فقد راعى الإمام الباقر عليه السلام أمورًا عديدة ومهمّة من الأساليب والتي تخص الجوانب المعنوية، وهي:

١-بيان معالم تفسير القرآن الكريم بصورة سهلة وواضحة في المعنى.

٢-بيان سنَّة جدّه النبي صلى الله عليه وآله بصورة إجمالية وتفصيلية.

٣-بيان الأحكام الشرعية المستجدة على الأمة الإسلامية التي لم تذكر في الكتاب والسنَّة.

٤-بيان جميع الأحكام الشرعية(الأصول والفقه في المسألة) بصورة تفصيلية ومتلازمة مع المعنى واللفظ.

٥-الرد على الشبهات والتشكيكات التي بثَّها أعداء أهل البيت عليهم السلام بطريقة فنية غير جارحة .

فتلك الأساليب التي اتخذها الإمام عليه السلام في المدرسة الكبرى، وكذلك أسلوبه في بقية الجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، فكانت متمثّلة بالدقة في التعبير والإيجاز، والعذوبة في الألفاظ، وتراكب اللفظ مع المعنى، واللين في الكلام وغيرها.

وقد اهتم الإمام عليه السلام بفهم الحديث والحث على التّمعن والوقوف على معانيه ومعطياته ومتطلّباته، ومعرفة مضامينه، فكيف إذا حدّثهم الإمام لا يحتاجون إلى تلك الأمور التي علّمهم بها؛ لأنّهُ هو الأصل، وأسلوبه في الحوار مع أصحابه ليّن وسهل المنال.

وعدَّه النسائي وغيره في فقهاء التابعيين بالمدينة(٢) .

فسطَّر عليه السلام أعلى مراتب الأساليب في نشره للعلوم الإسلامية، فلذا نستطيع القول بأنَّهُ اتخذ أهم أسلوب وهو المرونة في التعبير، أي أن الحديث يسير مع مراحل تقدم الحياة منذ منبعها إلى هذه اللحظة فهي تحاكي نفس المعنى في اللفظ.

---

(١) أي تستعمل القياس والرأي وغيرها في المسألة والحديث.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفّاظ:ج١، ص١٤١، شمس الدين محمد الذهبي(ت٧٤٨هـ)،تحقيق: الشيخ زكريا عميدات، الكتب العلمية، ط.الثانية ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

خلاصة القول في أسلوبه:

ممن أجمع حسب الدين والأبوّة(١) .

دراية الحديث:

يُعتبر هذا الأسلوب المقرر من قِبل الإمام ﷺ من أهم الأمور التي تناولت في هذا جانب الحديث، والوقوف على معانيه، ومعرفة مصدره وناقله، لئلا يقع المتتبع للأحاديث في الإشكالات الجانبية.

قال الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ) في كتابه(نصيحة أهل الحديث):

ولا يقتنع بأن يكون راويا حسب، ومحدثًا فقط: فقد روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عن أبيه(الكاظم)عن جده (الصادق) عن آبائه(الباقر)أنَّ رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) قال:

(كونوا دراة، ولا تكونوا رواة، حديث تعرفون فقهه، خير من ألف(حديث) ترووونه)(٢).

والحديث إذا جاء عنهم ﷺ وخصوصاً عن الإمام الباقر ﷺ فإنَّه يجب أن نتحكّم في عقولنا على دراية حديثه، وماذا كان يريد من معنى حتى لا تلتبس علينا المعاني.

وعن صاحب (معاني الأخبار) قال: سئل أبو عبد الله ﷺ فقيل له:

إنَّ هؤلاء الأخابث (الأجانب) يقولون: أنَّ أباك ﷺ قال: «إذا عرفت فاعمل ما شئت» فهم يستحلون بعد ذلك كل محرم قال: ما لهم لعنهم الله؟ إنَّما قال أبي ﷺ: إذا عرفت الحق فاعمل ما شئت من خير يقبل منك(٣) .

سرّ نجاح الجامعة:

إنَّ المدرسة الفقهية التي وضعها الإمام ﷺ قد حفلت بقيم عالية ونتائج مميزة، ومنبهرة حول التقدم إلى معالمها الفكرية والثقافية وخصوصاً الفقهية.

ويرجع سبب نجاح تلك الجامعة العظيمة هو أنَّ الإمام ﷺ قد لمس سر النزاع الذي كانت تعاني منه الأمة الإسلامية في ذلك العصر نتيجة استشهاد الإمام الحسين ﷺ ونتيجة لكل ما سبق ذكره تيقّظت ضمائر بعض أبناء الأمة من سباتها العميق،

---

(١) الشافعي، حلية الأولياء:ج٣،ص٢١١، أحمد بن عبدالله الاصفهاني الشافعي(ت٤٣٠ه)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط. الثانية ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

(٢) البغدادي، نصيحة أهل الحديث:ص٣١، الخطيب البغدادي(ت٤٦٣ه)، تحقيق: عيد الكريم احمد الوريكات، مكتبة المنار-الاردن-الزرقاء،ط.الاولى،١٤٠٨-١٩٨٨م

(٣) الصدوق، معاني الأخبار:ص١٨٢، محمد بن علي القمي(٣٨١ه)، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩-١٣٣٨ش

واشمأزّت نفوسهم من أوضاع الخلافة وانتشر حب آل بيت النبي ﷺ في الأوساط الإسلامية غير منتفعة بالحكم، ومن خلال المصارعة بين الأمويين والعباسيين حول الخلافة فسح المجال للواعين منهم أن يلتفوا حول الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، ومن ثم تمكّن الإمامان بنشر الأحكام الإسلامية التي جاء بها رسول الله ﷺ وبيان زيف الأحكام المنحرفة، ودحض الشبهات المثارة حول بعض الآيات القرآنية(١) .

وعلى الرغم من أنَّ الإمام عليه السلام كان محاصراً من قِبل الحكَّام الخمسة من بني الدولة الأموية في عصره، وهم:

الوليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك، عمر بن عبد العزيز، يزيد بن عبد الملك، هشام بن عبد الملك ومع ذلك الوقت الحرج الذي كان يعيشه الإمام نجح بطريقته العظيمة في بناء المجتمع الإسلامي .

حيث بدأ عليه السلام بنشر الرسالة المكملة للنبي ﷺ والمتمثلة بمذهب أهل البيت عليهم السلام، وعقد في مسجد المدينة المنورة حلقات من الدروس المختلفة، وفي جميع الجوانب العلمية والفقهية، والتفسير والحديث وغيرها.

وعلى أيّة حال فإنَّ الجامعة الكبرى حقّقت نجاحًا باهرًا على مستوى الثقافة الإسلامية، حيث كانت منبعاً زاخراً من العطاء يحتاج إليه كل طالب في العلوم الدينية والطبيعية.

ولو تسنى بعودة تلك الجامعة الباقرية في واقعنا الحالي، لأظهرت العجائب في الفكر الإسلامي، ولملمت الخلافات التي تعاني منها الأمة الإسلامية من الانحرافات والشبهات وغيرها من الاعوجاج.

لذا أدّت تلك الجامعة إلى نتائج ضخمة، حيث أصبحت المدينة المنورة هي سبب تقدم الحركة العلمية، ومصدراً للفتيا ترجع إليهم الأمة في مهمات التشريع الإسلامي، وهذا ما قادهُ الإمام الباقر عليه السلام في تطوير العلم وتوسعته من مداركه المقررة، وانتشاره في انحاء العالم .

اختيار الأشخاص المؤهلين في نشر علم الحديث:

إنَّ الجانب الفقهي وأصوله من أهم ما عنى به الإمام الباقر عليه السلام، حيث نشر الفقه الإسلامي في جميع أنحاء العالم، والذي يتصف بقلب الإسلام وجوهره وتفاعله مع منهجية الحياة، والنيل في الآخرة لتحقيق الخلود، بشرط تطبيق قوانينه وتشريعاته حسب ما بيّنه الله عز وجل لنبيّه الكريم ﷺ.

فلذا سهر الإمام عليه السلام ليالي وأيام على إحيائه وايضاحه، فقد أسّس مدرسته الكبرى التي زخرت بكبار فقهاء الإسلام، أمثال:

---

(١) العسكري، معالم المدرستين:ج٣،ص٢٠٤، السيد مرتضى العسكري(معاصر)، مؤسسة النعمان-لبنان-بيروت ١٤١٠-١٩٩٠م

أبان بن تغلب، ومحمد بن مسلم، وزرارة بن أعين، وغيرهم من روَّاد الحديث العظماء الذين خلّدهم التأريخ.

وإنَّ هؤلاء الأعلام ممَّن أجمعت العصابة على تصديقهم والإقرار لهم بالفقه، وإليهم يرجع الفضل في تدوين الحديث وخصوصاً أحاديث الصادقين ﷺ، والشيء الذي يدعو إلى الاعتزاز بسيرة الإمام الباقر ﷺ هو إنَّه قد تبنَّى هؤلاء الفقهاء، فأشاد بهم، وعزَّز مركزهم، وأرجع الأُمة إلى فتواهم.

ولقد فاق عدد تلاميذ الإمام ﷺ على أربعة آلاف من المتخصصين البارزين في علم الفقه، والأصول، والحديث، شأن أبان بن تغلب، ومحمد بن مسلم، وجابر بن يزيد الجعفي وغيرهم، ولولاهم لخسر المسلمون أعظم ثروة دينية.

صدارة شعبيته العلميَّة:

تُعد مدرسة الرسول ﷺ المدرسة الأولى في بداية الهجرة ودعوة الإسلام حيثُ أنشأها النبي ﷺ في مسجده بالمدينة المنورة، وهي الأساس المتين التي تستند عليهِ الأمة الإسلامية، وقد ثبَّت قواعد تلك المدرسة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ،كما نصَّ عن ذلك بالشهادة له من قِبل رسول الله ﷺ حيث قال: أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب(١) .

وبعد بناء تلك المدرسة وتواترها من إمامٍ إلى إمامٍ، جاء الدور إلى التوسع لتلك المدرسة الفقهية بقيادة الإمام الباقر ﷺ، وقد خرَّج منها علماء في جميع أطراف العالم.

فمن خلال تلك الجامعة العملاقة احتوت شعبية الإمام ﷺ بين المدينة والحجاز والعراق والشام وغيرها من بلدان العالم، فإذا أراد الإمام الحج في الكعبة عرفوه الناس من علمه، ويأخذونه بالأسئلة الدينية التي هي في محط ابتلائهم بها.

قال الأبرش الكلبي لهشام مشيراً إلى الباقر ﷺ: من هذا الذي احتوشته أهل العراق يسألونه؟ قال: هذا نبي الكوفة ويزعم أنهُ ابن رسول الله وباقر العلم ومفسر القرآن فاسأله مسألة لا يعرفها (٢).

فكانت له شعبية خاصة في نشر الفقه الإسلامي، وكان في اليوم والليلة ينشر موازين الإسلام الرصينة من منبعها، ومن ضمن شعبيته في وسط المدينة وشمالها وجنوبها وفي جميع أطراف العالم.عن الزهري قال:

حجَّ هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متكئًا على سالم مولاه، ومحمد بن علي (الباقر) في المسجد، فقال له سالم:

يا أمير المؤمنين هذا محمد بن علي بن الحسين في المسجد المفتون به أهل العراق؟ فقال: اذهب إليهِ وقل له: يقول لك أمير المؤمنين:

---

(١) الجامع الصغير،ج١،ص٤١٥، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، الطبعة الأولى(سنة١٤٠١هـ-١٩٨١م)

(٢) الشاكري، موسوعة المصطفى والعترة(الباقر محمد)،ج٨،ص٣٠٣،حسين الشاكري (معاصر)، الناشر. نشر الهادي-قم، تحقيق: حسين الشاكري، الأولى ١٤١٧هـ ستاره

ما الذي يأكل الناس، ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟ فقال له: قل له: يحشر الناس على مثل قرص من نقي فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون منها حتى يفرغوا من الحساب، قال: فلما سمع هشام ذلك، رأى أَنَّهُ قد ظفر به، فقال: الله أكبر! ارجع إليهِ، فقل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذٍ؟ فقال محمد: قل لهُ: هم في النار، ولم يشغلوا أن قالوا: (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ)(١) .

فسكت هشام، ولم يرجع كلاماً(٢) .

وكان يقصد الإمام عليه السلام كبار أئمة الفقه والحديث كثيرون، منهم سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة محدّث مكة، ومنهم أبو حنيفة فقيه العراق الذي عاش(٨٠-١٥٠هـ) وأكثر ما عاصر الباقر والصادق عليهما السلام، وكان يرشد كل من يجيء إليهِ ويُبين له الحق الذي لا عوج فيه.

معرفة أصول الفقه في الجامعة:

أدلة التشريع عند فرق المسلمين:

لقد اهتم الباقر عليه السلام بنشر أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام لما لهذه الأحاديث من أهمية في معرفة الدين وتفصيل تشريعاته وشرح كتاب الله وبيان آياته، حتى روى عنه جابر الجعفي لوحده سبعين ألف حديث، بالإضافة إلى غيره من الأصحاب الذين التفوا حوله عليه السلام وحفظوا الأحاديث وتناقلوها عنه عليه السلام بآلاف الأحاديث .

إنَّ المتفق عليه من جميع أطراف المسلمين العامة والخاصة على بيان الأدلة القاطعة على النّصوص المتواترة لا تخلو إلا من أربعة أدلة شرعية وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل.

إلا أنّ الرابعة اختصت بمذهب أهل البيت عليهم السلام، وفرقة واحدة وهي فرقة الغزالي، ومما يعرف في طبيعة الأحوال لدى أهل العلم والاختصاص أنَّ العقل هو محور التفكير، وعند الأصول يأتي بدوره المهم والفعال فيبحث في تطابقه عن نص الرواية، أو الأحاديث المذكورة من قِبل المعصوم.

وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أصول المذهب المالكي: حيث يختلف عن بقية المذاهب بكثرة أصول الفقه، فإنّ الأصول عند الحنفية هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستحسان والعرف.

والأصول عند الشافعية: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وأما الأصول عند المالكية فأقل عدد أحصوه له تسعة:

---

(١) الأعراف:٥٠

(٢) الشبلنجي، نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار،ص٢٩٠، مؤمن بن حسين مؤمن الشبلنجي،دار الجيل -بيروت ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستحسان والعرف وإجماع أهل المدينة والمصالح المرسلة وسد الذرائع وقيل أكثر من ذلك.

ويرى الغزالي الأصول هي: الكتاب والسنة والإجماع والعقل والاستصحاب كما موجودة في كتابه (المستصفى) وقول الغزالي يوافق قول مذهب الأئمة عليهم السلام إلَّا أنه يختلف عليهم في بعض الأمور الجزئية في الأدلة الشرعية.

الإمام الباقر عليه السلام والكتاب:

إنَّ المعرفة البشرية التي تنطوي على الإنسان لكي يحصل عليها من خلال الإرشاد العقلي، ولكن ليس كل شيء يؤخذ من العقل، بل هنالك أشياء تصعب على العقل تميزها واصابتها ومطابقتها للواقع، وخصوصًا إذا كان ذلك الشيء هو العلم الكسبي، ومن ذلك العلم هو الفقه فيما شرَّع الله عز وجل.

فإنَّ العلم الفقهي بحد ذاته لا يؤخذ من العقل وعلى صعيد التفكير الإنساني البسيط، ولا بالحدس ولا غيرها، بل يؤخذ العلم من القرآن الكريم والعترة الطاهرة التي طالما وصَّى بهما رسول الله صلى الله عليه وآله كما في حديث الثقلين المتفق عليه.

حيث كان دور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هو بيان ذلك العلم الذي وهبه الله له من خلال كتابه العزيز، وذلك بواسطة الوحي الإلهي وفصَّله النبي صلى الله عليه وآله للناس بإيضاح معالمه وتشريعاته في تلك المدة التي عاشها، ولكن بعد وفاته خلَّف من بعدهِ حجج يكمِّلون ما كان يقوم بهِ من تفسير القرآن وعلم الفقه والحديث، وأولئك الحجج منصبين من قِبل الباري -عز وجل-.

فأتى الدور إلى الإمام الباقر عليه السلام في استلام تلك المهمّة التي تكمل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ونشر العلم الفقهي وبأخذ معالمه من القرآن الكريم.

مبرهنة المسائل الفقهية:

في هذا الأسلوب العلمي نتناول مختصرًا مفيدًا في أهم موضوع في المضامين التي طرحت في الجامعة الكبرى، حيث خصّص مهام المسألة الفقهية ومقارنتها مع الفقه الإسلامي وفق فرق المسلمين، والاستدلال في ذلك من خلال طريقة البرهان الرياضي الفقهي، فتطرح المسألة من المعطيات، والمطلوب اثباته، والحجة أو البرهان، فنحصل على نتيجة نهائية لصالح الفقه الباقري، مع مراعات التسامح في العبارات.

التمهيد للمذهب الجعفري:

بعدما تهيأت الأمور والسبل التي يحتاجها الناس في جميع معالم الفقه الإسلامي، ازدهر العلم بإشراف الإمامين الصادقين

عليه السلام، أصبح العلم يتحدّث عن رمز من رموز الفقه بين أغلب المسلمين، بأنَّ الفقه يُنسب إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الذي غذَّاه أبوه الباقر عليه السلام بالعلم والصدق في الحديث والمسائل.

وكان الإمام الصادق عليه السلام يأخذ العلم من أبيه مباشرة بلا واسطة بينهما، وكان له دور فعَّال مع أبيه في تأسيس تلك الجامعة الكبرى التي خرَّجت علماء فطاحل .

تفرَّد ابنه جعفر الصادق عليه السلام في حقل الاختصاص مع تلامذتهِ في شتى العلوم منهم جابر بن حيان الذي عكف على اجهاد المعادلات لعلها تستجيب وتتوصل إلى إلهاب المعادن الرخيصة، وتحوّلها إلى لمعان ذهبي يخطف الأبصار وذلك في علم الكيمياء، وليس لنا المجال في ذكر علومه، ولكن فقط الإشارة إليه.

هكذا عرف العلماء في الغرب قيمة مدرسة الإمام الصادق عليه السلام الموروثة عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام، وقدّموا دراسة وافية عنه، ووصفوا الجامعة في يثرب بأنّها نشاط باقري عزَّ نظيره في تلك الأيّام الخالية من النشاطات العلمية الراجحة في التحقيق، لقد ترجم بعض السطور هذا البحث النفيس بشهادته للإمام الصادق عليه السلام وأبيه عليه السلام في تأسيس المدار الفقهي في تلك الجامعة.

الخاتمة

إنَّ أبا جعفر الباقر عليه السلام له شأنٌ كبير وفضل عظيم في بناء المذهب الجعفري السليم وهو أقدم المذهب نشأةً وأقواها عاملاً وحقًّا، حيث حثَّ الإمام الباقر عليه السلام على مجالسة العلماء المحقين في دينهم للاستفادة من توجيهاتهم وسلوكهم حتى لا يقع في الضلال، كما في قوله عليه السلام: لمجلس أجلسه إلى من أثق به، أوثق في نفسي من عمل سنَّة(١).

(١) الكليني، اصول الكافي،ج١،ص٣٤،محمد بن يعقوب الكليني(ت٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية-طهران، مطبعة: حيدري، الخامسة ١٣٦٣هـ

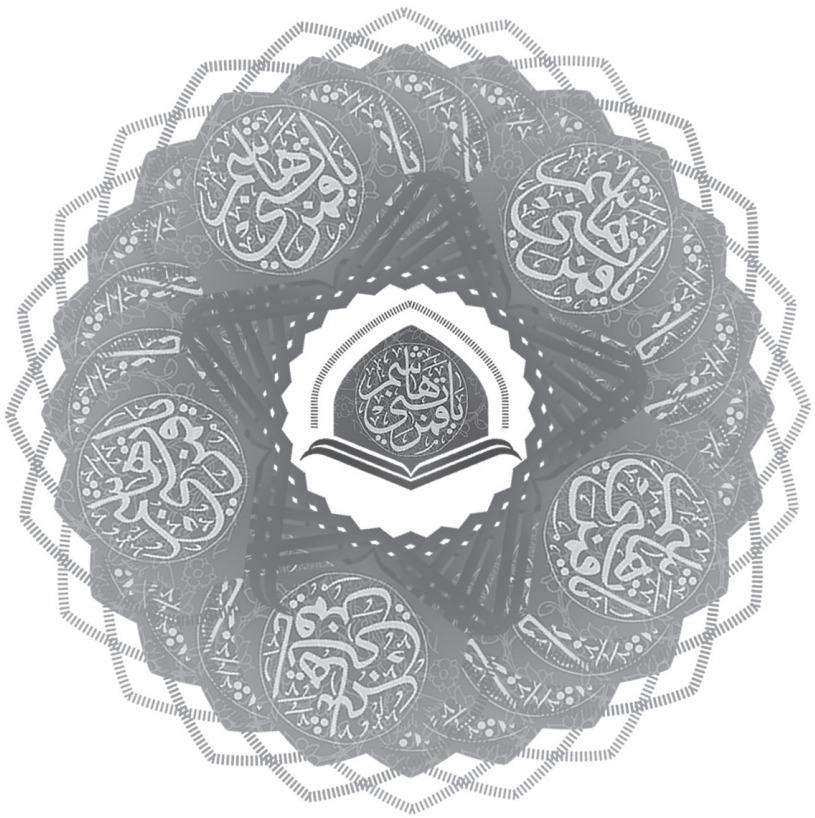

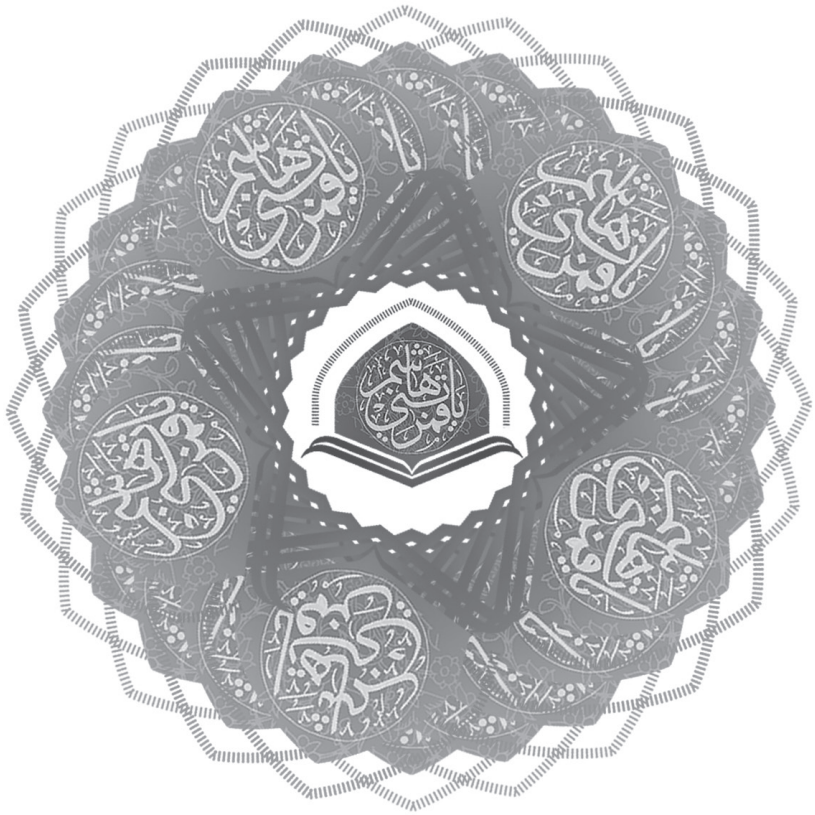

الإمام المجتبى عليه السلام بين المناقبيات والظلامات

فاطمة كامل المسعودي

جسّد الإمام الحسن عليه السلام كبقية الأئمة الأطهار عليهم السلام خُلق الأنبياء عليهم السلام ومكارمهم وسجاياهم الطيبة، فهو عليه السلام من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومن مناقبه عليه السلام الكثيرة:

١. علمه عليه السلام:

كان الإمام الحسن عليه السلام -وهو حجة الله على العباد-، أعلم الناس بعد أبيه وجدّه صلى الله عليه وآله.

في الخبر أنّه عليه السلام وإخوته وعبد الله بن العباس كانوا على مائدة، فجاءت جرادة ووقعت على المائدة. فقال عبد الله للحسن عليه السلام: أي شيء مكتوب على جناح الجرادة؟.

فقال عليه السلام: «مكتوب عليه: أنا الله لا إله إلاّ أنا، ربما أبعث الجراد رحمة لقوم جياع ليأكلوه، وربما أبعثها نقمة على قوم فتأكل أطعمتهم».

فقام عبد الله وقبّل رأس الحسن عليه السلام وقال: هذا من مكنون العلم(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ الحسن بن علي عليه السلام كان عنده رجلان. فقال لأحدهما: إنَّك حدّثت البارحة فلاناً بحديث كذا وكذا. فقال الرجل الآخر: إنَّه ليعلم ما كان! وعجب من ذلك.

---

(١) الخرائج والجرائح: ج١/ ص٢٤١.

فقال عليه السلام: إنا لنعلم ما يجري بالليل والنهار ـ ثم قال ـ إنَّ الله تبارك وتعالى علّم رسوله صلى الله عليه وآله الحلال والحرام، والتنزيل والتأويل، فعلّم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً علمه كله»(١).

٢. عفوه عليه السلام:

كانت أخلاق الإمام الحسن عليه السلام كأخلاق جده رسول الله صلى الله عليه وآله يواجه المسيء بالعفو والصفح ويقابله بالتي هي أحسن، يقول المبرد: إن شاميًّا رآه عليه السلام راكباً فأخذ يلعنه، والإمام عليه السلام لا يرد عليه، ولما فرغ أقبل الإمام عليه السلام فسلّم عليه وضحك. فقال: «أيها الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنتَ جائعاً أشبعناك، وإن كنتَ عرياناً كسوناك، وإن كنتَ محتاجاً أغنيناك، وإن كنتَ طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك، كان أعود عليك، لأنَّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً».

ولما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: كنتَ أنت وأبوك أبغض خلق الله إليَّ!، والآن أنت أحب خلق الله إليَّ. وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبتهم(٢).

وروي: أنّه لما استشهد الإمام الحسن عليه السلام وأخرجوا جنازته حمل مروان بن الحكم سريره، فقال له سيد الشهداء عليه السلام: «تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعه الغيظ!».

فقال مروان: نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال(٣).

وبلغ الإمام الحسن عليه السلام في حلمه وسماحته حتى قيل في حقّه: إنه لم يسمع منه عليه السلام قط كلمة مكروه شيئاً.

٣. جوده وكرمه عليه السلام:

بلغ الإمام الحسن عليه السلام من الكرم أنّه سمّي بكريم أهل البيت عليهم السلام لكثرة عطائه وجوده وسخائه، حتى أنَّ رجلاً سأله فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار، وقال له: «ائت بحمّال يحمل لك». فأتى بحمّال فأعطاه طيلسانه، فقال: «هذا كرى الحمّال»(٤).

وجاءه بعض الأعراب فقال: «أعطوه ما في الخزانة». فوجد فيها عشرون ألف درهم فدفعها إلى الأعرابي، فقال الأعرابي: يا مولاي، ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي؟».

---

(١) الخرائج والجرائح: ج٢ / ص٥٧٣-٥٧٤ .
(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٤/ ص١٩.
(٣) بحار الأنوار: ج٤٤/ ص١٤٥.
(٤) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص١٦.

فأنشأ الإمام عليه السلام قائلاً:

نحن أُناس نوالنا خضـل يرتع فيه الرجاء والأمـــل

تجود قبل السؤال أنفسنـا خوفاً على ماء وجه من يسل

لو علم البحر فضل نائلنا لغاض من بعد فيضه خجـل[1]

ظلامات

عاش الإمام الحسن عليه السلام كأبيه أمير المؤمنين عليه السلام مظلوماً ومات مسموماً شهيداً، ومازالت ظلامته حتى اليوم قائمة وشاخصة للجميع.

ومن تلك الظلامات:

١. تجرّعه الغصص أيام حياته من شتم أبيه أمير المؤمنين عليه السلام بحضوره وتجاسر القوم على علي عليه السلام وطعنهم فيه، وهو لا يجد أنصاراً يقفون أمام هذا السباب.

٢. خذلان الأمة له والتفافها حول معاوية وأتباعه، حتى اضطر أن يصالح معاوية بعد أن جند لقتاله الجيوش.

٣. تجاسر حتى بعض الخواص عليه بعد اضطراره للصلح حتى قال له بعضهم: ليتك متّ ومتنا معك. وقال الآخر: يا مذل المؤمنين.

٤. نكث معاوية لكل العهود والمواثيق التي أعطاها للإمام عليه السلام، ومع ذلك لم تهب الأمة لنصرة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة.

٥. تلفيق بعض التهم الرخصية حول شخصيته عليه السلام أمثال أنّه كان مزواجاً مطلاقاً.

٦. سمه عليه السلام على يد زوجته جعدة بنت الأشعث بأمر من معاوية.

٧. تجاسر القوم على جنازته عليه السلام حتى رميت بالسهام.

٨. عدم السماح بدفنه إلى جنب جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص١٨٢ .

٩. ما شاهده من غصب القوم لخلافة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

١٠. ما شاهده من الهجوم على الدار، وقتل أخيه المحسن عليه السلام، وكسر ضلع أمه الزهراء عليها السلام، وما جرى عليها من المصائب مما سبب استشهادها، ففقد أمه الطاهرة وهو طفل صغير.

إلى غيرها وغيرها..

خذلان الأمة

جهّز الإمام الحسن عليه السلام جيشاً لمقاتلة معاوية وردعه عن باطله، ولكن الناس خذلوه، فكان من أسباب صلحه معه خذلان الأمة وتباطئهم عن نصرته عليه السلام، حتى قال عليه السلام في كلام له حين اجتمع بمعاوية: «وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه وهو يدعوهم إلى الله، حتى فرّ إلى الغار، ولو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم، ولو وجدت أنا أعواناً ما بايعتك يا معاوية»(١).

وقال بعضهم له عليه السلام لما صالح معاوية: يا بن رسول الله، أذللت رقابنا وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً، ما بقي معك رجل. قال: «ومم ذاك؟».

قال: بتسليمك الأمر لهذا الطاغية. قال: «والله ما سلمت الأمر إليه إلا أني لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً، إنهم لا وفاء لهم، ولا ذمة في قول ولا فعل، إنهم لمختلفون، ويقولون لنا: إنّ قلوبهم معنا، وإنّ سيوفهم لمشهورة علينا»(٢).

وقال عليه السلام: «أرى الناس يقولون: إنَّ الحسن بن علي بايع معاوية طائعاً غير مكره. وأيم الله ما فعلت حتى خذلني أهل العراق، ولولا ذلك ما بايعته ولا نعمة عين»(٣).

تجاسر ما بعده تجاسر

بعد أن صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية، اعترض عليه بعض صحابته ومنهم من تجاسر:

فقال بعضهم لما دخل على الإمام عليه السلام: (السلام عليك يا مذلّ المؤمنين)!. فقال عليه السلام: «وعليك السلام، اجلس».

ولما استقر به المجلس، التفت عليه السلام إليه وقال: «لست مذلاً للمؤمنين، ولكني معزّهم، ما أردت بمصالحتي إلاّ أن أدفع

(١) كتاب سليم بن قيس: ص٩٣٨.
(٢) الاحتجاج: ج٢ / ص٢٩١.
(٣) الملاحم والفتن: ص٢٢٩.

عنكم القتل عندما رأيت تباطؤ أصحابي ونكولهم عن القتال»(١).

وقال بعضهم: (ما ينقضي تعجبنا منك، بايعت معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من الكوفة سوى أهل البصرة والحجاز)!

فقال الإمام الحسن عليه السلام: «قد كان ذلك، فما ترى الآن؟».

فقال: والله أرى أن ترجع؛ لأنه نقض العهد.

فقال عليه السلام: «إنّ الغدر لا خير فيه، ولو أردت لما فعلت»(٢).

وقال بعضهم: (أما والله لوددتُ أنك متَّ في ذلك اليوم ومتنا معك ولم نر هذا اليوم؛ فإنا رجعنا راغمين بما كرهنا ورجعوا مسرورين بما أحبوا). فلما خلا به الحسن عليه السلام قال له: «قد سمعت كلامك في مجلس معاوية وليس كل إنسان يحب ما تحب ولا رأيه كرأيك، وإني لم أفعل ما فعلت إلا إبقاءً عليكم، والله تعالى كل يوم هو في شان»(٣).

وقال عليه السلام:

أجــامل أقواماً حياءً ولا أرى قلوبهم تغلي علي مراضهـا(٤)

وقال عليه السلام:

لئن ساءني دهر عزمت تصبراً وكل بلاء لا يدوم يســير

وإن سرني لم أبتهج بــسروره وكل سرور لا يدوم حقير(٥)

وقال سفيان بن الليل عندما أتى الإمام عليه السلام: السلام عليك يا مذل المؤمنين! فقال عليه السلام: «عليك السلام يا سفيان انزل». يقول: فنزلت فعقلت راحلتي ثم أتيته فجلست إليه، فقال: «كيف قلت يا سفيان!». فقلت: السلام عليك يا مذل رقاب المؤمنين. فقال: «ما جر هذا منك إلينا؟».

فقلت: أنت والله ـ بأبي أنت وأمّي ـ أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة وسلمت الأمر إلى اللعين بن اللعين بن آكلة الأكباد ومعك مائة ألف كلهم يموت دونك. وقد جمع الله لك أمر الناس.

---

(١) الأخبار الطوال: ص٢٢١.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٤ / ص٣٥.
(٣) المصدر نفسه: ج٤ / ص٣٥.
(٤) المصدر نفسه: ج٤ / ص٣٥.
(٥) المصدر نفسه: ج٤ / ص٣٥.

فقال عليه السلام: «يا سفيان، إنَّا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسّكنا به، وإنّي سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع لا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر وإنه لمعاوية وإني عرفت أن الله بالغ أمره».

ثم أذّن المؤذن فقمنا على حالب يحلب ناقة فتناول الإناء فشرب قائمًا ثم سقاني فخرجنا نمشي إلى المسجد فقال لي: «ما جاءنا بك يا سفيان؟». قلت: حبكم والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالهدى ودين الحق.

قال: «فأبشر يا سفيان فإنّي سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يرد عليّ الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين ـ يعني السبابتين ـ ولو شئت لقلت هاتين ـ يعني السبابة والوسطى ـ إحداهما تفضل على الأخرى. ابشر يا سفيان فإنَّ الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد عليهم السلام »(١).

دواعي الصلح وأسبابه

بما أنّ قضية الصلح من المسائل المهمة في حياة الإمام الحسن عليه السلام فلا بأس ببيان أهم أسبابه ودواعيه:

إنّ الإمام الحسن عليه السلام في بادئ الأمر كان عازماً على مقاتلة معاوية ـ بعدما بلغه سير معاوية نحو العراق وأنّه وصل إلى جسر منبج وهجم على بعض المناطق وقتل المسلمين فيها ـ حيث إنَّ الإمام عليه السلام أعدّ العدّة وهيّأ الرجال للحرب. فبعث حجر بن عدي يأمر العمال بالتهيّؤ لمقاتلة معاوية، وصلّى عليه السلام بالناس جماعة وخطب فيهم ودعاهم إلى الجهاد والخروج لقتال جيش معاوية.

ولكن هناك عدة عوامل جعلت الإمام الحسن عليه السلام يعرض عن مقاتلة معاوية ويصالحه، منها:

١. خيانة القوم: فمن الذين نصّبهم الإمام الحسن عليه السلام على جيشه هو عبيد الله بن العباس، وقد أرسل إليه معاوية: (إنّ الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلّم الأمر إليَّ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن جئتني الآن أن أُعطيك ألف ألف درهم، يعجّل لك في هذا الوقت النصف، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر). فانسل عبيد الله ليلاً فدخل عسكر معاوية، فوفى له بما وعده(٢).

كما ترك النّجاشي، ومصقلة بن هبيرة، والقعقاع بن شور، وغيرهم الإمام عليه السلام بعد أن بايعوه، والتحق كل منهم بمعاوية.

٢. تغلغل المنافقين: كثر المنافقون في جيش الإمام الحسن عليه السلام وقد راسل معاوية بعضهم فكتبوا إليه بالطاعة في السرّ واستحثوه على

(١) مقاتل الطالبيين: ص٤٤.
(٢) المصدر نفسه: ص٤٢.

السير نحوهم وضمنوا له تسليم الإمام الحسن ﷺ إليه عند دنوهم من عسكره، أو الفتك به.

وقد بلغ الإمام ﷺ بعد أن كتب إليه قيس بن سعد يخبره أنَّ القوم قد غدروا، وأنَّ معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العباس يرغبه في المسير إليه وضمن له ألف ألف درهم، فالتحق عبيد الله بمعسكر معاوية وفقد الناس قائدهم العسكري.

٣. ارتياب الناس وعصيانهم: فإنّهم لما بايعوا الإمام ﷺ اشترط عليهم أن يسمعوا له ويطيعوه ويسالموا من سالم ويحاربوا من حارب، فارتابوا في أمرهم وفهموا منه أنّه لا يريد قتالاً، فلم يلبث ﷺ إلا قليلاً حتى طعنه أحدهم طعنة في فخذه، وهذا يكشف عن عصيانهم للإمام ﷺ وعدم امتثالهم لأوامره.

٤. تخلّف القوم: فإنَّ الإمام الحسن ﷺ خرج للقتال وحث الناس على الجهاد وأرسل جيشاً للثغور، وخرج ﷺ بنفسه بعد أن استخلف على الكوفة ابن عمّه المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ولكن كثيراً من القوم تخلّفوا عنه ولم يخرجوا معه، علماً أنَّهم كانوا قد بايعوه على نصرته، فبقي معسكره بالنخيلة عشرة أيام وليس معه سوى أربعة آلاف.

٥. عدم خلو الأمر من المفسدة: فإنّه بعدما أخذ معاوية ينادي بالصلح، فإن كان الإمام الحسن ﷺ يستمر بمقاتلة معاوية حتى ينتصر عليه، فإنّ هذا الاحتمال ضعيف كما أشرنا إليه لغدر أصحابه، وعلى فرض الانتصار كان يتذرّع معاوية وجماعته بالمظلومية وعدم قبول الإمام ﷺ الصلح.

والاحتمال الآخر أنَّ الإمام ﷺ يُهزم وحينئذ ينسب إليه الإقدام على التهلكة لعدم قبوله الصلح.

٦. طلاب الدنيا: فإنّ أكثر الذين بايعوا الإمام الحسن ﷺ كانوا من طلاب الغنائم والمناصب الذين إن أعطوا رضوا، وإن مُنعوا سخطوا، ولم يكن الإمام ﷺ يسير إلاّ بسيرة أبيه أمير المؤمنين ﷺ وهي السير بالعدل والمساواة، الأمر الذي جعل كثيراً منهم يتفرّق عنه ويركن إلى معاوية.

٧. فضح معاوية: فمن خلال الصلح وضع الإمام الحسن ﷺ معاوية بين أمرين حرجين، فإمّا أن يلتزم ببنود الصلح وهو بعيد جداً، أو ينقض العهد والميثاق فيكشف للناس حقيقته المخفية على الكثيرين، فاختار معاوية الأمر وأبى إلاّ أن يفضح نفسه بنفسه.

وبالطبع إذا كان يلتزم معاوية ببنود الصلح، كان ذلك مكسباً عظيماً للشيعة، وتقييداً واضحاً لمعاوية، فإنّه كان من بنود الصلح:

ألف: تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيرة الخلفاء الصالحين.

ب: ليس لمعاوية أن يعهد بالأمر إلى أحد من بعده، بل يكون الأمر للإمام الحسن ﷺ، فإن حدث له حدث فللإمام الحسين ﷺ.

ج: الأمن العام لعموم الناس، وأن يحتمل عنهم معاوية ما يصدر من هفواتهم ولا يتبع أحداً بما مضى، ولا يأخذ أهل العراق بإحنه.

د: أن لا يتسمّى معاوية بأمير المؤمنين.

هـ: أن لا تقام عنده الشهادة.

و: أن يترك سبّ أمير المؤمنين عليه السلام ولا يذكره إلا بخير.

ز: أن يوصل لكل ذي حقّ حقّه.

ح: أن يأمن الشيعة ولا يتعرّض لهم بمكروه.

ط: أن يمنح أبناء من قتلوا في صفين والجمل ألف ألف درهم.

ي: أن يمنح الإمام الحسن عليه السلام ما في بيت مال الكوفة، ويقضي عنه ديونه ويدفع إليه في كل سنة مائة ألف.

ك: أن لا يبغي للإمام الحسن عليه السلام ولا للإمام الحسين عليه السلام ولا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله غائلة سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق((١)).

وهكذا فضح الإمام الحسن عليه السلام معاوية بهذه البنود، وسلب الشرعية منه، حيث نقضها بالكامل.

شهادة الإمام الحسن عليه السلام

بعد أن نقض معاوية الصلح وكشف عن حقيقته المخفية عن كثير من الناس، إذ كان شغله الشاغل أن يدلي بالخلافة لابنه يزيد، والحال أنّه جعل ولاية العهد بعده للإمام الحسن عليه السلام. لذا فقد عمد إلى مكيدة وخطط حيلة للتخلص من الإمام عليه السلام عبر طريقته المشهورة: إنّ لله جنوداً من عسل. فبعث إلى جعدة بنت الأشعث زوجة الإمام: إنكِ إن احتلتِ في قتل الحسن وجهت إليكِ بمائة ألف درهم، وزوجتكِ من يزيد((٢)).

وكان الإمام الحسن عليه السلام قد سقي السم مراراً، وإلى ذلك يشير عمير بن إسحاق قائلاً: كنّا عند الحسن بن علي عليه السلام فدخل المخرج ثم خرج. فقال: «سقيت السم مراراً وما سقيته مثل هذه المرّة، ولقد لفظت طائفة من كبدي، فرأيتني أقلبها بعود معي».

وفي الخبر أنّ سالم بن أبي الجعد قال: قلت: أفلا تتداوى؟.

فقال عليه السلام: «قد سقاني مرتين وهذه الثالثة لا أجد لها دواء، ولقد رقى إليَّ: أنه كتب إلى ملك الروم يسأله أن يوجه إليه من السم القتال شربة. فكتب إليه ملك الروم: إنه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا. فكتب إليه: إنَّ هذا ابن الرجل

(١) كتاب الفتوح: ج٤ ص٢٩٠-٢٩١.
(٢) شرح إحقاق الحق: ج٢٦/ ص٥٨٠.

الذي خرج بأرض تهامة، وقد خرج يطلب ملك أبيه، وأنا أريد أن أدسّ إليه من يسقيه ذلك، فأريح العباد والبلاد منه. ووجه إليه بهدايا وألطاف فوجه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دس فيها فسقيتها واشترط عليه في ذلك شروطاً»(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام: لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة بكى، فقيل له: يابن رسول الله تبكي ومكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أنت به، وقد قال فيك ما قال، وقد حججت عشرين حجّة ماشياً، وقد قاسمت مالك ثلاث مرّات حتى النعل بالنعل؟!.

فقال عليه السلام: «إنَّما أبكي لخصلتين: لهول المطلع، وفراق الأحبة»(٢).

وعن رؤبة بن مصقلة قال: لما نزل بالحسن عليه السلام الموت قال: «أخرجوا فراشي إلى صحن الدار». فأخرجوه فرفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم إني أحتسب عندك نفسي؛ فإنَّها أعزّ الأنفس عليَّ لم أُصب بمثلها. اللهم ارحم صرعتي، وآنس في القبر وحدتي». ثم توفي (٣).

ولما بلغ معاوية خبر شهادة الإمام الحسن عليه السلام فرح فرحاً شديداً، وإلى ذلك يشير ابن قتيبة قائلاً: فلما كانت سنة إحدى وخمسين، مرض الحسن بن علي عليه السلام مرضه الذي مات فيه. فكتب عامل المدينة إلى معاوية يخبره بشكاية الحسن، فكتب إليه معاوية: إن استطعت أن لا يمضي يوم يمر بي إلَّا يأتيني فيه خبره فافعل. فلم يزل يكتب إليه بحاله حتى توفي. فكتب إليه بذلك، فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً، حتى سجد وسجد من كان معه، فبلغ ذلك عبد الله بن عباس ـ وكان بالشام يومئذ ـ فدخل على معاوية، فلما جلس قال معاوية: يا بن عباس هلك الحسن بن علي. فقال ابن عباس: نعم هلك ﴿إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(٤) ـ ترجيعاً مكرراً ـ وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته!. أما والله ما سدّ جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك. ولقد مات وهو خير منك، ولئن أُصبنا به لقد أُصبنا بمن كان خيراً منه، جده رسول الله صلى الله عليه وآله، فجبر الله مصيبته، وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة(٥).

---

(١) الاحتجاج: ج٢ / ص٢٩١-٢٩٢.
(٢) الكافي: ج ١ / ص٤٦١.
(٣) تذكرة الخواص: ص٢١٣.
(٤) سورة البقرة: ١٥٦.
(٥) الإمامة والسياسة: ج١ / ص١٥٠-١٥١.

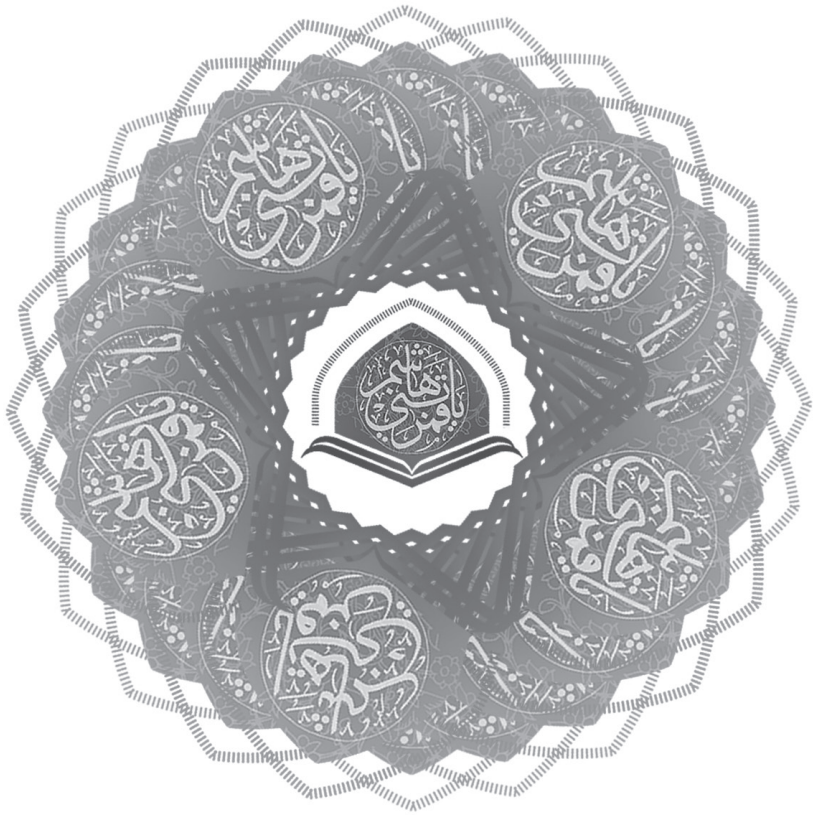

من فكر الإمام الرضا عليه السلام
علاقة الإنسان بنفسه وربه

عباس الذهبي

خلّف لنا الإمام الرضا عليه السلام مجموعة قيمة من التعاليم والوصايا التربوية والحضارية؛ لكي تنير لنا الطريق، وتصنع في النفوس المؤمنة صنيع الغيث في التربة الكريمة، وتساعد الإنسان المسلم عند مراعاتها على ارتقاء سلَّم القيم أو على الأقل ترميم ماتهدم منها.

ارتأينا تقسيم التعاليم التربوية والحضارية التي وردت عن الإمام عليه السلام إلى عدة دوائر، ومن هذه الدوائر ما ينظم علاقة الإنسان بنفسه وبربّه كالآتي:

أوّلاً: علاقة الإنسان بنفسه

للإمام عليه السلام تعاليم تربوية وحضارية تساعد الإنسان المسلم على السيطرة على نفسه وكبح جماحها، وإيقاظ خير ما في النفس البشرية من قيم ومشاعر وأحاسيس، وتسعى إلى استئصال كل جذور الشرّ في نفوس البشر.

ومن مجموعها يستفاد أنَّ الإمام عليه السلام يريد للإنسان من خلال السيطرة على نفسه الارتفاع إلى مستوى إيماني أعلى، إنطلاقًا من تعدّد مراتب الإيمان كما جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام بأنّ الإيمان: يزيد وينقص ويشتدّ ويضعف.

عن أبي عمر الزبيدي: قال الإمام الصادق عليه السلام: « الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التامّ المنتهي، ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد» قلت: إنَّ الإيمان ليتم وينقص ويزيد؟ قال: « نعم »(١).

(١) أُصول الكافي :٢: ٣٣.

وقد نسج الإمام الرضا عليه السلام على منوال جده الصادق عليه السلام فحثّ الإنسان المسلم على الارتقاء إلى مراحل إيمانية عالية، والتحليق في مدارات روحية أسمى ..

روى الفضيل بن يسار عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: « إنَّ الإيمان أفضل من الإسلام بدرجة، والتقوى أفضل من الإيمان بدرجةٍ، ولم يُعط بنو آدم أفضل من اليقين »(١) .

فإمامنا عليه السلام يريد للمؤشر الإيماني أن يرتفع لدينا وأن نصل إلى حقيقة اليقين المتمثّل بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بالقضاء ..

عن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن الرّضا، عن أبيه عليهما السلام قال: « رفع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قوم في بعض غزواته فقال: من القوم؟ فقالوا: مؤمنون يا رسول الله، قال: وما بلغ من إيمانكم؟ قالوا: الصبر عند البلاء، والشكر عند الرّخاء، والرضا بالقضاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حلماء علماء، كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء، إن كنتم كما تصفون، فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتّقوا الله الذي إليه ترجعون » (٢).

من جانب آخر نجد أنّ الإمام الرضا عليه السلام يدعو الإنسان إلى أن يضع نصب عينه دائمًا حقائق أساسية في الحياة، هي: الموت وأنه لابدّ منه، والقدر وتحكّمه فيه، والحياة وتحولها من حال إلى حال، فمن تيقن بالموت فسوف يحسب ألف حساب لما بعده من البعث والجزاء، وعندها سيسيطر على سلوكه ويهذبه خوفًا من الحساب المرتقب.

ومن يدرك قوة القدر الجبارة التي تتحكم فيه، لايحزن لما يصيبه من مصائب ونوازل، ولا يفقد توازنه إزاءها.

ومن يعي بأنَّ الدنيا متقلّبة الأحوال لا يركن إليها، ويوطن نفسه مسبقًا على ما يصيبه منها من خيرٍ أو شرٍ، وحينئذ لا يبطر عند السّرَّاء، ولا يجزع في الضَّرّاء.

وللإمام وصايا وإرشادات تربوية وحضارية تسلك بالإنسان المسلم قصد السبيل، وتستأصل شأفة الشر من نفسه الأمّارة بالسوء، وتساهم في طهارة نفسه وبدنه يمكننا الإشارة إليها بالفقرات التالية:

١ - اِلتزام الصمت:

لا يخفى بأنَّ أكثر مشاكلنا تتأتى من اطلاقنا العنان لألسنتنا بدون ضابط، وأن الكثير منا يرغب في الكلام أكثر من الاستماع، وهنا تستدعي الضرورة في أحيان كثيرة أن نتربى على الاعتصام بالصمت في حالات الانفعال أو المواقف الحرجة، أو من

(١) أُصول الكافي: ٢: ١٦.
(٢) المصدر نفسه: ٢: ٤٨.

أجل الحفاظ على الأسرار، من هنا يشيد إمامنا عليه السلام بالصمت، فهو عنده من علامات الفقه، وباب من أبواب الحكمة، ويرى بأنَّ له معطيات اجتماعية عديدة.

عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: قال أبو الحسن الرّضا عليه السلام: « من علامات الفقه: الحلم والعلم والصمت، إنَّ الصمت باب من أبواب الحكمة، إنَّ الصمت يكسب المحبة، إنّه دليل على كل خير »(١).

ومن المفيد التذكير أنَّ هناك علاقة وثيقة بين العبادة والصمت، فالعبادة عادةً تحتاج إلى صفاء وتفرغ عن المشاكل، واللسان المهذار أحد الأسباب التي تكدر صفو العبادة، وقد تسهم في إبطالها كما إذا تفوّه الإنسان بكلمات كبيرة كالقذف والسّباب والفسوق وما إلى ذلك.

وعمومًا فإطلاق العنان للِّسان، وهو المعروف بعثراته وزلاته، يوقع الإنسان في شرك الشيطان الذي يوحي له بالسوء والفحشاء، الأمر الذي ينعكس سلبًا على العبادة. من هنا ينبه الإمام عليه السلام إلى حقيقة منطقية، هي: أنّ السيطرة على النفس لا تتمّ إلَّا من خلال عقل اللِّسان عن عبارات السوء والفحشاء:

عن الوشّاء، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: « كان الرَّجل من بني إسرائيل إذا أراد العبادة صمت قبل ذلك عشر سنين»(٢).

٢- الحلم:

يحثّ الإمام عليه السلام على الحلم ويعتبره من علامات الفقه كالعلم والصمت، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قال أبو الحسن الرّضا عليه السلام: « من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت .. »(٣).

ويحدّد لنا قاعدتين تربويتين، هما: السكوت عن الجاهل، وعدم عتاب الصديق، فكثيرًا ما تكون البيئة التي تربّى فيها والتربية الخاطئة التي تلقاها، هي السبب في بعض تصرفاته غير السليمة، وهنا لابدّ من السكوت وغضّ النظر عن الهفوات غير المهمّة التي تصدر منه بصورة عفوية، وعدم معاتبته عليها؛ لأنَّ العتاب قد يتطوّر إلى جدال بالباطل، الأمر الذي قد يتسبّب في قطع عروق العلائق بين الجانبين. وهنا يصبّ إمامنا عليه السلام هذه القواعد التربوية في قالب جميل من الشعر، قال له المأمون(٤): هل رويت من الشعر شيئًا، فقال عليه السلام: قد رويت منه الكثير، فقال: أنشدني أحسن ما رويته في الحلم، فقال عليه السلام:

إذا كان دوني من بليت بجهله***أبيت لنفسي أن تقابل بالجهل

---

(١) أُصول الكافي ٢: ١١٣.

(٢) المصدر نفسه ٢: ١١٦.

(٣) المصدر نفسه ٢: ١١٣.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٨٧.

وإن كان مثلي في محلّي من النهى***أخذت بحلمي كي أجلّ عن المثل

وإن كنت أدنى منه في الفضل والحجى***عرفت له حقّ التقدّم والفضل

فقال له المأمون: ما أحسن هذا، من قاله؟! فقال بعض فتياننا، قال: فأنشدني أحسن ما رويته في السكوت عن الجاهل وترك عتاب الصديق، فقال عليه السلام:

إني ليهجرني الصديق تجنبا فاريه أنَّ لهجره أسبابا

وأراه إن عاتبته أغريته فأرى له ترك العتاب عتابا

وإذا بليت بجاهل متحكم يجد المحال من الأمور صوابا

أوليته منّي السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جوابا

ثمّ قال المأمون: أنشدني أحسن ما رويته في استجلاب العدو حتى يكون صديقا، فقال عليه السلام:

ومن لا يدافع سيئات عدوه بإحسانه لم يأخذ الطول من عَلِ

ولم أرَ في الأشياء أسرع مهلكا لغمر قديم من وداد معجل

فالإمام هنا ونتيجة للأفق الاجتماعي الرّحب الذي يتمتّع به يدعو ليس فقط إلى السكوت عن الصديق وإنَّما إلى أبعد من ذلك بكثير إلى استجلاب العدو حتى يكون صديقًا! ..إنَّها النفس الكبيرة.

٣- الحياء:

وهو رأس الخصال الكريمة، وأصل المروءة وسبب العفّة. والعلاقة وثيقة بين الإيمان والحياء، فكلَّما زاد حياء الإنسان دلّ على مدى عمق إيمانه، وأمَّا من خلع ثوب الحياء فلا إيمان له، يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: « الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه » (١).

وقد أكّد الإمام الرضا عليه السلام على هذه الحقيقة المهمة، حقيقة التلازم بين الإيمان والحياء، فقال عليه السلام: « الحياء من الإيمان » (٢). ومن هنا فمن يخلع حزام العفة وينطلق مع شهواته ولا يبالي بما قيل له أو فيه لا إيمان له واقعاً؛ لأنّ الإيمان التزام وشعور متغلغل في أعماق النفس يحكي عنه الحياء بجلاء.

(١) كنز العمال / المتقي الهندي ٣: ١٢١ / ٥٧٥٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٥٦.

٤- التواضع:

وهو خصلة أخلاقية جميلة احتلت مكانًا واضحًا في فكر وسلوك إمامنا الرضا ﷺ؛ فعلى صعيد الفكر كشف عن المفهوم العميق للتواضع، وبيّن حدَّه ودرجاته، ومن يتمعّن في الرواية التالية يكتشف نفاذ رؤية الإمام ﷺ وشمول نظرته وعمق تناوله. عن أبي الحسن الرِّضا ﷺ قال: « التواضع درجات؛ منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحبّ أن يأتي إلى أحد إلَّا مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ عافٍ عن الناس، والله يحب المحسنين » (١).

فهو يقدم لنا قراءة عظيمة لمفهوم التواضع، تنطلق من رؤيا دقيقة وموضوعية مفادها أن يعرف المرء أولاً وقبل كل شيء قدر نفسه ومنزلتها، ولا يرتفع بها فوق مقامها؛ كي لا يلام على ذلك، وقد يكون عرضةً للسخرية والاستهزاء. وأن لا يحبّ لنفسه ما لا يحبّ لغيره، بل عليه أن يعامل الناس كما يحب أن يعاملوه، إضافة إلى ذلك يشير إمامنا إلى بُعد أبعد للتواضع فيه جنبة اجتماعية، ويتمثّل بدرء السيئة بالحسنة، وكظم الغيظ والعفو عن الناس.

هذا على صعيد الفكر أمّا على صعيد العمل فنجده في سلوكه ﷺ يتواضع إلى الدرجة القصوى في تعامله مع الناس، ومن الأمثلة الحية على مقدار تواضعه، أنه دخل الحمام، فقال له بعض الناس: دلّكني يا رجل، فجعل يدلّكه، فعرّفوه، فجعل الرجل يستعذر منه وهو ﷺ يُطيب قلبه ويدلكه (٢).

فهو يرى أنَّ الشرف والكرامة تتحقّق من خلال القيم والمقاييس المعنوية المتمثلة بالتقوى والطاعة لله تعالى وليس من خلال القيم والمقاييس المادية المتمثلة بالحسب والنسب، أو المال والقدرة وما إلى ذلك.

وكان عندما يكيلون له أو لآبائهﷺ المديح والثناء يتواضع جدًا ويكشف لهم عن المفهوم القرآني للشرف والخيرية المتمثّل بالتقوى:

عن محمد بن موسى بن نصر الرازي، قال(٣): سمعت أبي، يقول: قال رجل للرضا ﷺ: والله ما على وجه الأرض أشرف منك أبا، فقال ﷺ: « التقوى شرفتهم، وطاعة الله أحظتهم »، فقال له آخر: أنت والله خير الناس، فقال له: « لا تحلف يا هذا، خير مني من كان أتقى لله تعالى وأطوع له، والله ما نسخت هذه الآية: (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(٤)».

---

(١) أُصول الكافي ٢: ١٢٤.

(٢) المناقب ٤: ٣٩.

(٣) عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٢٦١.

(٤) سورة الحجرات: ٤٩ / ١٣.

حاول بذلك التنبيه على أنَّ الاعتماد على محض القرابة ليس يستحسن في العقول، وإنَّما الشرف في الكمال العلمي والعملي ورأسهما التقوى.

وعن ابن ذكوان قال: سمعت إبراهيم بن العباس يقول: سمعت عليَ بن موسى الرضا ﷺ يقول: « حلفت بالعتق ولا أحلف بالعتق إلَّا أعتقت رقبة، وأعتقت بعدها جميع ما أملك إن كان يرى أنّه خير من هذا - وأومأ إلى عبد أسود من غلمانه - بقرابتي من رسول الله ﷺ إلاّ أن يكون لي عمل صالح فأكون أفضل به منه »(١).

٥ - العمل لوجه الله تعالى:

العمل شعار المؤمن، وهو الذي يسهم في إيصاله إلى أعلى الدرجات، قال تعالى: (**ومن يأته مؤمنا قد عَمِلَ الصّالحاتِ فأُولئِكَ لهمُ الدَّرجات العُلى**) (٢) والعمل هو الذي يفجّر طاقات النفس الإبداعية، فتنطلق في آفاق أرحب وتحيى حياة طيبة، يقول عزَّوجلَّ: (**ومن عَملَ صالحا من ذكر أو أُنثى وهو مؤمنٌ فلنُحيينّهُ حياةً طيبة ..**)(٣).

ومعلومٌ أن مدرسة أهل البيت ﷺ تركز على «الثنائي الحضاري» المتمثل بالإيمان المقترن بالعمل، يقول أمير المؤمنين ﷺ: « لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير عمل »(٤).

والإمام الرضا ﷺ يدعو المؤمن إلى سبر أغوار نفسه ومعرفة دافع العمل الذي يقوم به هل هو خالص لله أم لا؟ فليس العمل المجرّد في الإسلام هو المطلوب، وإنَّما العمل المقترن بدوافع نبيلة ونية خالصة، والبعيد عن الرياء والسمعة، بتعبير آخر أن يكون خالصًا لله. وفي هذا الصدد يصوغ لنا إمامنا قاعدة عبادية، هي: « من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل »(٥).

عن محمد بن عرفة قال: قال لي الإمام الرضا ﷺ: « ويحك يا بن عرفة، اعملوا لغير رياء ولا سُمعة، فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل، ويحك! ما عمل أحد عملاً إلاّ ردّاه الله، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشر » (٦).

ثمّ إنَّ الاستتار بالعمل يبعده عن الرياء والسمعة، ويوجب مضاعفة الثواب:

عن العباس مولى الرضا ﷺ قال: سمعته يقول: « المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بها

---

(١) بحار الأنوار ٤٩: ٩٥.
(٢) سورة طه: ٢٠ / ٧٥.
(٣) سورة النحل / اية ٩٧.
(٤) سورة النحل: ١٦ / ٩٧.
(٥) نهج البلاغة/ ٤٩٧.
(٦) أُصول الكافي/ ٢: ٢٩٤.

مغفور له »(١).

وفي جانب آخر يصوغ لنا إمامنا قاعدة تتعلّق بالقناعة بالرزق وعلاقته بالعمل، ومفادها: « من يقتنع بالقليل من الرزق يكفيه القليل من العمل ».

قال ﷺ: « من لم يقنعه من الرّزق إلاّ الكثير لم يكفه من العمل إلَّا الكثير ومن كفاه من الرّزق القليل فإنَّه يكفيه من العمل القليل » (٢).

فالإمام يذمّ – بصورة ضمنية – التكالب على الدنيا، ويرى بأنَّ القناعة كتربة خصبة ينمو فيها العمل ولو كان قليلاً ما دام خالصًا لله تعالى. أما حرص الإنسان على الحصول على فوق ما يكفيه من الرزق فقد يشغله بملذّات ومغريات الدنيا، فيحتاج – والحال هذه – إلى عمل عبادي أكثر يتناسب وحجم ما يسعى لتحصيله كما هو مفاد الحديث.

٦ – الاستغناء عن الناس:

يدعو الإمام ﷺ في تعاليمه التربوية على الاعتماد على النفس والامتناع عن طلب الحوائج من الآخرين وخاصة إذا كانوا مخالفين، صيانة لماء الوجه، وتنزيهًا للنفس عمّا يشينها:

عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: قلت لأبي الحسن الرضا ﷺ: جعلت فداك اكتب لي إلى إسماعيل بن داود الكاتب لعلّي أُصيب منه، قال: « أنا أضنّ بك أن تطلب مثل هذا وشبهه، ولكن عوّل على مالي »(٣). فالإمام يريد العزة والكرامة للمسلم، وأن لا يكون كلاًّ على غيره، وإن كان ولا بُد من الطلب فينبغي أن تُطلب الحاجة من الأفراد الصالحين، وأن لاتكون الحاجة خسيسة وغير ذات قيمة.

٧ – الاهتمام بالمظهر:

وهو أمر حضاري يعبّر عن درجة الرّقي لأفراد أيّ أمّة. علمًا بأنَّ الإسلام قد حثّ من اعتنقه على الاهتمام بالنظافة عمومًا، كما حثّ على الاهتمام بالأناقة، وكان الرضا ﷺ يلفت النظر إلى أهمية الطيب، وفي هذا المجال يقول: « لا ينبغي للرجل أن يدَع الطيب في كلّ يوم، فإن لم يقدر عليه فيوم ويوم لا، فإن لم يقدر ففي كلّ جمعة، ولا يدع ذلك »(٤).

---

(١) أُصول الكافي/ ٢: ٤٢٨ .
(٢) المصدر نفسه/ ٢: ١٣٨.
(٣) المصدر نفسه/ ٢: ١٤٩.
(٤) كشف الغمة ٣: ٨٦.

وعن الحسن بن الجهم، قال: قال أبو الحسن عليه السلام: « كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا يأبى الكرامة إلّاحمار، قلت: مامعنى ذلك؟ قال: « التوسعة في المجلس والطيب يُعرض عليه » (١).

نخلص من هذا كله إلى القول بأنَّ الإمام الرضا عليه السلام قد ترك لنا ثروة معنوية لا تقدر بثمن، هي مجموع التعاليم التربوية والحضارية الرائعة التي ينبغي أن نضعها نصب أعيننا من أجل الصعود الحضاري بأفراد أمتنا إلى مدارج الكمال والرّفعة.

ثانياً: علاقة الإنسان بخالقه

يدعو الإمام الرضا عليه السلام إلى بناء وتوثيق علاقة المسلم بخالقه، ويوقظ في نفسه العاطفة الدينية، ويزرع في وعيه المفهوم السليم للعبادة، وضرورة الإخلاص فيها، كما يبين الأساليب المؤدّية إلى تعزيز العلاقة مع الرَّب، ويكشف عن النتائج الايجابية لمن أطاع ربَّه والعواقب الوخيمة لمن عصاه. والحديث التالي يقدم لنا مفهومًا عميقًا للعبادة يعطي فيه للفكر الأولوية، بينما يأتي العمل العبادي من صلاة وصوم وما إلى ذلك في المرتبة الثانية:

عن معمر بن خلاّد قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: « ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنّما العبادة التفكّر في أمر الله عزَّوجلَّ »(٢)، فإمامنا يقدم في مفهومه للعبادة الفكر والعقل لكونه أصل في الاعتقاد السليم، أما الشعائر وأعمال الجوارح فهي تابع للعقل والاعتقاد ومتفرّعة منه. ومن هنا كانت عبادة أكثر المقرّبين إلى أهل البيت عليهم السلام كأبي ذرّ وعمّار وسلمان وغيرهم (رضي الله عنهم) مقرونة بالتفكّر والاعتبار، وقد سألوا أم ذرّ يوما عن عبادته، فقالت: «كان نهاره أجمع يتفكّر في ناحية من الناس» (٣).

من جانب آخر يركز إمامنا عليه السلام على الإخلاص في العبادة لكونها تنطلق من بواعث ذاتية، كالنية، وبدونها يفسد العمل العبادي كما تُفسد قطرة الخل العسل. وفي هذا الخصوص يروي الرضا عليه السلام عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام قوله: « طوبى لمن أخلص لله العبادة والدُّعاء، ولم يشغل قلبه بما تراه عيناه، ولم ينسَ ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أُعطي غيره »(٤).

ضمن هذا السياق يعرض لنا إمامنا عليه السلام أسلوبين لتقوية العلاقة مع الخالق، هما:

١ - أسلوب الاستغفار

ليس خافياً بأن الذنوب تمثل عائقاً يحول دون توطيد العلاقة مع الرَّب، والاستغفار هو الأسلوب الذي يرتضيه الرَّب لكسب عفوه واستجلاب رحمته، وليس من شكّ في أن الاعتراف بالذنب مقدمة ضرورية عند العقلاء لتخفيف الجرم أو إلغائه،

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٧٨.
(٢) أُصول الكافي/ ٢: ٥٥ / ٤.
(٣) تنبيه الخواطر / الأمير ورّام ١: ٢٥٠.
(٤) أُصول الكافي/ ٢: ١٣ / ٣.

والله تعالى سيد العقلاء يدعو عباده المذنبين الذين قطعوا حبل الوصال معه إلى الاستغفار والتوبة كمقدمة للدخول في حظيرة قدسه، بشرط أن يكون المستغفر صادقًا في طلبه، مقلعًا عن ذنبه.

والملاحظ أنّ إمامنا ﷺ يستخدم ضرب الأمثال كأسلوب تربوي فعّال لتقريب الفكرة إلى الواقع المحسوس في عقول الناس:

عن ياسر، عن الرضا ﷺ قال: « مثل الاستغفار مثل ورق على شجرة تحرَّك فيتناثر، والمستغفر من ذنب ويفعله كالمستهزىء بربِّه »(١).

٢ - أسلوب الدعاء

تتوطّد دعائم العلاقة بالله تعالى من خلال الدعاء الذي يمثل الاتصال المباشر بين البشر وخالقهم، ولاسيما وأن الله تعالى قد أَذِن للإنسان بالدعاء وتكفّل له بالإجابة. والدعاء هو شكل من العبادة بل أفضلها، قال الرسول الأكرم ﷺ: « أفضل العبادة الدعاء »(٢)، وهو أحبّ الأعمال إلى الله تعالى، قال أمير المؤمنين ﷺ: « أحبّ الأعمال إلى الله عزَّوجلَّ في الأرض الدعاء »(٣)، وعن أبي جعفر ﷺ: « إنَّ الله تعالى يحبّ من عباده المؤمنين كل دعّاء »(٤).

وعلى هذا الأساس يحث الإمام الرضا ﷺ أصحابه وشيعته على الارتباط بالله وتقوية العلاقة معه من خلال الإلحاح بالدعاء، الذي هو - حسب تعبيره - سلاح الأنبياء:

عن ابن فضال، بإسناده إلى الرضا ﷺ أنّه كان يقول لأصحابه: « عليكم بسلاح الأنبياء »، فقيل: وما سلاح الأنبياء؟ قال: « الدُّعاء » (٥).

وينقل لنا ﷺ حديثًا عن جدّه زين العابدين ﷺ مبيّنًا فيه الاقتران في الدنيا بين الدعاء والبلاء، كاشفًا عن القدرة الكبرى للدعاء في رفع أمواج البلاء المتلاطمة في بحر الحياة الهائج المائج: عن أبي همّام إسماعيل بن همّام، عن الرضا ﷺ، قال عليّ بن الحسين ﷺ: « إنَّ الدّعاء والبلاء ليترافقان إلى يوم القيامة، إنَّ الدُّعاء ليردُّ البلاء وقد أُبرم إبراما » (٦).

---

(١) أُصول الكافي/ ٢: ٥٠٤.
(٢) تنبيه الخواطر ٢: ٢٣٧.
(٣) أُصول الكافي ٢: ٤٦٧.
(٤) الدعوات / قطب الدين الراوندي: ٣٤/ ٧٨.
(٥) أُصول الكافي ٢: ٤٦٨ .
(٦) المصدر نفسه ٢: ٤٦٩ .

ومن المفيد التذكير بأنَّ الدعاء في السر أكثر ثوابًا من الدعاء في العلن؛ لأنَّ الأول يمثل اتصالًا مباشرًا بين العبد وربّه لا مجال فيه للرياء والنفاق أو إلحاق الأذى بالنفس أمام الظالمين أو إثارة مشاعر الآخرين، من هنا يوصي إمامنا ﷺ بدعوة السرّ: عن أبي همّام إسماعيل بن همّام عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال: « دعوة العبد سرًّا دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية ». وفي رواية أُخرى: « دعوة تخفيها أفضل عند الله من سبعين دعوة تظهرها »(١) .

ويلفت نظرنا ﷺ إلى نقطة مهمة، وهي عدم القنوط واليأس عند تأخّر إجابة الدعاء، فالقنوط أواليأس نوع من إساءة الظن بالله تعالى، ولأنَّ الله تعالى حكيم ورحيم وأعرف بمصالح عبده، فقد يستجيب الدعاء ولكن يؤخره للوقت أو الظرف المناسب للعبد، وعليه يُسدي الإمام ﷺ نصيحته لشيعته بتجنب الوقوع في شرك الشيطان، الذي يحاول أن يقنط الإنسان من رحمة ربّه:

عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قلت لأبي الحسن ﷺ: جعلت فداك إنّي قد سألت الله حاجة منذ كذا وكذا سنة وقد دخل قلبي من إبطائها شيء، فقال: « يا أحمد، إيّاك والشيطان أن يكون له عليك سبيلاً حتى يقنّطك، إنَّ أبا جعفر صلوات الله عليه كان يقول: إنَّ المؤمنَ يسألُ الله عزَّوجلَّ حاجةً فيُؤخّرُ عنه تعجيل إجابته حبًّا لصوته واستماع نحيبه ».

ثمَّ قال: « والله ما أَخَّر الله عزَّوجلَّ عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدُّنيا خيرٌ لهم ممّا عجَّل لهم فيها، وأَيُّ شيءٍ الدُّنيا؟ إنَّ أبا جعفر ﷺ كان يقولُ: ينبغي للمؤمن أن يكونَ دُعاؤُهُ في الرَّخاء نحوا من دُعائِهِ في الشدَّةِ، ليس إذا أُعطي فَتَر، فلا تملّ الدّعاءَ فإنّهُ من الله عزَّوجلَّ بمكانٍ، وعليك بالصَّبر وطلب الحلال وصلة الرّحم، وإيّاك ومكاشفة الناس، فإنّا أهل البيتِ نصلُ من قطعنا ونُحسنُ إلى من أساء إلينا، فنرى والله في ذلك العاقبة الحسنة»(٢).

وهكذا يقدم لنا رؤية شمولية لتوثيق العلاقة مع الخالق، تلك العلاقة التي تعود بأعظم الفوائد على المخلوق في الدنيا والآخرة.

---

(١) أُصول الكافي ٢: ٤٧٦.

(٢) بحار الأنوار / ج ٩٠ / ص٣٦٧.

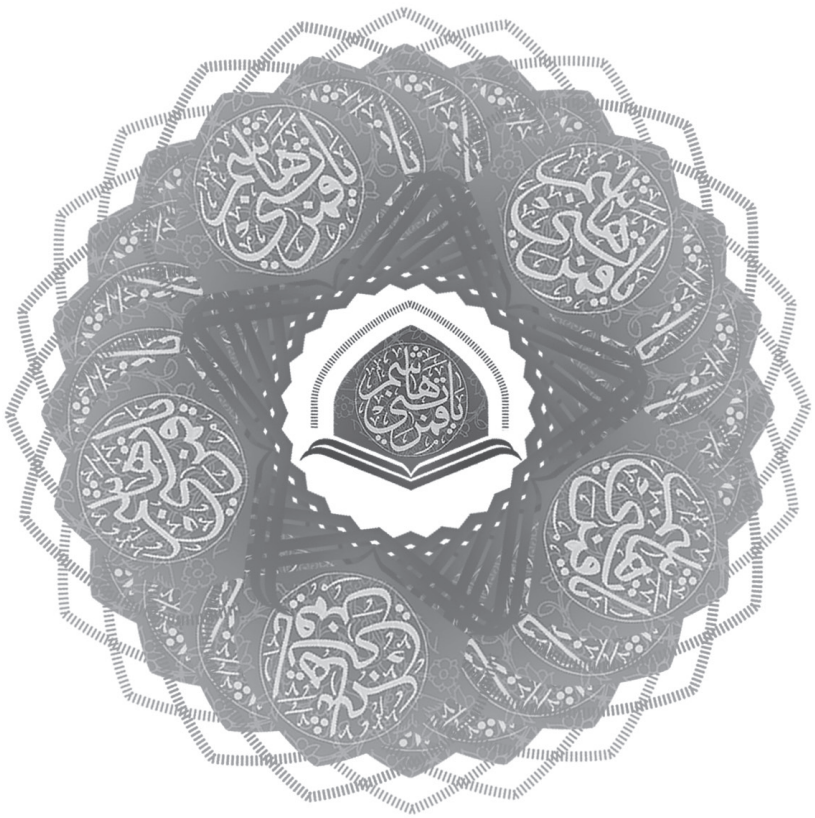

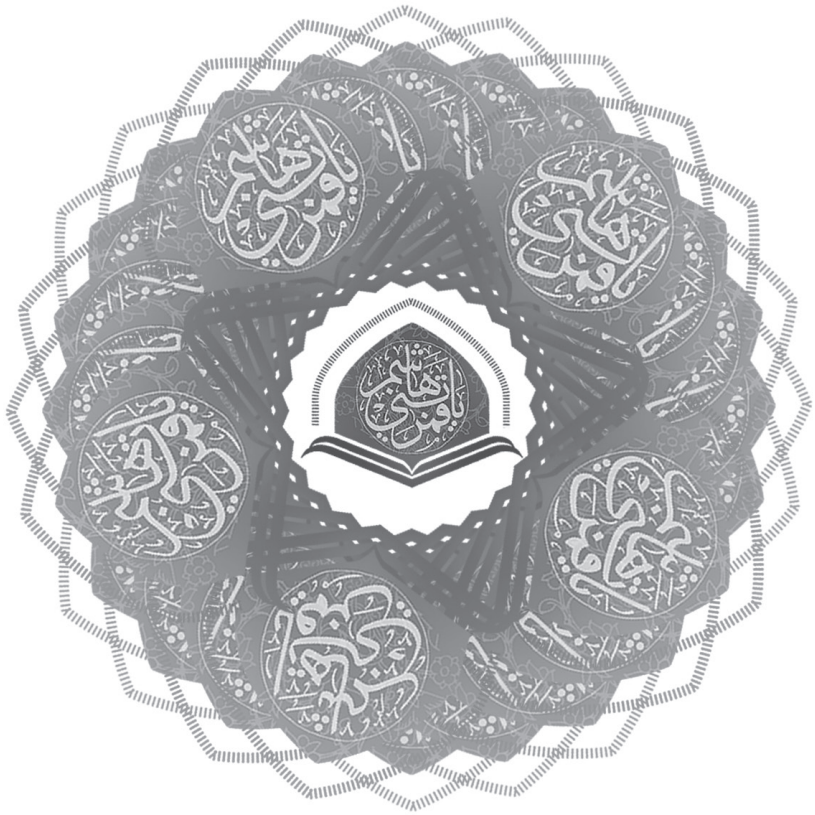

حوار مع المعصومين عليهم السلام حول زيارة الإمام الحسين عليه السلام

السيد عصام الخرسان

قبل الدخول في حوار مع المعصومين عليهم السلام ينبغي التنبيه على أنَّ الموت ليس نهاية الحياة، وأنَّ الإنسان لا ينعدم بالموت بل ينتقل بالموت إلى حياة أخرى تسبق الحياة الآخرة تُسمى بالحياة البرزخية، إلَّا أنّنا نجهل حقيقة هذه الحياة.

رُوِيَ عَنْ حَبَّةَ الْعُرَنِيِّ أَنه قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى الظَّهْرِ ـ أي ظهر الكوفة ـ فَوَقَفَ بِوَادِي السَّلَامِ كَأَنَّهُ مُخَاطِبٌ لِأَقْوَامٍ، فَقُمْتُ بِقِيَامِهِ حَتَّى أَعْيَيْتُ، ثُمَّ جَلَسْتُ حَتَّى مَلِلْتُ، ثُمَّ قُمْتُ حَتَّى نَالَنِي مِثْلُ مَا نَالَنِي أَوَّلًا، ثُمَّ جَلَسْتُ حَتَّى مَلِلْتُ، ثُمَّ قُمْتُ وَ جَمَعْتُ رِدَائِي.

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي قَدْ أَشْفَقْتُ عَلَيْكَ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ فَرَاحَةَ سَاعَةٍ، ثُمَّ طَرَحْتُ الرِّدَاءَ لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ لِي: يَا حَبَّةُ إِنْ هُوَ إِلَّا مُحَادَثَةُ مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤَانَسَتُهُ .

قَالَ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ ؟

قَالَ: نَعَمْ، وَ لَوْ كُشِفَ لَكَ لَرَأَيْتَهُمْ حَلَقاً حَلَقاً مُحْتَبِينَ يَتَحَادَثُونَ .

فَقُلْتُ: أَجْسَامٌ أَمْ أَرْوَاحٌ ؟

فَقَالَ: « أَرْوَاحٌ، وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَمُوتُ فِي بُقْعَةٍ مِنْ بِقَاعِ الْأَرْضِ إِلَّا قِيلَ لِرُوحِهِ الْحَقِي بِوَادِي السَّلَامِ، وَإِنَّهَا لَبُقْعَةٌ مِنْ جَنَّةِ

عَدْنٍ (١).

ويبدو أنَّ هناك فرقاً بين موت عامة الناس وبين موت أولياء الله، حيث نجد القرآن الكريم لا يَعُدُّ الشهداء أمواتاً ـ رغم موتهم حسب مقاييسنا ـ و ينهانا عن عدِّهم كذلك فيقول: (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**)(٢) .

وقال عَزَّ ذكره: (**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ**)(٣) .

لذلك سيكون حوارنا مع المعصومين –صلوات الله عليهم– باعتبارهم أحياء وهم أعرف الناس بقضية سيد الشهداء عليه السلام، وسيكون بالخصوص حول الزيارة وآدابها وأدلتها وثواب الزائر وما يتعلق بها من القضايا الأخرى.

السؤال الأوَّل: لقد شاء الله أن تكون قضية الإمام الحسين عليه السلام استثنائية في كل جوانبها، ومن ذلك: شدّة الحزن والبكاء عليه وإقامة العزاء على مصابه، وشدّ الرحال لزيارته في كل مناسبة إسلامية مهمّة وفي كل ليلة جمعة، وغيرها، فهل نعرف من خلال هذا الحث أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام حقّ واجب على كل مسلم ومؤمن؟

- **الإمام أبو جعفر** عليه السلام: « مُرُوا شِيعَتَنَا بِزِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَإِنَّ إِتْيَانَهُ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ وَيَمُدُّ فِي الْعُمُرِ وَيَدْفَعُ مَدَافِعَ السُّوءِ، وَإِتْيَانَهُ مُفْتَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ يُقِرُّ لَهُ بِالإِمَامَةِ مِنَ اللهِ»(٤).
- **الإمام أبو عبدالله** عليه السلام: « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ حَجَّ دَهْرَهُ ثُمَّ لَمْ يَزُرِ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام لَكَانَ تَارِكاً حَقّاً مِنْ حُقُوقِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله لأَنَّ حَقَّ الْحُسَيْنِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»(٥).

السؤال الثاني: هل أنّ وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام المذكور في الروايات مختص بالرجال فقط أم يشمل النساء أيضاً؟

- الإمام أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «... إِنَّ زِيَارَةَ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَاجِبَةٌ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ»(٦).

السؤال الثالث: ما هي فضيلة أرض كربلاء والتربة التي دفن فيها الإمام الحسين عليه السلام؟

---

(١) الكافي : ٣ / ٢٤٣ .
(٢) سورة آل عمران (٣)، الآيات : ١٦٩ ـ ١٧١ .
(٣) سورة البقرة/ الآية : ١٥٤ .
(٤) وسائل الشيعة/ ج١٤/ ص٤١٣.
(٥) التهذيب/ ج٦/ ص٤٢.
(٦) التهذيب/ باب ٣٩ / ص٤٣٧.

- **الإمام أبو عَبْدِ الله** عليه السلام: « إِنَّ أَرْضَ الْكَعْبَةِ قَالَتْ: مَنْ مِثْلِي وَقَدْ بُنِيَ بَيْتُ الله عَلَى ظَهْرِي يَأْتِينِي النَّاسُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ وَجُعِلْتُ حَرَمَ الله وَأَمْنَهُ. فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهَا: كُفِّي وَقِرِّي، مَا فَضْلُ مَا فُضِّلْتِ بِهِ فِيمَا أُعْطِيَتْ أَرْضُ كَرْبَلاءَ إِلاّ بِمَنْزِلَةِ الإِبْرَةِ غُمِسَتْ فِي الْبَحْرِ فَحَمَلَتْ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ، وَلَوْلا تُرْبَةُ كَرْبَلاءَ مَا فَضَّلْتُكِ، وَلَوْلا مَنْ ضَمَّتْهُ كَرْبَلاءُ لَمَا خَلَقْتُكِ ولا خَلَقْتُ الَّذِي افْتَخَرْتِ بِهِ، فَقِرِّي وَاسْتَقِرِّي وَكُونِي ذَنَباً مُتَوَاضِعاً ذَلِيلاً مَهِيناً، غَيْرَ مُسْتَنْكِفٍ وَلا مُسْتَكْبِرٍ لأَرْضِ كَرْبَلاءَ وَإِلاّ مَسَخْتُكِ وَهَوَيْتُ بِكِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»(١).

«فِي طِينِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَهُوَ الدَّوَاءُ الأَكْبَرُ»(٢).

- **الإمام الصَّادِق** عليه السلام: «مَنْ أَدَارَ سُبْحَةً مِنْ تُرْبَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَرَّةً وَاحِدَةً بِالاسْتِغْفَارِ أَوْ غَيْرِهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَأَنَّ السُّجُودَ عَلَيْهَا يَخْرِقُ الْحُجُبَ السَّبْعَ»(٣).

السؤال الرابع: هل أنّ زيارة سيد الشهداء عليه السلام مختصّة بمحبّي الإمام وشيعته فقط؟

- **الإمام أبو عَبْدِ الله** عليه السلام: «لَيْسَ نَبِيٌّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاّ يَسْأَلُونَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُؤْذَنَ لَهُمْ فِي زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَفَوْجٌ يَنْزِلُ وَفَوْجٌ يَعْرُجُ»(٤).

- **الإمام الصادق** عليه السلام: «ما بين قبر الحسين عليه السلام إلى السماء السابعة مختلف الملائكة»(٥).

السؤال الخامس: في بعض الروايات الشريفة أنّ الله تعالى وكّل بقبر الإمام الحسين عليه السلام ملائكة يعبدون الله عنده، فما هو الترابط الموجود بين عبادة الملائكة وزوّار الإمام سيد الشهداء عليه السلام؟

- **الإمام أبو عَبْدِ الله** عليه السلام: « وكّل الله بقبر الحسين بن علي عليه السلام سبعين ألف ملك يعبدون الله عنده، الصلاة الواحدة من صلاة أحدهم تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين، يكون ثواب صلاتهم لزوّار قبر الحسين بن علي عليه السلام، وعلى قاتله لعنة الله والملائكة والناس أجمعين أبد الآبدين»(٦).

السؤال السادس: كيف يكون حال زائر الإمام الحسين عليه السلام يوم القيامة؟

---

(١) وسائل الشيعة/ ج١٤/ ص٥١٤.
(٢) من لا يحضره الفقيه/ ج٢ص٥٩٩.
(٣) وسائل الشيعة/ ج٦/ ص٤٥٦.
(٤) فروع الكافي/ ج٤ / ص٥٨٨.
(٥) من لا يحضره الفقيه/ ج٢/ ص٥٧٩.
(٦) كامل الزيارات/ ص١٢١.

- **الإمام أبو جَعْفَرٍ** عليه السلام: « يُؤْمِنُهُ اللهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ وَتَلَقَّاهُ الْمَلائِكَةُ بِالْبِشَارَةِ وَيُقَالُ لَهُ لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي فِيهِ فَوْزُكَ»(١).

السؤال السابع: إنّ الإمام الحسين عليه السلام استشهد وهو عطشان ومكروب ولهفان ومظلوم، فهل يوجد فرق بين من يزوره وهو عطشان ولهفان ومكروب ومن يزوره وهو في حالة طبيعية؟

- **الإمام أبو جَعْفَرٍ** عليه السلام: «إِنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام صَاحِبَ كَرْبَلاءَ قُتِلَ مَظْلُوماً مَكْرُوباً عَطْشَاناً لَهْفَاناً فَآلَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لا يَأْتِيَهُ لَهْفَانٌ وَلا مَكْرُوبٌ وَلا مُذْنِبٌ وَلا مَغْمُومٌ وَلا عَطْشَانُ وَلا مَنْ بِهِ عَاهَةٌ ثُمَّ دَعَا عِنْدَهُ وَتَقَرَّبَ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلاّ نَفَّسَ اللهُ كُرْبَتَهُ وَأَعْطَاهُ مَسْأَلَتَهُ وَغَفَرَ ذَنْبَهُ وَمَدَّ فِي عُمُرِهِ وَبَسَطَ فِي رِزْقِهِ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ»(٢).

السؤال الثامن: هل للنبي صلى الله عليه وآله تعامل خاص مع زوّار الإمام الحسين عليه السلام يوم القيامة؟

- الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله: «... كَانَ حَقّاً عَلَيَّ أَنْ أَزُورَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأُخَلِّصَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ»(٣).

السؤال التاسع: إنّ للإمام الحسين عليه السلام محبّة خاصة عند سيدتنا فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) فهو كما في الروايات الشريفة ثمرة فؤادها، فكيف تتعامل (سلام الله عليها) يوم القيامة مع زائر ولدها الحسين عليه السلام؟

- **الإمام أبو عبدالله** عليه السلام: « إنّ فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله تحضر لزوّار قبر ابنها الحسين عليه السلام فتستغفر لهم ذنوبهم»(٤).

السؤال العاشر: ورد في الروايات الشريفة أنّ الإنفاق في الحجّ عمل حسن، فهل يعدّ الإنفاق في المسير إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام كذلك؟

- **الإمام أبو عبدالله** عليه السلام: «... يُحْسَبُ لَهُ بِالدِّرْهَمِ أَلْفٌ وَأَلْفٌ، حَتَّى عَدَّ عَشَرَةً، وَيُرْفَعُ لَهُ مِنَ الدَّرَجَاتِ مِثْلُهَا، وَرِضَا اللهِ خَيْرٌ لَهُ وَدُعَاءُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَدُعَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالأَئِمَّةِ (سلام الله عليهم) خَيْرٌ لَهُ»(٥).

السؤال الحادي عشر: ما هي بشائر الله تعالى لزائر الإمام الحسين عليه السلام؟

- **الإمام أبو عبدالله** عليه السلام: «... والله إنّ الله ليباهي بزائر الحسين، والوافد يفده الملائكة المقرّبون وحملة عرشه حتى إنه ليقول لهم: أما ترون زوّار قبر الحسين أتوه شوقاً إليه وإلى فاطمة بنت رسول الله. أما وعزّتي وجلالي وعظمتي لأوجبنّ لهم كرامتي

(١) وسائل الشيعة/ ج١٤/ ص٤٥٦.
(٢) مستدرك الوسائل/ ج١٠/ ص٢٣٩.
(٣) فروع الكافي/ ج٤/ ص٥٤٨.
(٤) كامل الزيارات/ ص١١٨.
(٥) وسائل الشيعة/ ج١٤/ ص٤٨١.

ولأدخلنهم جنّتي التي أعددتها لأوليائي ولأنبيائي ورسلي.

ياملائكتي هؤلاء زوّار الحسين حبيب محمد رسولي، ومحمد حبيبي ومن أحبّني أحبّ حبيبي، ومن أحبّ حبيبي أحبّ من يحبّه، ومن أبغض حبيبي أبغضني، ومن أبغضني كان حقّاً عليّ أن أعذّبه بأشدّ عذابي وأُحرقه بحرّ ناري وأجعل جهنم مسكنه ومأواه وأُعذّبه عذاباً لا أُعذّبه أحداً من العالمين»(١).

السؤال الثاني عشر: ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام العبارة التالية: «يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً». فما هو أثر ذكرنا لهذه العبارة، وما هو مفاد الروايات الشريفة في ذلك؟

- **الإمام الرضا**عليه السلام: « إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَلْقَى اللهَ وَلا ذَنْبَ عَلَيْكَ فَزُرِ الْحُسَيْنَ... إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَسْكُنَ الْغُرَفَ الْمُبْنِيَّةَ فِي الْجَنَّةِ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَالْعَنْ قَتَلَةَ الْحُسَيْنِ. ... إِنْ سَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الثَّوَابِ مِثْلُ مَا لِمَنِ اسْتُشْهِدَ مَعَ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَقُلْ مَتَى ذَكَرْتَهُمْ: يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً»(٢).

السؤال الثالث عشر: نسمع بعض الأحيان من المتديّنين أنهم يقولون لأصدقائهم: دعك من الأعمال والأمور الأخرى، وتعال إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام فإنّ أيام زيارته لا تحسب من العمر، فهل لهذا القول أساس في الروايات الشريفة؟

- **الإمام الصادق**عليه السلام: «... إِنَّ اللهَ عَوَّضَ الْحُسَيْنَ عليه السلام مِنْ قَتْلِهِ: أَنَّ الإِمَامَةَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَالشِّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ، وَإِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ قَبْرِهِ، وَلا تُعَدُّ أَيَّامُ زَائِرِيهِ جَائِياً وَرَاجِعاً مِنْ عُمُرِهِ»(٣).

السؤال الرابع عشر: هل صحيح أنّ زائر الإمام الحسين عليه السلام تغفر ذنوبه؟

- **الإمام أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى** عليه السلام: « أَدْنَى مَا يُثَابُ بِهِ زَائِرُ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام بِشَطِّ الْفُرَاتِ إِذَا عَرَفَ حَقَّهُ وَحُرْمَتَهُ وَوَلايَتَهُ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»(٤).
- **الإمام أبو عبد الله** عليه السلام: « من زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه يأتم به غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»(٥).
- الإمام الكاظم عليه السلام: « ... مَا أَتَى الْحُسَيْنَ عليه السلام آتٍ عَارِفاً بِحَقِّهِ إِلاّ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»(٦).

---

(١) كامل الزيارات / ص١٤٣.
(٢) الأمالي للصدوق/ ص١٢٩.
(٣) الأمالي للطوسي/ ص٣١٧.
(٤) فروع الكافي/ ج٤/ ص٥٨٢.
(٥) كامل الزيارات/ ص١٣٩.
(٦) مستدرك الوسائل/ ج١٠/ ص٢٣٦.

السؤال الخامس عشر: هل أشارت الروايات الشريفة إلى مقام زائر الإمام الحسين عليه السلام في الآخرة؟

- **الإمام أبو عَبْدِ الله** عليه السلام: « مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ، كَتَبَهُ اللهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ»(١).
- **الإمام الرِّضَا** عليه السلام: « مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ كَانَ مِنْ مُحَدِّثِي اللهِ تَعَالَى فَوْقَ عَرْشِهِ، ثُمَّ قَرَأَ: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ»(٢).

السؤال السادس عشر: هل أنّ زائر الإمام الحسين عليه السلام ومحبّه منتخب من الله تعالى، وأنه لا يحصل على هذا التوفيق إلّا من أخلص حبّه لأهل البيت (سلام الله عليهم) ؟

- **الإمام أبو عَبْدِ الله** عليه السلام: « مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ الْخَيْرَ قَذَفَ فِي قَلْبِهِ حُبَّ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَحُبَّ زِيَارَتِهِ، وَمَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ السُّوءَ قَذَفَ فِي قَلْبِهِ بُغْضَ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَبُغْضَ زِيَارَتِهِ»(٣).

السؤال السابع عشر: هل أنّ نيّة زائر الإمام الحسين عليه السلام لها تأثير على الثواب الأخروي والأجر الإلهي؟

- **الإمام أبو عَبْدِ الله** عليه السلام: « إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين زوّار الحسين بن علي؟ فيقوم عنق من الناس لا يحصيهم إلاّ الله تعالى.

فيقول لهم: ما أردتم بزيارة قبر الحسين عليه السلام؟

فيقولون: ياربّ أتيناه حبّاً لرسول الله وحبّاً لعليّ وفاطمة ورحمة له مما ارتكب منه.

فيقال لهم: هذا محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين فألحقوا بهم فأنتم معهم في درجتهم ألحقوا بلواء رسول الله. فينطلقون إلى لواء رسول الله فيكونون في ظله، واللواء في يد عليّ عليه السلام حتى يدخلون الجنة جميعاً فيكونون أمام اللواء وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه»(٤).

السؤال الثامن عشر: كيف يتعامل سيد الشهداء عليه السلام مع زائريه؟

- **الإمام أبو جعفر** عليه السلام: « إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَنْظُرُ إِلَى مَوْضِعِ مُعَسْكَرِهِ وَمَنْ حَلَّهُ مِنَ الشُّهَدَاءِ مَعَهُ، وَيَنْظُرُ إِلَى زُوَّارِهِ وَهُوَ أَعْرَفُ بِهِمْ وَبِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَحَدِكُمْ بِوَلَدِهِ، وَإِنَّهُ لَيَرَى مَنْ

(١) وسائل الشيعة/ ج١٤/ ص٤١٨.
(٢) مستدرك الوسائل/ ص٢٥١.
(٣) وسائل الشيعة/ ج١٤/ ص٤٩٦.
(٤) كامل الزيارات/ ص١٤١.

سَكَنَهُ، فَيَسْتَغْفِرُ لَهُ وَيَسْأَلُ آبَاءَهُ (سلام الله عليهم) أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُ، وَيَقُولُ: لَوْ يَعْلَمُ زَائِرِي مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ لَكَانَ فَرَحُهُ أَكْثَرَ مِنْ غَمِّهِ، وَإِنَّ زَائِرَهُ لَيَنْقَلِبُ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ ذَنْبٍ»(١).

السؤال التاسع عشر: هل هنالك أمر آخر حول زيارة الإمام الحسين عليه السلام؟

- **الإمام أبو جعفر** عليه السلام: « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي زِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنَ الْفَضْلِ لَمَاتُوا شَوْقاً وَتَقَطَّعَتْ أَنْفُسُهُمْ عَلَيْهِ حَسَرَاتٍ... مَنْ أَتَاهُ تَشَوُّقاً كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ حَجَّةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وَأَلْفَ عُمْرَةٍ مَبْرُورَةٍ، وَأَجْرَ أَلْفِ شَهِيدٍ مِنْ شُهَدَاءِ بَدْرٍ، وَأَجْرَ أَلْفِ صَائِمٍ، وَثَوَابَ أَلْفِ صَدَقَةٍ مَقْبُولَةٍ، وَثَوَابَ أَلْفِ نَسَمَةٍ أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، وَلَمْ يَزَلْ مَحْفُوظاً سَنَتَهُ مِنْ كُلِّ آفَةٍ أَهْوَنُهَا الشَّيْطَانُ، وَوُكِّلَ بِهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ يَحْفَظُهُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ وَمِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ، فَإِنْ مَاتَ سَنَتَهُ حَضَرَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ يَحْضُرُونَ غُسْلَهُ وَأَكْفَانَهُ وَالاسْتِغْفَارَ لَهُ، وَيُشَيِّعُونَهُ إِلَى قَبْرِهِ بِالاسْتِغْفَارِ لَهُ، وَيَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرٍ، وَيُؤْمِنُهُ اللهُ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ وَمِنْ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ أَنْ يُرَوِّعَاهُ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُعْطَى كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ، وَيُعْطَى لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُوراً يُضِيءُ لِنُورِهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: هَذَا مِنْ زُوَّارِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام شَوْقاً إِلَيْهِ، فَلا يَبْقَى أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاّ تَمَنَّى يَوْمَئِذٍ أَنَّهُ كَانَ مِنْ زُوَّارِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام»(٢).

السؤال العشرون: يقولون: إنّ من زار الإمام الحسين عليه السلام يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، فهل هنالك أساس لهذا القول؟

- **الإمام أبو عَبْدِ الله** عليه السلام: « ... من زاره يريد به وجه الله أخرجه الله من ذنوبه كمولود ولدته أمه، وشيّعته الملائكة في مسيره فرفرفت على رأسه قد صفوا بأجنحتهم عليه حتى يرجع إلى أهله، وسألت الملائكة المغفرة له من ربّه، وغشيته الرحمة من أعنان السماء، ونادته الملائكة: طبت وطاب من زرت، وحُفظ في أهله».

السؤال الواحد والعشرون: من المسائل الفقهية المذكورة في باب الحج: إذا احتمل المستطيع وجود الخوف أو العسر والحرج في ذهابه إلى الحجّ، يسقط عنه وجوب الحج، وأمثال ذلك، فهل يوجد مثل ذلك في زيارة الإمام الحسين عليه السلام؟

- الإمام أبو عَبْدِ الله عليه السلام: « ... أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظلّه الله في ظلّ عرشه، وكان محدّثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فإن فزع وقّرته [قوّته] الملائكة، وسكّنت قلبه بالبشارة»(٣).

---

(١) الأمالي للطوسي/ ص٥٤.
(٢) مستدرك الوسائل/ ج١٠ص٣٠٩.
(٣) كامل الزيارات/ ص١٢٥.

- **الإمام أبو عَبْدِ الله** عليه السلام: « كَانَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام ذَاتَ يَوْمٍ فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله يُلاعِبُهُ وَيُضَاحِكُهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَارَسُولَ الله مَا أَشَدَّ إِعْجَابَكَ بِهَذَا الصَّبِيِّ؟

فَقَالَ لَهَا: وَيْلَكِ وَكَيْفَ لا أُحِبُّهُ وَلا أُعْجَبُ بِهِ وَهُوَ ثَمَرَةُ فُؤَادِي وَقُرَّةُ عَيْنِي، أَمَا إِنَّ أُمَّتِي سَتَقْتُلُهُ، فَمَنْ زَارَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ حَجَّةً مِنْ حِجَجِي.

قَالَتْ: يَارَسُولَ الله حَجَّةً مِنْ حِجَجِكَ؟

قَالَ: نَعَمْ، وَحَجَّتَيْنِ مِنْ حِجَجِي.

قَالَتْ: يَارَسُولَ الله حَجَّتَيْنِ مِنْ حِجَجِكَ؟

قَالَ: نَعَمْ، وَأَرْبَعَةً.

قَالَ: فَلَمْ تَزَلْ تُرَادُّهُ وَيَزِيدُ وَيُضْعِفُ، حَتَّى بَلَغَ تِسْعِينَ حَجَّةً مِنْ حِجَجِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله بِأَعْمَارِهَ»(١).

السؤال الثاني والعشرون: هل ورد ذكر زيارة الأربعين في كلماتكم؟

- **الإمام الحسن العسكري** عليه السلام: «عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ: صَلَاةُ الْخَمْسِينَ وَزِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ وَالتَّخَتُّمُ فِي الْيَمِينِ وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ وَالْجَهْرُ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»(٢).

السؤال الثالث والعشرون: ماذا نقول في زيارة الأربعين؟

- الإمام أبو عَبْدِ الله عليه السلام: «اَلسَّلامُ عَلى وَلِيِّ الله وَحَبيبِهِ، اَلسَّلامُ عَلى خَليلِ الله وَنَجيبِهِ، اَلسَّلامُ عَلى صَفِيِّ الله وَابْنِ صَفِيِّهِ، اَلسَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهيدِ، اَلسَّلامُ على اَسيرِ الْكُرُباتِ، وَقَتيلِ الْعَبَراتِ، اَللّهُمَّ اِنّي اَشْهَدُ اَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ، وَصَفِيُّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ، الْفائِزُ بِكَرامَتِكَ، اَكْرَمْتَهُ بِالشَّهادَةِ، وَحَبَوْتَهُ بِالسَّعادَةِ، وَاَجْتَبَيْتَهُ بِطيبِ الْوِلادَةِ، وَجَعَلْتَهُ سَيِّداً مِنَ السّادَةِ وَ قآئِداً مِنَ الْقادَةِ، وَذآئِداً مِنْ الذادَةِ، وَاَعْطَيْتَهُ مَواريثَ الْأَنْبِيآءِ، وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلى خَلْقِكَ مِنَ الأَوْصِيآءِ، فَاَعْذَرَ فِي الدُّعآءِ، وَمَنَحَ النُّصْحَ، وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فيكَ، لِيَسْتَنْقِذَ عِبادَكَ مِنَ الْجَهالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلالَةِ، وَقَدْ تَوازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيا، وَباعَ حَظَّهُ بِالْأَرْذَلِ الأَدْنى، وَشَرى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الْأَوْكَسِ، وَتَغَطْرَسَ وَتَرَدّى فى هَواهُ، وَاَسْخَطَكَ وَاَسْخَطَ نَبِيَّكَ، وَاَطاعَ مِنْ عِبادِكَ اَهْلَ الشِّقاقِ وَالنِّفاقِ، وَحَمَلَةَ الْأَوْزارِ الْمُسْتَوْجِبينَ النّارَ، فَجاهَدَهُمْ فيكَ صابِراً مُحْتَسِباً، حَتّى سُفِكَ فى طاعَتِكَ دَمُهُ، وَاسْتُبيحَ حَريمُهُ، اَللّهُمَّ

(١) مستدرك الوسائل/ ج١٠/ ص٢٦٨.
(٢) وسائل الشيعة/ ج١٤/ ص٤٧٨.

فَالْعَنْهُمْ لَعْناً وَبيلاً، وَعَذِّبْهُمْ عَذاباً اَليماً، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ سَيِّدِ الْأَوْصِياءِ اَشْهَدُ اَنَّكَ اَمينُ الله وَابْنُ اَمينِهِ، عِشْتَ سَعيداً، وَمَضَيْتَ حَميداً وَمُتَّ فَقيداً مَظْلُوماً شَهيداً، وَاَشْهَدُ اَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ ما وَعَدَكَ، وَمُهْلِكٌ مَنْ خَذَلَكَ وَمُعَذِّبٌ مَنْ قَتَلَكَ، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ الله، وَجاهَدْتَ في سَبيلِهِ حَتّى اَتاكَ الْيَقينُ، فَلَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ظَلَمَكَ، وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً سَمِعَتْ بِذلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ، اَللّهُمَّ اِنّي اُشْهِدُكَ اَنّي وَلِيٌّ لِمَنْ والاهُ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداهُ، بِاَبي اَنْتَ وَاُمّي يَا بْنَ رَسُولِ الله، اَشْهَدُ اَنَّكَ كُنْتَ نُوراً في الْأَصْلابِ الشّامِخَةِ وَالْأَرْحامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجاهِلِيَّةُ بِاَنْجاسِها، وَلَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهِمّاتُ مِنْ ثِيابِها، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ مِنْ دَعآئِمِ الدّينِ وَاَرْكانِ الْمُسْلِمينَ، وَمَعْقِلِ الْمُؤْمِنينَ، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ الْإِمامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ، الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهادِي الْمَهْدِيُّ، وَاَشْهَدُ اَنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوى، وَاَعْلامُ الْهُدى، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقى، وَالْحُجَّةُ على اَهْلِ الدُّنْيا، وَاَشْهَدُ اَنّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ، وَبِاِيابِكُمْ مُوقِنٌ، بِشَرايِعِ ديني وَخَواتيمِ عَمَلي، وَقَلْبي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ، وَاَمْري لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ، وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتّى يَاْذَنَ اللهُ لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لامَعَ عَدُوِّكُمْ، صَلَواتُ الله عَلَيْكُمْ، وَعلى اَرْواحِكُمْ وَاَجْسادِكُمْ، وَشاهِدِكُمْ وَغآئِبِكُمْ، وَظاهِرِكُمْ وَباطِنِكُمْ، آمينَ رَبَ الْعالَمينَ(١).

(١) بحار الأنوار / ج ٩٨ / ص٣٣١

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا

شهـر ربيع الأول

- الإمام العسكري عليه السلام وملاحقة الأفكار المنحرفة
- شذرات من حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله
- الإمام الصادق عليه السلام والطب الروحي

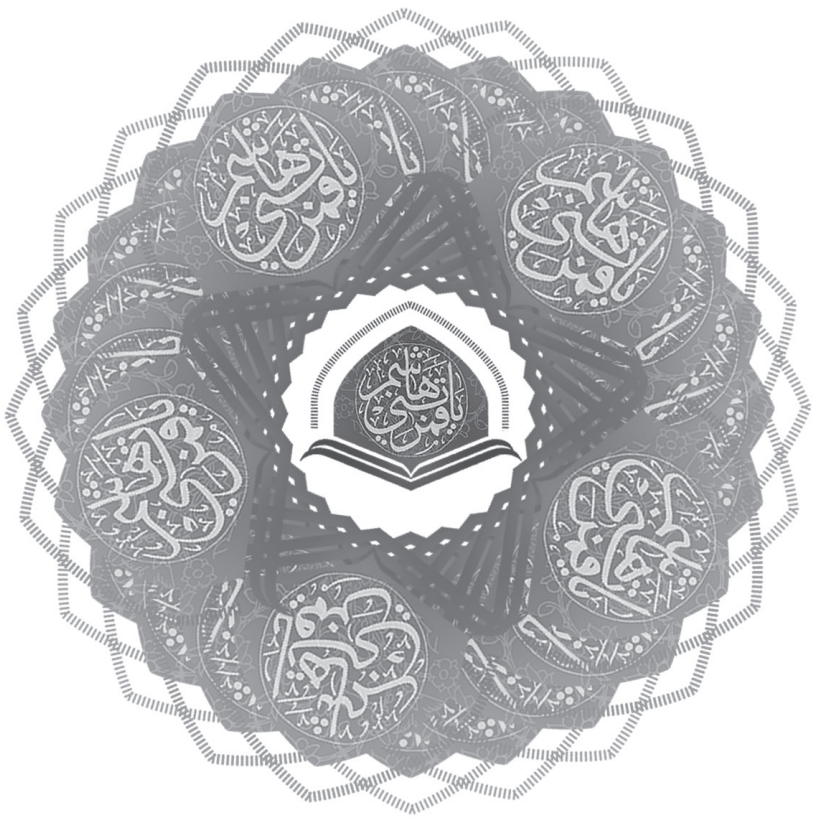

الإمام العسكري عليه السلام وملاحقة الأفكار المنحرفة

محمد الكعبي

هناك الكثير من الأخبار التي تدل على أنَّ الإمام العسكري عليه السلام كان يتابع بدقة ما يجري على الساحة الفكرية، فيلاحق الأفكار المنحرفة والشبهات التي تطرح هنا وهناك في مواجهة الفكر الإسلامي الأصيل، خصوصًا تلك التي تعمد إلى تهديم الأسس الإسلامية على المستوي العقائدي أو الفقهي، فكان يواجهها بالحجة والأسلوب العلمي والجدل الموضوعي.

أ ـ من ذلك ما نقله ابن شهر آشوب عن أبي القاسم الكوفي في كتاب التبديل: إنّ اسحاق الكندي(١)، كان فيلسوف العراق في زمانه، أخذ في تأليف تناقض القرآن، وشغل نفسه بذلك، وتفرد به في منزله، فسلّط الإمام عليه السلام عليه أحد طلابه بكلام قاله له، مما جعله يتوب ويحرق أوراقه.

وملخص الفكرة التي أبداها الإمام عليه السلام للتلميذ، هي احتمال أن يكون المراد بالآيات القرآنية غير المعاني التي فهمها وذهب إليها، باعتبار أنَّ اللغة العربية مرنة متحرّكة، فقد يفهم بعض الناس الكلام على أنّه الحقيقة وهو من المجاز، وقد يفهم أنَّ المراد هو المعنى اللغوي والمقصود هو المعنى الكنائي.

وطلب الإمام عليه السلام من تلميذ الكندي أن يتلطّف في مؤانسة أستاذه قبل القاء الاحتمال، ووصفه عليه السلام بقوله: « إنَّه رجل يفهم إذا سمع ». فصار التلميذ إلى الكندي، وألقى إليه ذلك الاحتمال، فتفكر في نفسه، ورأى أنَّ ذلك محتمل في اللغة، وسائغ في النظر.

فقال : « أقسمت عليك إلّا أخبرتني من أين لك هذا؟ فقال: إنَّه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك. فقال: كلّا، ما مثلك

---

(١) اسم الكندي اذا اريد به فيلسوف العراق فهو يعقوب بن اسحاق، وكان معاصرا للامام عليه السلام حيث توفي سنة ٢٦٠هـ، وقيل : انه هم بان يعمل شيئا مثل القران : ثم اذعن بالعجز...راجع : سير اعلام النبلاء١٢ : ٣٣٧/ ١٣٤، الاعلام للزركلي٨ : ١٩٥.

من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد. فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت. ثم إنّه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه » (١).

وفي هذا الخبر دلالات مهمّة جديرة بالذكر:

١ ـ إنَّ الإمام الحسن العسكري ﷺ كان يتابع حركة الثقافة في زمانه، وكان يتحرّك على كلِّ الاتجاهات المضادة التي تنطلق في مواجهة الإسلام، فلم يكن خارج نطاق الواقع الثقافي، وهذا ينطلق من مسؤولية الإمام عن تصحيح المسار الإسلامي في كلّ ما يمكن أن يعرض عليه من الانحرافات.

٢ ـ يستوحى من هذه القصة أنَّك عندما تريد أن تحاور إنسانًا وتجادله، فلا يكن العنف سبيلك إلى ذلك، ولا يكن القلب القاسي وسيلتك إلى الانفتاح عليه، بل حاول أن تتلطّف به أولًا وأن تؤانسه ثانيًا، حاول أن تربح قلبه قبل أن تخاطب عقله ؛ لأنَّ أقرب طريق إلى عقل الإنسان هو قلبه.

٣ ـ الأسلوب الذي اتبعه الإمام ﷺ في مخاطبة هذا العالم هو الانفتاح على علمه وتفكيره، حيث ألقى إليه الفكرة على سبيل الاحتمال؛ ليدفعه إلى التّأمّل.

٤ ـ إنَّ قول الكندي« لقد علمت أنّه لا يخرج هذا إلَّا من أهل هذا البيت» يدل على الثقة العلمية العالية التي كان يحملها الفلاسفة والمثقفون في علم أهل البيت ﷺ، مما يوحي أنَّهم كانوا قد بلغوا القمة في العلم حتى خضع الآخرون لعلمهم، وانحنوا لهذا المستوى الكبير من الثقافة.

ووقف الإمام العسكري ﷺ بوجه بعض الوضّاعين والصوفية المتصنّعين، وعرف أصحابه بسوء نواياهم، وأمرهم بالبراءة منهم لئلا يفسدوا عقائدهم، ومنهم عروة بن يحيي الدهقان الذي كان يكذب على الإمام ﷺ وعلى أبيه من قبله، ويختلس الأموال التي ترد على الإمام ﷺ.

روى الكشي بالاسناد عن محمد بن موسى الهمداني، قال: « إنَّ عروة بن يحيي البغدادي المعروف بالدهقان (لعنه الله) كان يكذب على أبي الحسن علي بن محمد ابن الرضا ﷺ وعلى أبي محمد الحسن بن علي ﷺ بعده، وكان يقتطع أمواله لنفسه دونه، ويكذب عليه حتى لعنه أبومحمد ﷺ وأمر شيعته بلعنه، ودعا عليه بقطع الأموال لعنه الله » (٢).

وفي المناقب لابن شهر آشوب: « كان عروة الدهقان كذب على علي بن محمد ابن الرضا، وعلى أبي محمد الحسن بن علي

(١) المناقب/ لابن شهر اشوب/ ٤ : ٤٥٧.
(٢) رجال الكشي٢ : ٨٤٢/ ١٠٨٦.

العسكري بعده، ثم إنَّه أخذ بعض أمواله فلعنه أبو محمد ﷺ، فما أمهل يومه ذلك وليلته حتى قبض إلى النار » (١).

ومنهم أحمد بن هلال العبرتائي، الذي عدَّه الشيخ الطوسي من الوكلاء المذمومين(٢)، وكان يتظاهر بالتدين والورع والزهد، ويخفي الانحراف في العقيدة والعمل وسوء الطوية، فأطلق عليه الإمام ﷺ لفظ (الصوفي المتصنّع) وكتب الى أصحابه يحذّرهم إياه ويُبيّن سوء سيرته وفساد مذهبه في أكثر من توقيع.

قال الشيخ الطوسي: « روى محمد بن يعقوب، قال: خرج إلى العمري في توقيع طويل اختصرناه: ونحن نبرأ إلى الله تعالى من ابن هلال لا رحمه الله، وممن لا يبرأ منه، فأعلم الاسحاقي وأهل بلده مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سالك ويسالك عنه » (٣).

وروى الشكي بالإسناد عن أبي حامد أحمد بن إبراهيم المراغي، قال : « ورد على القاسم بن العلاء نسخة ما كان خرج من لعن ابن هلال، وكان ابتداء ذلك أن كتب ﷺ إلى قوامه بالعراق: احذروا الصوفي المتصنّع.

قال: وكان من شأن أحمد بن هلال أنّه قد كان حج أربعًا وخمسين حجة، عشرون منها على قدميه، قال: وكان رواة أصحابنا بالعراق لقوه وكتبوا منه، فانكروا ما ورد في مذمّته، فحملوا القاسم بن العلاء على أن يراجع في أمره، فخرج إليه: قد كان أمرنا نفذ إليك في المتصنع ابن هلال لا رحمه الله بما قد علمت، لم يزل ـ لا غفر الله له ذنبه ولا أقاله عثرته ـ يداخل في أمرنا بلا إذن منّا ولا رضى، يستبد برأيه، فيتحامى من ديوننا، لا يمضي من أمرنا إيَّاه إلا بما يهواه ويريد، أرداه الله في نار جهنم، فصبرنا عليه حتى بتر الله عمره بدعوتنا، وكنّا قد عرفنا خبره قومًا من موالينا، في أيّامه، لا رحمه الله، وأمرناهم بإلقاء ذلك إلى الخاص من موالينا ونحن نبرأ الى الله من ابن هلال لا رحمه الله وممن لا يبرأ منه...الى أن يقول ﷺ: فإنّه لاعذر لأحد من موالينا في التّشكيك فيما يؤدّيه عنّا ثقاتنا، قد عرفوا بأنّنا نفاوضهم سرّنا ونحمله إياه إليهم... »إلى آخر التوقيع (٤).

فضح النصارى والقساوسة

كان الإمام الحسن العسكري ﷺ كآبائه الطاهرين ﷺ سدًّا منيعًا أمام مخططات أعداء الإسلام، والشبهات التي كان يلقيها الكفار والمشركون والزنادقة.

---

(١) المناقب٤ : ٤٦٧.
(٢) راجع : الغيبة : ٣٥٣/ ٣١٣.
(٣) الغيبة : ٣٥٣/ ٣١٣.
(٤) رجال الكشي٢ : ٨١٦/ ١٠٢٠.

فقد كشف عليه السلام النقاب عن شعوذة راهب أراد أن يضلل المسلمين، ويشكّكهم في دينهم، وبيان ذلك حسبما ورد في التاريخ وكتب الحديث:

إنَّ الناس في سامراء أصابهم قحط شديد، فأمر المعتمد العباسي ـ وقيل المتوكل(١) ـ بالخروج إلى الاستسقاء ثلاثة أيام فخرجوا ولم يغاثوا بالمطر، وخرج النصارى ومعهم راهب كلّما مدّ يده إلى السماء هطلت، وفعل ذلك مكررًا.

فشكّ بعض الجهلة في دينهم، وارتدّ البعض الآخر، وشقّ ذلك على المعتمد، ففزع إلى الإمام العسكري عليه السلام وكان الإمام في سجنه! وقال لـه: أدرك أمّة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يهلكوا.

فقال لـه الإمام عليه السلام: «يخرجون غداً، وأنا أزيل الشّك إن شاء الله».

وأخرجه المعتمد من السجن، وطلب الإمام عليه السلام أن يُطلق سراح أصحابه وشيعته من السجن، فاستجاب لـه وأخرجهم.

وفي اليوم الثاني خرج الناس للاستسقاء، فرفع الراهب يده إلى السماء فغيمت ومطرت، فأمر الإمام عليه السلام بإلقاء القبض على يده وأخذ ما فيها، وإذا فيها عظم آدمي فأخذه منه وأمره بالاستسقاء، فرفع يده إلى السماء، فزال ما فيها من غيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك، وبادر المعتمد قائلاً: ما هذا يا أبا محمد؟.

قال الإمام عليه السلام: «هذا عظم نبي ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كشف عظم نبي تحت السماء إلاّ هطلت بالمطر...». فزالت الشبهة، وانتفى الشّك(٢).

وفي رواية: ثم صلّى الإمام عليه السلام صلاة الاستسقاء بالناس فمطرت السماء كثيراً وارتفع القحط والغلاء.

كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يسعى في هداية الناس إلى نور أهل البيت عليهم السلام وولايتهم. ولم ينقطع هذا السعي حتى في السجن، حيث قام بهداية سجّانه وكان من أشد النواصب.

عن محمد بن إسماعيل العلوي، قال: حُبس أبو محمد العسكري عليه السلام عند علي بن أوتامش وكان شديد العداوة لآل محمد عليهم السلام غليظاً على آل أبي طالب، وقيل لـه: افعل به وافعل.

فما أقام إلَّا يوماً حتى وضع خدّيه لـه، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وإعظاماً، وخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحسنهم قولاً فيه(٣).

---

(١) انظر كشف الغمة: ج٢/ ص٤٢٩.
(٢) راجع الخرائج والجرائح: ج١/ ص٤٤١-٤٤٢.
(٣) الإرشاد: ج٢ / ص٣٢٩-٣٣٠.

الشعائر الدينية

كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام كآبائه الطاهرين عليهم السلام يؤكّد على الشعائر الدينية بما فيها الشعائر الحسينية، وإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام وإقامة العزاء عليهم وحتى شقّ الجيب في مصابهم؛ فإنّه يجوز ذلك في مصاب المعصوم عليه السلام.

روى الشيخ الكليني -رحمه الله- في (الكافي الشريف)، بسنده عن جماعة من بني هاشم ـ منهم الحسن بن الحسن بن الحسن الأفطس ـ:

(أنَّهم حضروا يوم توفّي محمد بن علي بن محمد باب أبي الحسن عليه السلام يعزونه ـ إلى أن قال ـ إذ نظر إلى الحسن بن علي عليه السلام قد جاء مشقوق الجيب حتى قام عن يمينه)(١)، الحديث.

وقال الصدوق -رحمه الله-: (لما قُبض علي بن محمد العسكري عليه السلام رؤي الحسن بن علي عليه السلام قد خرج من الدار وقد شقّ قميصه من خلف ومن قدام)(٢).

وهذا يدل على جواز شقّ الجيب في عزاء أهل البيت عليهم السلام وذويهم.

وروى الأربلي في (كشف الغمة) من كتاب (الدلائل) لعبد الله بن جعفر الحميري، عن أبي هاشم الجعفري، قال:

(خرج أبو محمد ـ العسكري عليه السلام ـ في جنازة أبي الحسن عليه السلام وقميصه مشقوق. فكتب إليه ابن عون: من رأيت أو بلغك من الأئمة عليهم السلام شق قميصه في مثل هذا ؟. فكتب إليه أبو محمد عليه السلام: «وما يدريك ما هذا؟ قد شق موسى بن عمران على هارون عليهما السلام»(٣).

وعن محمد بن يحيى قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام بعد مضي أبي جعفر فعزّيته عنه وأبو محمد عليه السلام جالس، فبكى أبو محمد عليه السلام .. فأقبل عليه أبو الحسن عليه السلام فقال لـه: «إنَّ الله تبارك وتعالى قد جعل فيك خلفا منه فاحمد الله»((٤)).

وصيّة الإمام عليه السلام لشيعته

كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام على رغم تلك الظروف الصعبة التي عاشها يهتم بشيعته دائماً، فكان يعلّمهم القرآن وأحكامه، ويبين لهم التعاليم الإسلامية، والأمور الشرعية، وما ينفع دينهم ودنياهم، وما يضمن لهم سعادة الدّارين. وقد حافظ الإمام عليه السلام على تراث رسول الله صلى الله عليه وآله من الضياع.

---

(١) الكافي: ج١ / ص٣٢٦-٣٢٧.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ج١ / ص١٧٤.
(٣) كشف الغمة: ج٢ / ص٤١٨.
(٤) الكافي: ج١/ ص٣٢٧.

كما كان الإمام العسكري عليه السلام يدعو لشيعته ويتضرّع إلى الله عزوجل في خلاصهم من طغاة بني العباس.

قال عليه السلام في بعض رسائله لشيعته: «أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، صلوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم؛ فإنَّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا شيعي، فيسرّني ذلك.

اتقوا الله وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً. جروا إلينا كل مودة، وارفعوا عنا كل قبيح؛ فإنَّه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن ذلك.

لنا حق في كتاب الله، وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وتطهير من الله، لا يدّعيه أحد غيرنا إلَّا كذّاب.

أكثروا ذكر الله، وذكر الموت، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله؛ فإنَّ في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله عشر حسنات، احفظوا ما وصيتكم به، واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام»(١).

علامات المؤمن

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتّختّم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»(٢).

ومن المعلوم أنَّ أربعة من هذه العلائم خلاف أبناء العامة، فهم لا يسجدون على الأرض بل على الفرش، ولا يتختّمون باليمين، ولا يجهرون بالبسملة، ولا يؤدّون النوافل كما وردت في فقه أهل البيت عليهم السلام، ولذلك فهي من علائم الإيمان والولاء لأهل البيت عليهم السلام، أمّا زيارة الأربعين للإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) فلماذا ورد التّأكيد عليها؟.

ربما تكون الخصوصية فيها أنَّ الأربعين مصداق واضح لانتصار الحق وبقاء الإمام الحسين عليه السلام خالداً بخلود الحق، فإنَّ الأعداء فعلوا ما فعلوا بالإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، حتى أنّه لم تكن مصيبة بأعظم منها، فقتلوهم عطاشى وقتلوا أطفالهم ولم ينج منهم حتّى الطفل الرضيع، حيث ذبحوه على يد والده الحسين عليه السلام من الوريد إلى الوريد، وبعد القتل سحقوهم

(١) بحار الأنوار: ج٧٥ / ص٣٧٢.
(٢)المصدر نفسه: ج٩٥ / ص٣٤٨.

بجرد الخيول، وتركوا أجسادهم الطاهرة في الشمس بلا غسل ولا كفن ولا دفن، ولعلّهم أرادوا أن تأكلها الحيوانات المفترسة.. كما أحرقوا الخيام وسرقوا ما فيها، ثم سبّوا النساء وأخذوا برؤوس الأطهار إلى الشام، وقاموا بإضلال الناس وبث دعاية كاذبة فيهم أنَّ هؤلاء الأطهار عليهم السلام خوارج على دين الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وأعلنوا الفرح والسرور واتخذوه يوم قتل الحسين عليه السلام عيداً!.

مع كل ذلك لم يمضِ إلاّ أربعون يوماً وإذا بركب العترة الطاهرة عليهم السلام المتمثل بالسيدة زينب التي عادت إلى كربلاء منتصرة على طغاة عصرها وطغاة العصور إلى يوم القيامة، فرجعت وقد أدت رسالتها إلى العالم وفضحت يزيد وبني أمية، وسجّلت الخلود في كل أرض نزلوها من العراق إلى الشام، وأصبحوا رمزاً للتضحية في سبيل الله والجهاد ضد أعداء الله وأعداء الإنسانية إلى يوم القيامة.

فيوم الأربعين يوم انتصار الدم على السيف، وانتصار الفضيلة على الرذيلة، وانتصار القيم على الانحطاط، وهو يوم انتصار الحسين عليه السلام على يزيد، ومن هنا جاء التأكيد على زيارة الأربعين حتى لا ينسى الإنسان ثمرة الجهاد في سبيل الله والتضحية لأجل الدين. فإنَّ الجهاد وإن كان صعباً ولكن ثماره محمودة وهو يوجب العز والسعادة في الدنيا والآخرة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «جاهدوا تورثوا أبناءكم عزًّا»(١).

وهكذا كان يجاهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام طغاة عصره بنشر علوم القرآن الكريم وعلوم الإسلام وتعاليم النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وكان الإمام يضحي بنفسه وبأهله وبشيعته في سبيل الله عزوجل، وقد انتصر الإمام عليه السلام على الطغاة حيث بقي خالدًا وذهبوا إلى مزابل التاريخ.

(١) راجع الكافي: ج٥ / ص٨.

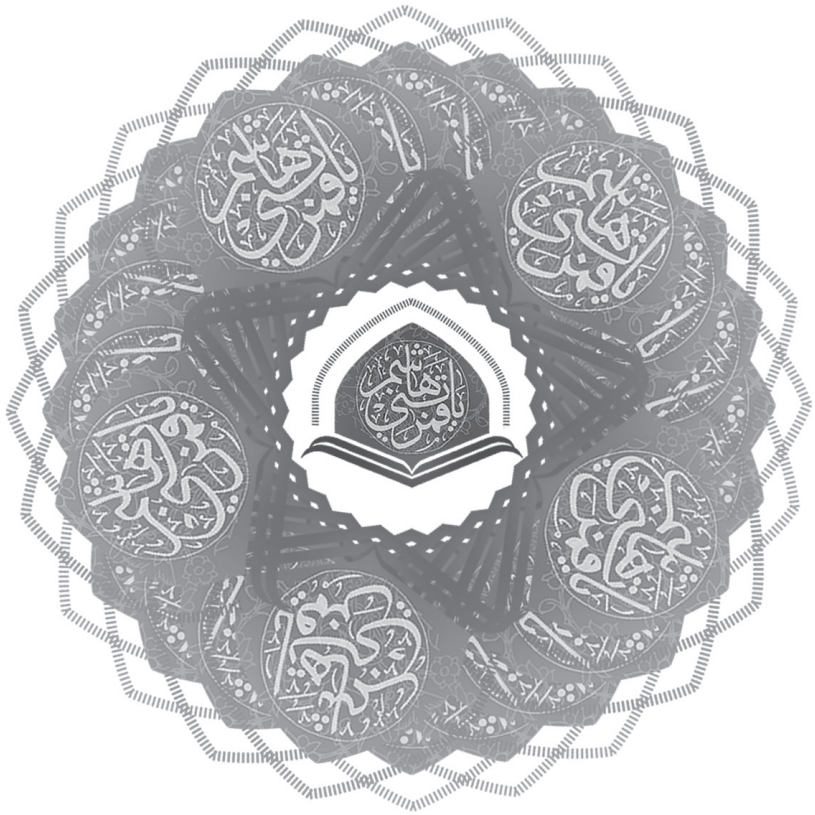

شذرات من حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

جنان المرشدي

كان رسول الله ﷺ قمة في الأخلاق الطيبة، وقد اهتدى ببركة أخلاقه الكثير من المشركين والكافرين والمنافقين وغيرهم إلى الإسلام. حتى قال في حقه الباري عزوجل في سورة القلم: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (١).

وقال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكّلْ عَلَى اللهِ إِنّ اللهَ يُحِبّ الْمُتَوَكّلِينَ)(٢).

قال عليه السلام في نهج البلاغة:

« فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ ﷺ فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَ عَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَ الْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً وَ لَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً وَ أَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَ عَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ وَ حَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ وَ صَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ تَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ وَ رَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لله وَ مُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهِ وَ لَقَدْ كَانَ ﷺ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ وَ يَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ وَ يَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ وَ يَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ وَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ وَ يُرْدِفُ خَلْفَهُ وَ يَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَا فُلَانَةُ لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ غَيِّبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَ زَخَارِفَهَا فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وَ أَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ وَ أَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً وَ لَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً وَ لَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ وَ أَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ وَغَيَّبَهَا

---

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

عَنِ الْبَصَرِ وَ كَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَ أَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ وَ لَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وَ عُيُوبِهَا إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ وَ زُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَ اللهِ الْعَظِيمِ بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ وَ إِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وَ زَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ وَ اقْتَصَّ أَثَرَهُ وَ وَلَجَ مَوْلِجَهُ وَ إِلَّا فَلَا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ﷺ عَلَماً لِلسَّاعَةِ وَ مُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ وَ مُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً وَ وَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ وَ أَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ وَ قَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ وَ اللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَ لَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَ لَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى »(١).

الشورى والاستشارة

كان رسول الله ﷺ يؤكد على مبدأ الاستشارة في الأمور، وعدم الاستبداد في الرأي، كما نص على ذلك القرآن الكريم، حيث قال تعالى: **(وَأَمْرُهُمْ شُورَىَ بَيْنَهُمْ)**(٢)، وقال عزوجل: **(وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ)**(٣).

فإنَّ الأمور تكون بالشورى إلَّا فيما ورد فيه النص عن الله عز وجل أو المعصوم عليه السلام، حيث لا يجوز الاجتهاد في قبال النص.

وكان رسول الله ﷺ يطبّق الاستشارة بنفسه، كما استشار في قصّة الخندق، وحرب أحد، وغزوة الخندق، وحتى في اللحظات الأخيرة من حياته عندما نزل عليه ملك الموت ...

العلم والعلماء

كان النبي ﷺ يحث المسلمين على التعليم والتعلّم، ويؤكّد كثيراً على العلم والعلماء، فرسول الإسلام ﷺ رسول العلم والفضيلة، والدين الإسلامي دين العقل والمنطق، لا السيف والجبر، قال تعالى : **(لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)**(٤). وقال عزوجل: **(لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىَ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ)**(٥).

وقال سبحانه: **(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ. لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)**(٦).

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٩-١٠.
(٢) سورة الشورى: ٣٨.
(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.
(٤) سورة البقرة: ٢٥٦.
(٥) سورة الأنفال: ٤٢.
(٦) سورة الغاشية: ٢١-٢٢.

فكان النبي ﷺ يحب العلم والعلماء ويرجح حلقات العلم على حلقات الدعاء، ففي الحديث: خرج رسول الله ﷺ فإذا في المسجد مجلسان: مجلس يتفقهون ومجلس يدعون الله ويسألونه، فقال ﷺ: «كلا المجلسين إلى خير، أما هؤلاء فيدعون الله وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل، هؤلاء أفضل، بالتعليم أُرسلتُ»، ثم قعد معهم(١).

وقال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلمة ومسلمة»(٢).

وعن أبي ذر (رضوان الله عليه) قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، الجلوس ساعة عند مذاكرة العالم أحب إلى الله من ألف جنازة من جنازة الشهداء، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله من قيام ألف ليلة يصلي في كل ليلة ألف ركعة، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله من ألف غزوة و قراءة القرآن كله».

قال: يا رسول الله، مذاكرة العلم خير من قراءة القرآن كله؟!

فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إليَّ من قراءة القرآن كله اثني عشر ألف مرة، عليكم بمذاكرة العلم فإنَّ بالعلم تعرفون الحلال من الحرام، ومن خرج من بيته ليلتمس باباً من العلم كتب الله عزوجل له بكلّ قدم ثواب نبي من الأنبياء، وأعطاه الله بكلّ حرف يستمع أو يكتب مدينة في الجنة، وطالب العلم أحبه الله وأحبه الملائكة وأحبه النبيون، ولايحب العلم إلاّ السعيد، وطوبى لطالب العلم يوم القيامة. يا أبا ذر، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير لك من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، والنظر إلى وجه العالم خير لك من عتق ألف رقبة»(٣).

الحريات الإسلامية

لم ترَ البشرية من الحريات مثل ما جاء به رسول الله ﷺ حيث ضمن للكل حرياتهم المشروعة من دون الاعتداء على حرية الآخرين.

وقد وصف الباري تعالى رسوله الخاتم ﷺ بقوله: **(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ مَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**(٤).

---

(١) بحار الأنوار: ج١ ص٢٠٦.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١٧ / ص٢٤٩.
(٣) جامع الأخبار: ص٣٧.
(٤) سورة الأعراف: ١٥٧.

حقوق المعارضة

من أهم الحريات السياسية في الإسلام حرية المعارضة وضمان حقوقها، وهذا ما جاء به رسول الله ﷺ وطبقه في حكومته الإسلامية بالمدينة المنورة، فالمعارضة كانوا يتمتعون بكامل حرياتهم، ومن أمثلة ذلك قصص المنافقين في عهد النبي ﷺ.

روى الشيخ المفيد -رحمه الله- في (الإرشاد) (١)، قال: لما قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين، أقبل رجل طويل آدم أجنأ بين عينيه أثر السجود، فسلم ولم يخص النبي ﷺ، ثم قال: قد رأيتك وما صنعت في هذه الغنائم.

قال رسول الله ﷺ: «وكيف رأيت»؟.

قال: لم أرك عدلت!

فغضب رسول الله ﷺ، وقال:«ويلك، إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون»؟!

فقال المسلمون: ألا نقتله؟.

قال:«دعوه، فإنَّه سيكون له أتباع يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلهم الله على يد أحب الخلق إليه من بعدي». فقتله أمير المؤمنين عليه السلام فيمن قتل يوم النهروان من الخوارج.

وروى العلامة المجلسي -رحمه الله- في (البحار) (٢): إنَّ النبي ﷺ خط الخندق عام الأحزاب، وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان ـ وكان رجلاً قويًّا ـ فقال المهاجرون: سلمان منَّا. وقالت الأنصار: سلمان منّا. فقال النبي ﷺ: «سلمان منَّا أهل البيت».

قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعًا، فحفرنا حتى إذا كنا بجب ذي ناب أخرج الله من باطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا. فقلنا: يا سلمان، إرق إلى رسول الله ﷺ وأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها فإنَّ المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيه بأمره؛ فإنّا لا نحب أن نتجاوز خطه.

قال: فرقي سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله، خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نتجاوز خطك.

قال: فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من يد سلمان، فضربها به ضربة صدعها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح

(١) الإرشاد: ج١/ ص١٤٨.
(٢) بحار الأنوار: ج٢٠ / ص١٨٨.

وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ ثانية فبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ ثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح وكبر المسلمون، وأخذ بيد سلمان ورقي. فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت منك شيئاً ما رأيته منك قط؟!

فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم وقال: «رأيتم ما يقول سلمان؟».

فقالوا: نعم.

قال ﷺ: «ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنّها أنياب الكلاب فأخبرني جبرئيل أنَّ أمّتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم كأنّها أنياب الكلاب فأخبرني جبرئيل أنَّ أمّتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنَّها أنياب الكلاب وأخبرني جبرئيل أنَّ أمّتي ظاهرة عليها فأبشروا».

فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر.

فقال المنافقون: ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويعلمكم أنّه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنَّها تفتح لكم وأنتم إنَّما تحفرون الخندق من الفرق ولا تستطيعون أن تبرزوا؟!

فنزل القرآن: (**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورا**)(١).

وقد تركهم رسول الله ﷺ .. وهكذا كان المنافقون يعيشون في ظل رحمة رسول الله ﷺ بكامل حرّيّاتهم.

المرأة

كان رسول الله ﷺ يكرم المرأة أكبر الإكرام مما لم يسبق لـه مثيل في التاريخ، بعدما كانت المرأة مهانة في الجاهلية. ولولا الدين الإسلامي لضاعت المرأة ضياعًا كاملاً.

عن بحر السقاء قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ: «يا بحر حُسن الخُلق يُسر ـ ثم قال ـ: ألا أخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة».

قلت: بلى.

(١) سورة الأحزاب: ١٢.

قال: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم، فأخذت بطرف ثوبه فقام لها النبي ﷺ فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي ﷺ شيئاً حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، فقام لها النبي ﷺ في الرابعة وهي خلفه فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت.

فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل، حبستِ رسول الله ﷺ ثلاث مرات لا تقولين لـه شيئاً ولا هو يقول لك شيئاً ما كانت حاجتك إليه؟. قالت: إن لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ هدبة من ثوبه؛ ليستشفي بها، فلما أردت أخذها رآني فقام فاستحييت منه أن آخذها وهو يراني وأكره أن أستأمره في أخذها فأخذتها»(١).

اللاعنف

كان المنهج العام في سياسة رسول الله ﷺ هو اللاعنف، في مختلف الحالات ومع الجميع، مع المسلم والكافر، مع المؤمن والمنافق، مع الصديق والعدو.

ومن هنا كانت حروب النبي ﷺ كلها دفاعية، وما أقل القتلى فيها كما سبق.

وعن أبي عبد الله ﷺ، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية دعا بأميرها فأجلسه إلى جنبه وأجلس أصحابه بين يديه، ثم قال: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله ﷺ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقطعوا شجرة إلا أن تضطرّوا إليها، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، وأيّما رجل من أدنى المسلمين وأفضلهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله، فإذا سمع كلام الله عزوجل فإن تبعكم فأخوكم في دينكم، وإن أبى فاستعينوا بالله عليه وأبلغوه مأمنه»(٢).

الصلاة

الصلاة عمود الدين، وكان رسول الله ﷺ كثير الصلاة والعبادة، والتضرع إلى الله عزوجل والخوف منه.

عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، إنَّ الله جعل قُرّة عيني في الصلاة، وحبّبها إليَّ كما حبّب إلى الجائع الطعام وإلى الظمآن الماء، وإنّ الجائع إذا أكل الطعام شبع والظمآن إذا شرب الماء روي وأنا لا أشبع من الصلاة»(٣). وعن أبي ذر ـ في حديث ـ قال: قلت: يا رسول الله، إنّك أمرتني بالصلاة ما الصلاة؟. قال: «الصلاة خير موضوع استُكثِر أم استُقِل»(٤).

(١) الكافي: ج٢/ ص١٠٢.
(٢) المصدر نفسه: ج٥ ص٣٠.
(٣) مستدرك الوسائل: ج٣/ ص٤١.
(٤) المصدر نفسه: ج٣/ ص٤٢-٤٣.

مع العصاة والمذنبين

كان رسول الله ﷺ رؤوفاً بالجميع، حتى بالعصاة والمذنبين.

فقد روي: أنَّ سارة مولاة بني هاشم وكانت مغنية نواحة بمكة، وكانت قد قدمت على رسول الله ﷺ المدينة تطلب أن يصلها، وشكت إليه الحاجة وذلك بعد بدر وأحد. فقال ﷺ لها: «أما كان لكِ في غنائكِ ونياحكِ ما يغنيكِ؟!».

قالت: يا محمد، إنَّ قريشاً منذ قُتل من قتل منهم ببدر تركوا استماع الغناء.

فوصلها رسول الله ﷺ وأوقر لها بعيراً طعاماً، فرجعت إلى قريش وهي على دينها(١).

الرضا بما قدره الله

كان رسول الله ﷺ قمّة في الرّضا بما يختار الله له، فكان يحمد الله في السّرّاء والضّرّاء. عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: «لم يكن رسول الله ﷺ يقول لشيء قد مضى لو كان غيره»(٢). وعن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله، عن آبائه ﷺ، قال: «ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا تسألوني مم ضحكت؟. قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ. قال: عجبت للمرء المسلم أنّه ليس من قضاء يقضيه الله عزوجل له إلا كان خيرًا له في عاقبة أمره»(٣). وعن علي بن عبد الله بن العباس، قال: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمّته من بعده كفراً كفراً(٤)، فسر بذلك فأنزل الله عزوجل: **(وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولى ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى)**(٥)، قال: فأعطاه الله عزوجل ألف قصر في الجنة ترابه المسك، وفي كلّ قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم(٦). ودخل رسول الله ﷺ على فاطمة ﷺ وهي تبكي وتطحن بالرحى وعليها كساء من أجلة الإبل، فلمّا رآها بكى وقال: «يا فاطمة، تجرّعي مرارة الدنيا اليوم لنعيم الآخرة غداً فأنزل الله تعالى: **(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى)**(٧)»(٨).

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج١٨/ ص١٦.
(٢) الكافي: ج٢ / ص٦٣.
(٣) بحار الأنوار: ج٦٨ / ص١٤٠-١٤١.
(٤) أي: قرية قرية.
(٥) سورة الضحى: ٤-٥.
(٦) تأويل الآيات الظاهرة: ص٧٨٣.
(٧) سورة الضحى: ٥.
(٨) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢/ ص٢٣٠

الحث على الزواج

كان رسول الله ﷺ يؤكّد كثيراً على الزواج، وأنَّه ضرورة اجتماعية دينية خاصّة للشباب.

عن أبي عبد الله ﷺ قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه الحاجة، فقال: تزوّج. فتزوّج فوُسّع عليه»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أنكحت زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وأنكحت المقداد ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب؛ ليعلموا أنّ أشرف الشرف الإسلام»(٢).

تكريم الإنسان

كان رسول الله ﷺ يكرم الإنسان بما هو إنسان تكريماً فوق كل تكريم، مع قطع النظر عن دينه ومعتقداته. يقول سبحانه: **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)**(٣).

روي: أنَّ رسول الله ﷺ نظر إلى الكعبة، وقال: «مرحباً بالبيت ما أعظمك وما أعظم حرمتك على الله، والله للمؤمن أعظم حرمة منك؛ لأنّ الله حرّم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثة: ماله، ودمه، وأن يظن به ظن السوء»(٤).

وقال ﷺ أيضاً: «من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان»(٥).

حق الناس

كان رسول الله ﷺ يؤكِّد على حقّ الناس أكبر التأكيد، فلا يُسمح لأحد أن يتجاوز على حقِّ أحد أو يتصرف في نفسه أو ماله بدون إذنه.

عن معاوية بن وهب، قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: «إنّه ذكر لنا أنَّ رجلاً من الأنصار مات وعليه ديناران ديناً، فلم يصلّ عليه النبي ﷺ وقال: صلوا على صاحبكم، حتى ضمنهما عنه بعض قرابته. فقال أبو عبد الله ﷺ: «ذلك الحق ـ ثم قال ـ إنَّ رسول الله ﷺ إنَّما فعل ذلك ليتّعظوا وليردّ بعضهم على بعض ولئلا يستخفوا بالدَّين»((٦)).

---

(١) الكافي: ج٥ / ص٣٣٠.
(٢) مكارم الأخلاق: ص٢٠٧.
(٣) سورة الإسراء: ٧٠.
(٤) بحار الأنوار: ج٦٤ / ص٧١.
(٥) جامع الأخبار: ص١٤٧.
(٦) الكافي: ج٥ / ص٩٣.

حق الرعية

كان رسول الله ﷺ أفضل أسوة في أداء حقّ رعيّته، فكان بإمكان كلّ واحد من المسلمين والمسلمات ـ بل وحتى الكفار ـ أن يصل إليه ويبثّ إليه همومه ومشاكله، ويطلب منه قضاء حاجته مباشرة ومن دون حاجب.

وفي الحديث أنَّ رسول الله ﷺ إذا كان في صلاة فيقبل عليه أحد، خفّف من صلاته وأقبل عليه وقال: «ألك حاجة؟»(١).

وهذا أكبر درس للحكومات والولاة ومن أشبه بأنّ من حقوق الناس عليهم قضاء حوائجهم والاهتمام بهم.

حروب النبي ﷺ

حروب النبي ﷺ كانت دفاعية بأجمعها، ولم تكن هذه الحروب إلاّ بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة واستقراره فيها وتشكيله حكومةً إسلامية قوية، عند ذلك فرض الله على المسلمين القتال الدفاعي لمن قاتلهم، دون من لم يقاتلهم، فقال تعالى: **(وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ)**(٢).

العترة الطاهرة

العترة الطاهرة عليهم السلام هي الامتداد الحقيقي لرسول الله ﷺ وقد خلّف الرسول ﷺ في أمّته الثقلين: كتاب الله وعترته أهل بيته (سلام الله عليهم أجمعين)، فكان رسول الله ﷺ في مختلف المناسبات يؤكّد للمسلمين ضرورة التمسك بأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ومتابعتهم وعدم مخالفتهم.

روي بطرق مختلفة عن أبي سعيد الخدري وعن غيره، عن النبي ﷺ في أيّامه الأخيرة أنّه قال: «إنّي أوشك أن أدعى فأجيب، فإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزوجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا بماذا تخلفوني»(٣).

---

(١) راجع المناقب: ج١/ ص١٤٧.
(٢) سورة البقرة: ١٩٠.
(٣) معاني الأخبار: ص٩٠.

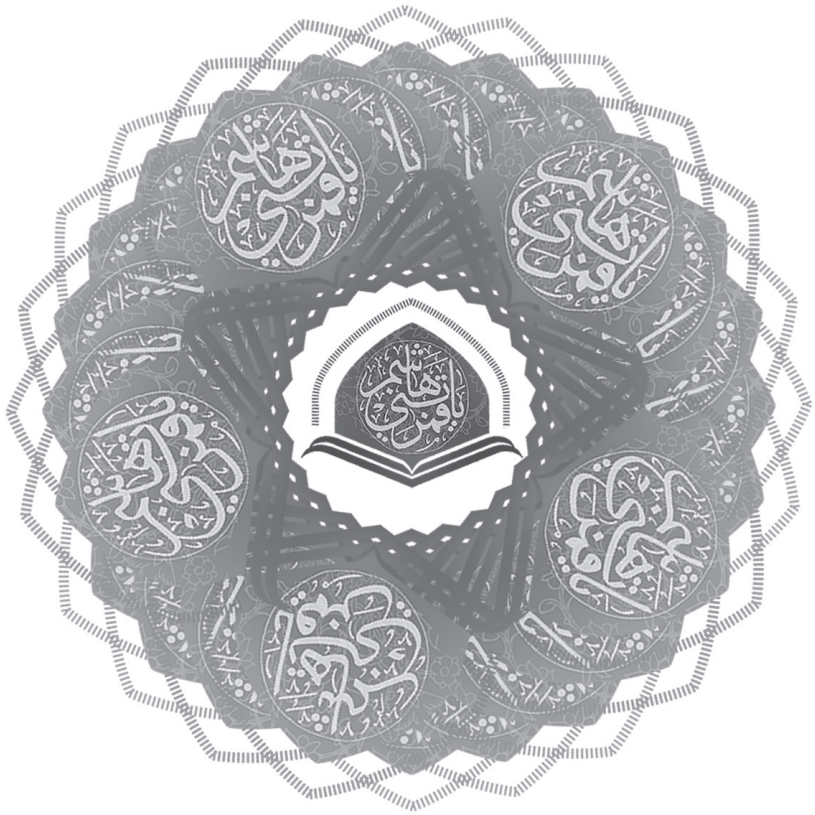

الإمام الصادق عليه السلام والطب الروحي

محمد الخليلي

كما أنّ الأجسام تمرض فتفقد صحتها إلى العلاج بما يعدل انحرافها ويعيد إليها الصّحّة المفقودة. كذلك الأرواح والنفوس، فإنّها تمرض بانحرافها إلى الرذائل والصفات الذميمة، فتحتاج عند ذلك إلى العلاج بما يقوم أودها ليرجعها سيرتها الأولى من صحة الاتصاف بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة.

وبعبارة أوضح إنَّ الأرواح والنفوس إذا تغلبت عليها الرذائل من الصفات وتسيطر عليها الشهوات الحيوانية والعواطف الدّنيئة انحرفت صحّتها وفقدت رونقها الروحي وميزتها النفسية التي بها امتازت عن الجسمية الكثيفة، وعدمت شفافيتها ولطافتها التي كانت عليها حال صحّتها يوم كانت سليمة.

ولقد عالج الفلاسفة تلك الأدواء النفسية والأسقام الرّوحية بأنواع العلاجات منذ العصور الغابرة حتى اليوم، ووضع علماء النفس وأساتذة التربية أحكم القوانين وأتقن النظم والقواعد لإصلاحها فلم يفلحوا، إذ لم يجدوا لها علاجاً حاسماً ولم يعثروا على دواء ناجع سوى الدين السماوي الذي هبط على الأنبياء والرسل ليرفع هذه الإنسانية من حضيض الرذائل والجهل الى مرتفع الفضائل والعرفان والذي جاء لإسعاد هذا الخلق كيما يعيشوا بسلام وهناء، ولينبلج في الأرض صبح الرشاد، فتزهو مخضرة الجوانب برياض النعيم مادام الناس يعملون بقوانينه ويتبعون سبل تعاليمه وإرشاداته. فما من طبيب أدرى بأدواء النفوس من بارئ النفوس ولا حكيم أخبر بأسقام الأرواح كالدين المرسل من الحكيم، ولا عالم أعرف بطرق علاجها وأسباب شفائها كالشارع المقدّس.

إذن فللدين أثره الفعّال في تطبيبها، وإن له لمعاجز باهرة في إصلاحها تفوق معاجز الطب الفنية في مداواة الأجسام.

فما أشبه الدين بالسحر، لولا أنَّ الدين خير كله والسحر شر كله، وما أشبه مبلغيه ينطس الأطباء الذين عرفوا الداء والدواء فأرجعوا الأمزجة المنحرفة إلى صحّتها واعتدالها، لولا أنّ الأطباء قد يخطئون والأنبياء لا يخطئون.

وقد جاء الدين الإسلامي الحنيف بالأخلاق الفاضلة حفظاً لصحّة النفوس البشرية وأمر متبعيه بالعمل عليها وقاية لأرواحهم من شرورها. كما أنَّ النبوة الكبرى قد تكلّفت بصلاح البشر وإصلاحه من ناحيتي الروح والجسد فكانت فيها حياته وسعادته وتقدّمه ورقيّه في عالمي الدنيا والآخرة.

قال تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**)(١).

هذا وقد بعث النبي الأمين ﷺ وهو ينادي: (إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)(٢). فعاش طيلة حياته ﷺ الشريفة وهو يبذر تعاليمه الحكيمة ويغرس مكارم الأخلاق الإسلامية الفاضلة في نفوس الأمة، وينير لها الطريق إلى الحياة السعيدة روحاً وجسماً حتى رفعه الله تعالى إليه، فلم يهمل هذة الناس سدى بل خلف فيهم الثقلين: كتاب الله وعترته، فكان القرآن المجيد كتاب الله الصامت والعترة النبوية كتابه الناطق الذي يوضح للناس ماخفي عليهم من تعاليمه الإصلاحية ويرشدهم بتوضيحه إلى ما لم يدركه سواهم من الكنوز القرآنية الخفية.

فكانوا هم الأدلاء على الخير والهدى والمرشدين إلى طريق الحياة الحقة، كما كانوا هم أطباء النفوس بكل ما تحتاج من العلاجات الروحية والمداواة النفسية لذلك ترى كل إمام من أولئك العترة الطاهرة كان يعالج بعد النبي ﷺ أدواء أهل عصره بنوع من العلاج الروحي يوافق عقولهم ويلائم مداركهم، كطبيب يوصي مرضاه بكلّ عطف وحنان ورأفة حتى يوصلهم إلى ساحل الصّحّة والهناء.

ولما كان عصر الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عصراً مليئاً بالأهواء المتعاكسة والآراء المختلفة والأخلاق المتفاوتة والمذاهب المتشعّبة عصراً تفسخت فيه الأخلاق الإسلامية وتسمّمت فيه النفوس وانحرفت صحّة الأرواح. كان الإمام عليه السلام يرى نفسه بطبيعة الحال وحسب وظيفته السماوية هو الطبيب المسؤول أمام الدين عن صحتها والمتكفل بعلاجها.

وكيف لا يرى نفسه كذلك وهو كتاب الله الناطق الذي قال النبي ﷺ فيه وفي آبائه وفي القرآن: إنِّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً.

---

(١) سورة الانفال / الاية ٢٤.

(٢) بحار الأنوار / ج ١٦ / ص٢١٠ .

نعم كان ﷺ يرى نفسه هو المسؤول الأوّل عن علاج هذه الأمة ومداواة أمراضها الروحية التي انتابت نفوسها بطغيان الرذائل على الفضائل فكان ﷺ يطبها بأنواع من أقواله الحكيمة ومختلف إرشاداته القيمة وتعاليمه الشافية، حسب مداركهم وشعورهم. شأن الفيلسوف المداري والطبيب المداوي. وإليك نموذج من طبه الروحي ومعالجته النفسية التي أراد بها شفاء النفوس من أسقامها الفتاكة بالفرد والمجتمع، مكتفين بالقليل لعدم اتساع هذا الجزء لكل ما ورد عنه ﷺ في هذا الباب، فنقول:

١ ـ الغضب

الغضب حالة في النفس تثيرها أمور منتظرة أو غير منتظرة فتخرج العقل عن استقامته وتصدّ الغضوب عن رشده وصوابه، وتفقده سلطانه على فكره وإدراكه فيختل مزاج الذهن، وتتهيّأ الأعضاء فيها للفتك والانتقام، ذلك لأنَّ الدم يثور فيها فيسرع إلى القلب ثم ينتشر منه في العروق ويرتفع إلى أعالي الرّأس فيحمرّ الوجه وتنتفخ الودجان ثم يجيش في الصدر فيعبس الوجه وتنكمش الشفتان عن الأسنان وهناك تتأهّب الأعضاء بسبب هذا الثوران في الدم للفتك والانتقام وقد قيل فيه :

ولم أرَ في الأعداء حين اختبرتهم عدوّاً لعقل المرء أعدى من الغضب

وأهم أسبابه الوراثة والأمراض. أمّا الأسباب المهيئة له فكثيرة، منها المزاج العصي والتسممات الحادثة من المآكل الحادة والمشروبات الرّوحيّة، كما أنَّ للمحيط والبيئة والتربية الأثر البليغ في أحداث الغضب وشدّة وطأته.

قال بعضهم: إنَّ الأسباب المهيجة للغضب الزهو والعجب والمزاح والهزء والمماراة والغدر وشدّة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة. ولا خلاص منه مع بقاء هذه الأسباب إلَّا بإزالتها إلى أضدادها.

وللغضب عواقب كثيرة من الأمراض التي لا يستهان بها كالإصابة بالسّل الرئوي وسوء الهضم والتهاب الأعصاب والنزيف الدموية بأنواعه، وقيل إنَّ الغضوب قد يُصاب بحالة شبيهة بداء الكلب بحيث إذا عض أحداً أدّى إلى موته وهذا مما يدل على أنّ في ريق الغضبان سمّاً زعافاً لا يؤثر على صاحبه فقط بل يؤثر على من يقع عليه.

فالغضب داء روحي ومرض خطير يضر بصاحبه أوّلاً وكثيراً ما يتعداه إلى غيره ويوقع صاحبه في ارتكاب الجرائم من غير وعيٍ أو إدراك.

وكم عالج الحكماء والفلاسفة والأطباء والعلماء هذا الداء بأنواع العلاجات رجاء شفائه فلم يفلحوا ولكن الدين الإسلامي الحكيم قد عالجه بأخف العلاجات وأنجعها وصدّه صدّاً بمختلف الواقيات كما في الحديث الشريف قوله ﷺ:

إذا وجد أحدكم من ذلك (الغضب) سيّئاً فإن كان قائماً فليجلس أو جالساً فليقم، فإن لم يزل بذلك فليتوضّأ بالماء البارد أو يغتسل

فإنّ النار لا يطفيها إلا الماء (١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (الغضب مفتاح كلّ شر)(٢) .

وقال عليه السلام: (الغضب ممحقة لقلب الحكيم)(٣) .

وقال عليه السلام: (من لم يملك غضبه لم يملك عقله) (٤).

وقال عليه السلام: (إذا لم تكن حليماً فتحلم. وفي حديث آخر: كفى بالحلم ناصراً)(٥).

وقال عليه السلام: (من ظهر غضبه ظهر كيده، ومن قوي هواه ضعف حزمه)(٦) .

٢ ـ الكذب

الكذب انحراف النفس عن صحّة الصدق والتواء الروح عن أداء واجبها الإنساني وهو مرض فردي واجتماعي خطير، إذ يحدث في صاحبه الكثير من أعراض الرذائل كالغش، والنفاق، والمداهنة، والغدر، والخيانة، والرياء، وخلف الوعد، ونقض العهد، مما كان الصدق واقياً منها وحافظاً للنفس من الوقوع فيها. على أنَّ الكذب هو نفسه لا يليق بالإنسان معتدل المزاج أن يتّصف به فيكون عضواً فاسداً في مجتمعه، يهلك نفسه ويعدي الآخرين فيمرض بمرضه.

وقال عليه السلام: (من صدق لسانه زكا عمله)(٧) .

وقال عليه السلام: (إنَّ الله خلق للشر أقفالاً ومفاتيح تلك الأقفال الشراب والكذب شر من الشراب) (٨).

٣ ـ الحسد

الحسد كراهة نعمة الآخرين وحب زوالها، وإنَّ الحاسد لم يزل يتطلع إلى نعم الله جل جلاله على عباده فلا يهنأ له حال. وما ألطف ما وصف الحساد أبو الحسن التهامي بقوله:

---

(١) بحار الأنوار / ج ٧٠ / ص ٢٧٢.
(٢) المصدر نفسه / ج ٧٠ / ص ٢٦٣
(٣) المصدر نفسه / ج ٧٠ / ص ٢٧٨.
(٤) المصدر نفسه / ج ٧٠ / ص ٢٧٨
(٥) المصدر نفسه / ج ٦٨ / ص ٤٠٤
(٦) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص ١٠٩.
(٧) بحار الأنوار / ج ١ / ص ١٤٠.
(٨) المصدر نفسه / ج ٦٩ / ص ٢٣٧.

إنِّي لأرحم حاسدي لشر ما ضمت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلـــــــوبهم في نار

وهو داء في النفس أشد من داء البخل، لأنَّ البخيل يضن بماله على غيره أما الحسود فإنّه يضن بمال الله ونعمه على عباده، ويتألّم من وصولها إلى غيره فهو العدو بلا سبب وطالب زوال النعمة عن غيره وإن لم تصل إليه، ولقد قال رسول الله ﷺ: إنَّ لنعم الله أعداء، قيل له ومن هم يا رسول الله ؟ قال ﷺ: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله(١).

وهذا الداء النّفساني لم يحدث إلا عن خبث في الروح وانطراء النفس على الشر فإذا ما تمكّن من امرئ أفسد أخلاقه، وساقه إلى القبائح والجرائم، وأوقع صاحبه في أشدّ الآلام النفسية والأسقام البدنية كما قيل:

أفسدت نفسك بالحسد وهدمت أركان الجسد

فإذا حصل في أمّة أوقعها في الشقاق والنفاق ثم الدمار، وإذا استولى على أحد أرجع عذابه على صحابه، لأنَّ الحسود دائم العذاب مستمر الألم، ولذا قال ﷺ: (لا يطمع الحسود في راحة القلب)(٢).

وقال ﷺ: (ليس الحسود غنى)(٣).

وقال ﷺ: (الحسود ذو نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم، وإنه لكثير الحسرات متضاعف السيئات، دائم الغم وإن كان صحيح البدن).

وقال ﷺ: (إنَّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب)(٤).

٤ ـ الكبر

الكبر في الإنسان حالة تعتري النفس تدعو إلى مجاوزة الحد في إعظامها واحتقار غيرها، وبعبارة أوضح: هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير.

وهو داء عضال في النفوس الواطئة يحدث عن ضيق دائرة نظر المتكبر إلى نفسه، عندما يرى فيها فضيلة ليست عند غيره، دون أن ينظر إلى نقصه وكمال غيره وإنَّ لهذا الداء من العوارض المرضية النفسية ما يوقع صاحبه في كثير من الرذال المستقبحة، كاغتراره بالظلم وعدم احتفائه بحقوق الناس والحقد والحسد الانقياد للحق، وعدم قبول النصيحة وإعراضه عن الارشاد، وغير

(١) بحار الأنوار/ ج ٧٠/ ص ٢٥٦
(٢) المصدر نفسه/ ج ٦٩/ ص ١٩٠
(٣) أمالي الطوسي: ٣٠١
(٤) بحار الأنوار/ ج ٧٠/ ص ٢٤٤

ذلك مما يلجئ تكبر المتكبر إلى ارتكابها والابتعاد عن مكارم الأخلاق.

وقال عليه السلام: (لا جهل أضر من العجب)(١) .

وقال عليه السلام: (ثلاثة مكسبة البغضاء: العجب والنفاق والظلم) (٢).

٥ ـ خلف الوعد

خلف النّفس حالة تتصف بها النفس الخسيسة، وتستسيغها الرّوح الواطئة وهو داء نفساني إذا ابتلى به المرء حرم ثقة الناس به، وجرّ إلى نفسه في مجتمعه ومحيطه الويل وفقد في أصحابه وإخوانه التعرّف والمحبة، هذا ضرره في صاحبه أما إذا ما فشا ـ خلف الوعد ـ في المجتمع كان داءً اجتماعياً خطيراً يقف سدّاً دون سعادة ذلك المجتمع وانتظام معاملاته وحصول الثقة بين أفراده.

ومن المعلوم أنَّ مثل هذا الداء العضال إذا ما تعلّق بالنفوس الواطئة لم يجد لشفائه عقار الطبيب مجالاً ولا ذكاء الفيلسوف سبيلاً إذا لم يردعه وازعٌ دينيّ أو واعظ داخليّ، يقيم أود تلك النفس الخسيسة ويرفعها إلى مستوى الإنسانية الفاضلة لذلك ترى الإمام عليه السلام جاء لعلاج أمثال تلك النفوس من هذا الطريق المستقيم فقال عليه السلام: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفِ بالوعد(٣).

٦ ـ الحرص

الحرص شدة الكدح والإسراف في الطلب، وفوقه الشره، وكلاهما داء ينتاب الروح والنفس بسبب غلبة القوّة البهيمية على العقل واندحار العقل أمامها مغلوباً، وما الحريص المصاب بهذا الداء إلا فقير كلّما ازداد حرصه ازداد فقره، لأنّ الفقر هو الحاجة، والحريص والشره ما زالا محتاجين، إذ لم يقنعا بكلّ ما أعطيا ولم تفتأ نفساهما تطلب الزيادة على ما في أيديهما فهما فقيران على وقد قيل: الغنى هو غنى النفس والقناعة كنز لا يفنى.

وعلى هذا قال الإمام عليه السلام: (أغنى غنى من لم يكن للحرص أسيراً) (٤).

وقال عليه السلام: (من قنع بما رزقه الله فهو أغنى الناس) (٥).

وقال عليه السلام: (الحرص مفتاح التعب ومطيّة النصب، وداع إلى التقحم في الذنوب والشره جامع للعيوب)(٦).

---

(١) بحار الأنوار/ ج ٦٩ / ص ٣١٥
(٢) تحف العقول / ص ٣١٦
(٣) أصول الكافي/ ٢/ ص٢٤
(٤) ميزان الحكمة / ج ٣/ ص/ ٢٣٠٥
(٥) ميزان الحكمة/ ج ٣/ / ص/ ٢٦٣٧
(٦) تحف العقول/ ص ٩٠

وقال عليه السلام: (حُرِم الحريص خصلتين. ولزمته خصلتان. حُرِم القناعة فافتقد الراحة، وحُرِم الرضا فافتقد اليقين) (١).

٧ ـ المراء والجدل

المراء والجدل داءان مذمومان مهلكان، وشهوتان باطنيتان يعتريان النفس مفادهما الاعتراض على الآخرين باظهار الخلل في قوله أو فعله من باب الطعن والاستحقار له طلباً للتفوق عليه بإبراز الكياسة والمعرفة.

وهما داءان خطران أقل ما يحدث منهما في النفس، حصول التباغض والعداء والنفرة بين المتحابين، وهذا ما يؤدّي إلى ما لا تحمد عقباه.

ولقد عالجهما الإمام الصادق عليه السلام بإرشاداته القيمة ونصائحه الدينية إذ قال عليه السلام: (الجهل في ثلاث: شدة المراء، والكبر، والجهل بالله)(٢) .

ومن حديث عنه عليه السلام: (سبعة يفسدون أعمالهم، سابعهم الذي لا يزال يجادل أخاه مخاصماً له)(٣) .

لو أردنا ذكر كلما ورد عن الإمام عليه السلام فيه لضاقت في هذه الرسالة المختصرة به وقد سلكنا فيها الاختصار الإيجاز، ولم يكن قصدنا بها إلا أن نقدّم للقارئ الكريم إضمامة من تلك الرياض الزاهرة التي تزهو بتعاليم الإمام العالم والمرشد الحكيم، والمقتدي الناصح، أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه وعلى آله الطاهرين أفضل التحية والسلام.

---

(١) الخصال / ص ٦٩

(٢) موسوعة العقائد الإسلامية/ ج١/ ص/ ٣٥٧

(٣) بحار الانوار/ ٧٥/ ٢١٠

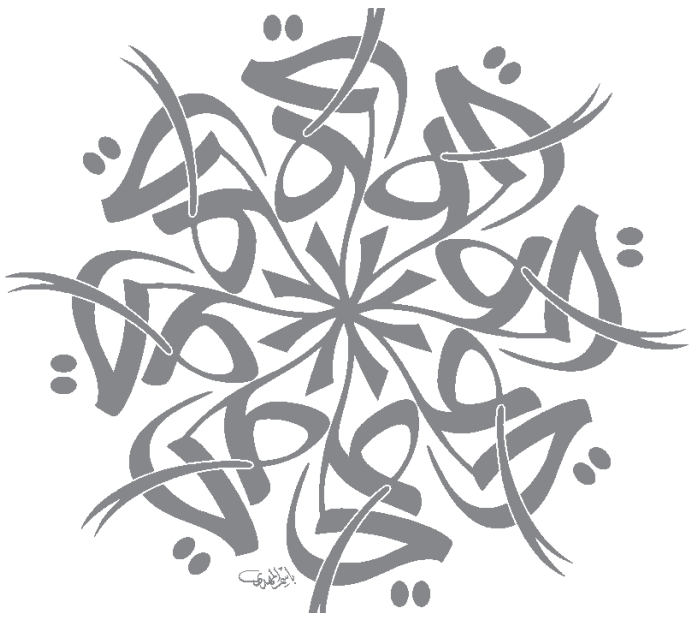

شهر ربيع الثاني

- هل تزوجت السيدة المعصومة عليها السلام؟

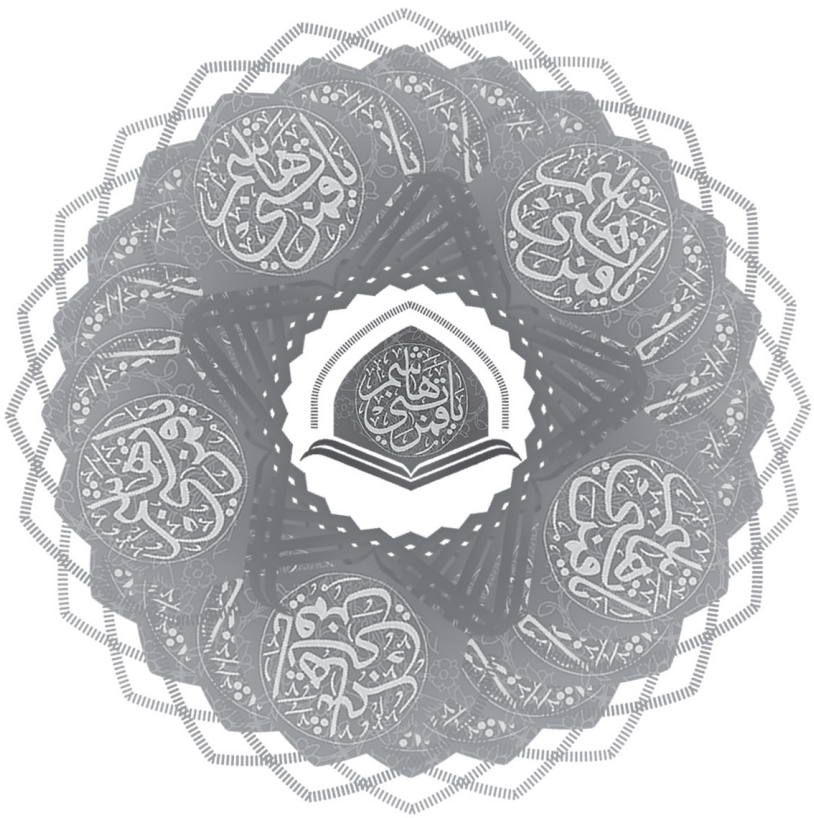

هل تزوجت السيدة المعصومة عليها السلام؟

السيد أبو الحسن هاشم

هناك أمر لا بد من البحث فيه وله صلة وثيقة بالسيدة المعصومة عليها السلام ومكانتها الاجتماعية، ومنزلتها بين الناس، ذلكم هو عدم زواج السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام. وهذا أمر مثير للتساؤل، ولاسيما مع ملاحظة ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام من الحث على الزواج والترغيب فيه، وأنّ به إكمال ثلث الدّين أو نصفه أو ثلثيه، فيا ترى ما هي الأسباب المانعة عن هذا الأمر في حقّ بنات الإمام الكاظم عليه السلام؟

وينبغي أن نؤكِّد قبل كلّ شيء على أن عدم اقتران واحدة من بنات الإمام الكاظم عليه السلام بزوج – ولا سيما السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام – لم يكن عن عيب مانع في الخَلق أو الخُلق، فقد كانت جليلة القدر ذات شأن عظيم، ومنزلة كبيرة، على أنَّ هذا الأمر لم تنفرد به وحدها من دون سائر أخواتها، فلا بد أن يكون المانع أمرًا آخر، وهذا ما نسعى للبحث حوله.

ومن الضروري أن نلتفت قبل ذلك إلى نقطتين مهمّتين:

الأولى: أنَّ هذا الأمر يعد من الشؤون الخاصة التي هي أشبه شيء بالأسرار العائلية والأسرية كغيرها من الخصوصيات التي لا تكون معرضًا عامًّا لعامّة الناس لإبداء أنظارهم وآرائهم فيها، وإنَّما ساغ للباحث أن يتناول بعض الشؤون بالدراسة والتحليل؛ لأنَّ أهل البيت عليهم السلام يمثلون القدوة الصالحة التي ترشد الإنسان إلى طريق الحق والهداية، وقد صدرت الأوامر الإلهية والنبوية بالاقتداء بهم، والسير على خطاهم، واقتفاء آثارهم، فإنَّهم لا يخرجون الناس من باب هدى ولا يدخلونهم في باب ضلالة.

الثانية: لما كان في هذه القضية معصوم فلا بدّ أن يكون الفعل معصومًا موافقاً لمقتضى الحكمة، وعلى طبق الموازين الإلهية سواء

حالفنا التوفيق فأدركنا السبب أو أخفقنا فلم ندركه.

وبدراسة الواقع الاجتماعي والسياسي والظروف المحيطة بأهل البيت ﷺ آنذاك قد نتمكّن من إعطاء صورة تقريبية عن الأسباب الكامنة وراء هذه القضية فنقول:

أوّلاً: إنَّ مما تقرر في مذهب أهل البيت ﷺ أنَّ العصمة الخاصة – في هذه الأمة – منحصرة في النبي ﷺ والصديقة الزهراء ﷺ والأئمة الاثني عشر ﷺ دون سواهم، وقد قامت الأدلة العقلية والنقلية على ذلك، مما هو مبثوث في الكتب الكلامية،. ولئن استفيد من بعض الأدلة أو القرائن عصمة بعض الأفراد من أهل البيت ﷺ كأبي الفضل العباس، وعلي الأكبر، والسيدة زينب بنت أمير المؤمنين، والسيدة فاطمة المعصومة ﷺ، فليس المراد بعصمة هؤلاء هي تلك العصمة الخاصة اللازمة، وإنَّما المراد أنَّهم بلغوا مرتبة عالية من الكمال لم ينلها سائر الناس. والظاهر أنّها ﷺ لم يكن لها كفؤ في ذلك العصر بسبب امتلاكها للعصمة الصغرى.

فإنَّهنّ ودائع رسول الله ﷺ وكريماته، فينبغي أن لا تزوجن إلَّا بمؤمن تقي يعرف مكانتهنَّ، ويقدر منزلتهنَّ، فقد قال رسول الله ﷺ: « أنكحوا الأكفاء وانكحوا فيهم واختاروا لنطفكم »(١).

ولعله لو زوجهنّ بغير أكفائهنّ لأوجب ذلك متاعب كبيرة وخطيرة لهنّ وللأئمة ﷺ، تكون المفسدة فيها، أعظم من تأيمهنّ .

فلو أنّ الإمام ﷺ قد زوجهنّ من غير الاكفاء لما عرفت مكانتهنّ، ولهدرت حقوقهنّ، وما في ذلك من المهانة والإذلال لودائع رسول الله ﷺ، وحاشا الإمام أن يفعل ذلك .

بل قد يكون تزويجهنّ من غير الأكفَاء عامل ضغط على الإمام ﷺ تمارسهُ الحكومة العباسيّة لتكبيل أشد للإمام، وتقييد أكثر لحريّته .

ولذا نجد أنَّ الإمام ﷺ في وصيّته قد جعل أمر تزويج بناته بيد الإمام الرضا ﷺ معلّلًا ذلك بأنّه أعرف بمناكح قومه .

مع احتمال أن تكون هناك أهداف سياسية من بعض الزيجات، من بنات الأئمة، حيث يحاول البعض أن يجعل ذلك ذريعة إلى أمور لا يصح تمكينه منها .

ثانياً: إنَّ من أهم الركائز التي اعتمدت عليها سياسة الحكام منذ اليوم الذي استولوا فيه على مقام الزعامة واغتصبوا فيه منصب

(١) الكافي : ج٢/ ص٥ .

الخلافة، هو السعي لإبقاء أصحاب الحق الشرعي في عوز وفاقة، كسرًا لشوكتهم وتقليصاً لشأنهم، وحدًّا من قدراتهم وإمكانياتهم، وإظهارهم للناس بأنّهم ليسوا ممن يطمع فيهم، أو يرغب في صحبتهم أو حملهم على الاستجداء والخنوع. ومن المعلوم أنَّ الناس أبناء الدنيا وعبيد الدرهم والدينار، إلَّا ما قلّ وندر، وكان ذلك أحد العوامل التي ساهمت في انحسار أغلب الناس وتخليهم عنهم بل والتنكر لهم عليهم السلام. وقد اتخذ الحكام عدة إجراءات للحيلولة دون تمكن أهل البيت عليهم السلام من الإنفاق بما يتناسب مع شأنهم فصادروا فدكًا من أصحابها ومنعوهم الحق الشرعي الذي افترضه الله على عباده بنصّ القرآن وهو الخمس، ومنعوهم عطاءاتهم، واستولوا على بعض ممتلكاتهم، واستمرت هذه السياسة جارية في بني أمية وبني العباس، حتى بلغ الأمر أنّه إذا ما تناهى إلى أسماعهم أنّ أحدًا أعطى خمسه للإمام عليه السلام فإنّهم ينكلون به أشد التنكيل، وكانت الرصد والعيون التي جندها الحكام على الأئمة عليهم السلام ترقب عليهم كلَّ تصرف. وكان قسم كبير من تلك الأموال التي استولى عليها الظالمون غصباً وعدواناً يبذل لأولئك الذين يتزلفون للحكام من الشعراء الذين اتخذوا من هجاء النبي صلى الله عليه وآله وعترته ذريعة لنيل الأموال والحصول عليها، كأبان بن عبد الحميد، ومروان بن أبي حفصة، وأضرابهما ممن طبع على قلوبهم وباع دينه بدنياه. وأما القسم الآخر – من الأموال – فكان يبذل على الفسوق والفجور، والفساد، مما حفلت بذكره كتب التاريخ.

وبقيت الأمة ولاسيما أهل البيت عليهم السلام يرزحون تحت وطأة القهر والحرمان. وقد اعترف هارون العباسي بذلك، كما جاء في حواره مع ولده المأمون لما اعترض على أبيه لقلّة ما أعطى الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في حين أنّه ضمن له أن يعطيه الكثير. قال المأمون: يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم، ومن لا يعرف نسبه خمسة آلاف دينار وتعطي موسى بن جعفر وقد أعظمته وأجللته مائتي دينار أخس عطية أعطيتها أحدًا من الناس، فثار هارون وصاح في وجهه قائلاً: اسكت لا أم لك، فإنّي لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت آمنه أن يضرب وجهي بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم...(١) .

فالبعض قال إنّ عدم زواج المعصومة هو بسبب العوز والفقر ولكنه رأي غير مقبول، فالكل كان يريد التقرب من أهل البيت عليهم السلام والقضية المادية لم تكن تمثل عائقًا في زمن من الأزمنة.

ثالثاً: إنّ ظروف الأئمة كانت صعبة للغاية . . ولم يكن هناك من يجرؤ على الاتصال بهم خصوصاً في أمر الزواج، من غير الأقارب . وأبناء العم . . ولا سيما في زمن المنصور إلى زمان هارون الذي حصد شجرة النبوة، واقتلع غرس الإمامة، كما يقول الخوارزمي، وذلك واضح . .

ونتيجة الضغوطات العنيفة، والممارسات التعسفية التي كانت السلطة العبّاسية تنتهجها تجاه الإمام عليه السلام وشيعته، ما كان

(١) بحار الأنوار / ج ٤٨ / ص١٣٢

أحد ليجرأ أن يتقدّم من الإمام ليطلب كريمته أو أخته .

بل إنّ الشيعة ـ في فترات مختلفة من الزمن ـ ما كانوا ليتقربوا من دار المعصومين عليهم السلام في استفتاءاتهم، ولذا كان بعضهم يلجأ إلى الحيلة فيلبس ثياب بائع خيار ويحمل سلّة الخيار حتى يتمكّن من دخول دار الإمام، فيستفتيه ويخرج .

فإذا كان أتباع أهل البيت عليهم السلام لا يستطيعون استفتاء الإمام، فما ظنك بمن يريد مصاهرة الإمام ؟ !

إنّ الراغبين لشرف مصاهرة الإمام ـ سواء أكانوا من أولاد العمومة أم من خيار الشيعة ـ كان أمرُهم دائراً بين مقتول بأيدي الغدر والعدوان، وبين معتقل معذب في قعر السجون، وبين مطارد من جلاوزة السلطة قد استخفى عن أعينهم . . . ! !

فمن ذا الذي يجرأ ـ بعد هذا ـ أن يطلب الوصلة بالإمام عليه السلام ؟

رابعاً: أنّ العزوبة وإن كانت مكروهة عند الشرع المقدس، لكنها قد ترجح في بعض الأزمنة .

فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دينه إلا من يفر من شاهق، ومن جُحر إلى جُحر كالثعلب بأشباله .

قالوا: ومتى ذلك الزمان ؟

قال صلى الله عليه وآله: إذا لم ينل المعيشة إلا بمعاصي الله، فعند ذلك حلّت العزوبة » (١) .

فالعزوبة تحل في بعض الأزمنة، وعليه قد يكون الإمام عليه السلام قد مرّ بما يماثل تلك الأزمنة، فلا تنافي بين ترغيب الإسلام في الزواج، وبين عدم تزويج الإمام عليه السلام لبناته .

فالحكم الأولي للعزوبة هو الكراهة، ولكن الحكم الثانوي المستفاد من هذه الرواية هو حليّة العزوبة في بعض الأوقات .

إنّ السيدة المعصومة عليها السلام ـ كسائر أخواتها ـ لم تتزوج، وعدم تزويج الإمام لهنّ لا ينافي الترغيب والأمر بالزواج .

وظاهرة عدم تزويج أكثر من إمام لبناته أو أخواته لهي ظاهرة تستحق دراسة أكثر، وبحثاً أعم، للتعرف على أسباب وملابسات هذه الظاهرة وتحليلها، فهي حلقة من حلقات معاناة ومعايشة المعصومين عليهم السلام لظروف عصيبة ومختلفة . فعسى الله أن يفيض من يبحثها ويكشف عن غوامضها .

---

(١) بحار الانوار : ج١٤ / ص ٣٥١ .

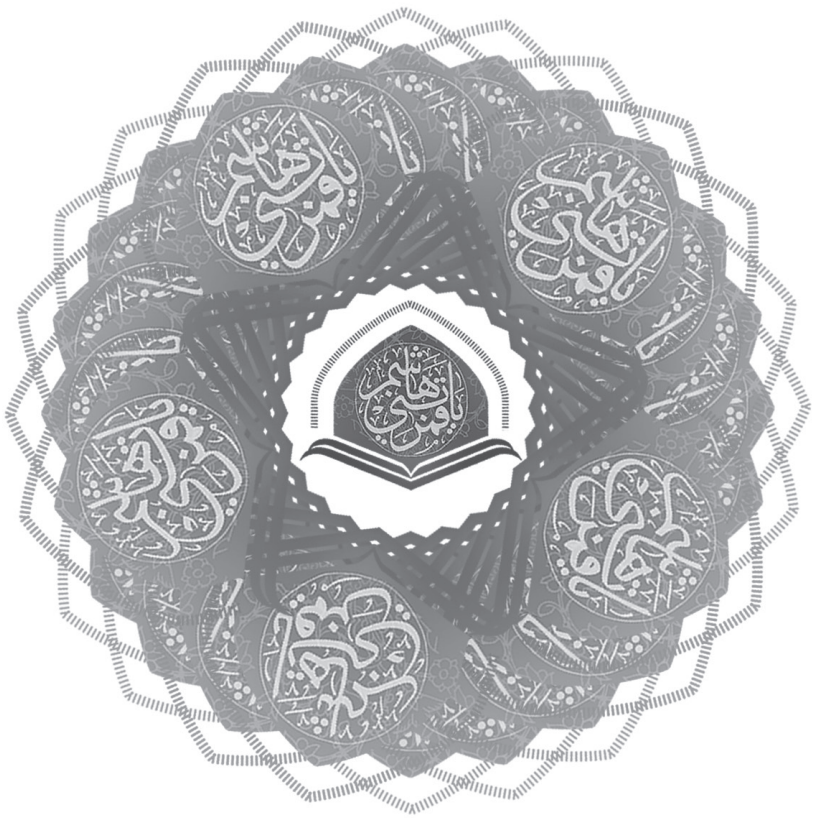

شهر جمادى الأولى

- علوم فاطمية

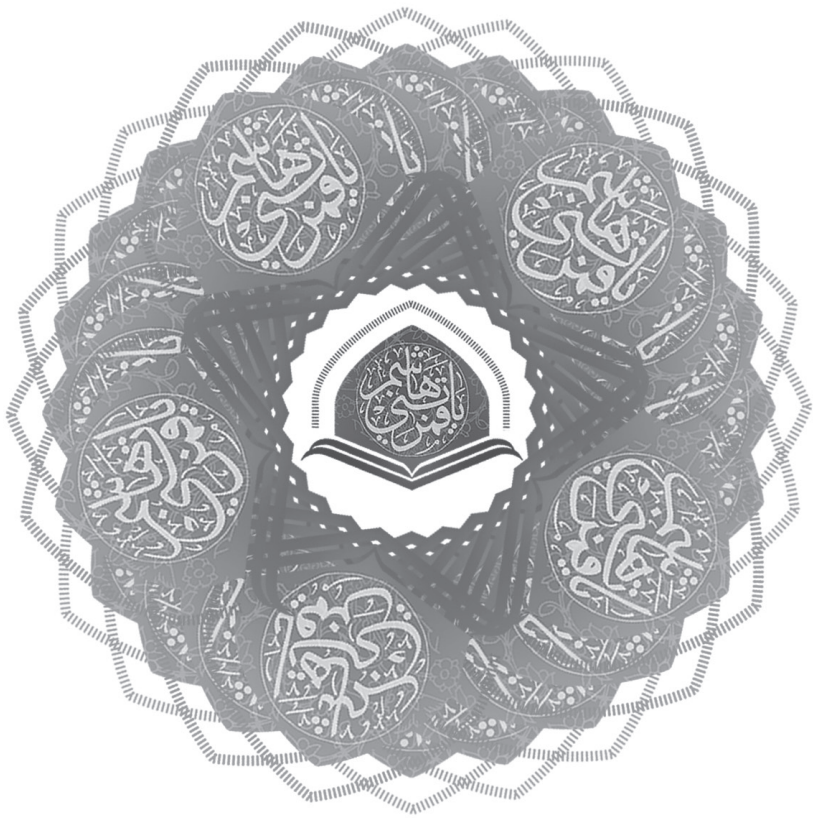

علوم فاطمية

الشيخ أنور أبو الحب

إنَّ الصديقة فاطمة عليها السلام كانت عالمة بإذن الله تعالى بما كان، وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة.

وقد منحها الله العلم اللدني، كما تربّت في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وآله وتعلّمت منه مختلف العلوم، وهذه خطبتها الشريفة تحتوي على علوم مختلفة في أصول الدين وفروعها، في التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، وفي الصوم والصلاة والحج والجهاد وغيرها، وكذلك في علوم القرآن والحديث، والفقه والأصول، وعلم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد وغيرها.

علم ماكان ومايكون

عن سلمان قال: حدّثني عمّار وقال: أخبرك عجبًا، قلت: حدثني يا عمار، قال: نعم، شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام وقد ولج على فاطمة عليها السلام فلما بصرت به نادت: «ادن لأحدثك بما كان، وبما هو كائن، وبما لم يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة! ».

قال عمار: فرأيت أمير المؤمنين عليه السلام يرجع القهقرى، فرجعت برجوعه إذ دخل على النبي صلى الله عليه وآله فقال له: «ادن يا أبا الحسن»، فدنا، فلما اطمأنّ به المجلس قال صلى الله عليه وآله له: «تحدثني أم أحدثك»؟ قال: «الحديث منك أحسن يا رسول الله»، فقال صلى الله عليه وآله: «كأنّي بك وقد دخلت على فاطمة وقالت لك: كيت وكيت فرجعت؟»، فقال علي عليه السلام: «نور فاطمة من نورنا»،فقال عليه السلام: «أو لا تعلم»، فسجد علي عليه السلام شكراً لله تعالى.

أقول: أسئلة الأئمة عليهم السلام مع علمهم اللدني كان من باب سؤال العارف أو ما أشبه(١)، كما في قوله تعالى: **(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا**

(١) أو من باب تعليم الجاهل.

مُوسَىَ) (١).

قال عمار: فخرج أمير المؤمنين عليه السلام وخرجتُ بخروجه، فولج على فاطمة عليها السلام وولجت معه، فقالت عليها السلام: «كأنّك رجعت إلى أبي صلى الله عليه وآله فأخبرته بما قلته لك؟».

قال: «كان كذلك يا فاطمة»، فقالت: «اعلم يا أبا الحسن أنّ الله تعالى خلق نوري وكان يسبح الله جلّ جلاله، ثم أودعه شجرة من شجر الجنة فأضاءت، فلما دخل أبي إلى الجنة أوحى الله تعالى إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك، ففعل فأودعني الله سبحانه تعالى صلب أبي صلى الله عليه وآله ثم أودعني خديجة بنت خويلد عليها السلام فوضعتني، وأنا من ذلك النور، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن: المؤمن ينظر بنور الله تعالى» (٢).

العلم اللدني

ومما يدل على أن الصديّقة فاطمة عليها السلام عالمة بالعلم اللدني وأنَّ الله قطعها عن الجهل بسبب العلم، ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عزّوجلّ إلى ملك فأنطق به لسان محمد صلى الله عليه وآله فسمّاها فاطمة، ثم قال: إني فطمتكِ بالعلم، وفطمتك عن الطمث».

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم، وعن الطمث في الميثاق» (٣).

علم التوحيد

أشرف العلوم علم التوحيد، وقد كانت الصديقة فاطمة عليها السلام أعلم الناس بذلك بعد أبيها وبعلها (صلوات الله عليهم أجمعين)، قال علي عليه السلام حينما جلس عند رأسها وهي توصيه: «أنتِ أعلم بالله..» (٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لّما توفّيت خديجة عليها السلام جعلت فاطمة عليها السلام تلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وتدور حوله وتقول: «يا أبه، أين أُمّي؟». قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال له: «ربّك يأمرك أن تقرأ فاطمة السلام»، وتقول لها: «إنّ أُمّك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة عليها السلام: إنّ الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام»(٥).

المعرفة بالأشياء كلها

---

(١) سورة طه: ١٧.

(٢) عيون المعجزات: ص٤٦ ـ ٤٧. بحار الأنوار، ج٤٦، ص٨.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ص١٧٢.

(٤) روضة الواعظين: ص١٥١ .

(٥) الأمالي، للشيخ الطوسي: ص١٧٥ .

قالت أم سلمة: (تزوّجني رسول الله ﷺ وفوّض أمر ابنته ـ فاطمة عليها السلام- ـ إليّ، فكنت أدلّها وأؤدّبها، وكانت والله آدب مني وأعرف بالأشياء كلها)(١).

فقه فاطمة عليها السلام

إنَّ الصديقة فاطمة عليها السلام كانت فقيهة عالمة بجميع الأحكام الشرعية بالعلم اللدني وبما علّمها رسول الله ﷺ.. وهي معصومة لا تخطئ أبداً، وهي حجة الله على أولادها الطاهرين عليهم السلام، من هنا كانت أقوالها وأفعالها حجة يُستنبط منها الأحكام الشرعية، الإلزامية وغيرها.

مجالس العلم

كانت الصديقة فاطمة عليها السلام تهتمّ بنشر الثقافة والعلم، فهناك العديد من الروايات التي روتها عن أبيها رسول الله ﷺ ..

كما كانت عليها السلام تعقد مجالس العلم وحلقات البحث للنساء والفتيات، تعلّمهنّ القرآن وعلومه، والفقه وأحكامه، وكانت النساء والفتيات يأتين فاطمة عليها السلام ويسألنها عن أحكامهن، وهي عليها السلام تجيب برحابة صدر بل تشجّعهنّ على السؤال والتّعلّم.

قال أبو محمّد العسكريّ عليه السلام: «حضرت امرأة عند الصّدّيقة فاطمة الزّهراء عليها السلام فقالت: إنّ لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك، ثم ثنّت(٢) فأجابت، ثمّ ثلّثت فأجابت إلى أن عشرّت فأجابت، ثمّ خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشقّ عليكِ يا بنت رسول الله.

قالت فاطمة عليها السلام: هاتي وسلي عمّا بدا لك، أرأيت من اكتري يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، وكراؤه مائة ألف دينار، أيثقل عليه؟

فقالت: لا.

فقالت: اكتريت أنا لكلّ مسألة بأكثر من ملء ما بين الثّرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لايثقل عليّ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على كثرة علومهم، وجدّهم في إرشاد عباد الله، حتّى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور، ثمّ ينادي منادي ربّنا عزّوجلّ: أيّها الكافلون لأيتام آل محمّد عليهم السلام النّاعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الّذين هم أئمّتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الّذين كفلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم كما خلعتوهم خلع العلوم في الدّنيا، فيخلعون على كلّ واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتى أنّ فيهم ـ يعني في الأيتام

(١) دلائل الإمامة: ص٨٢ .

(٢) أي سألت سؤالاً ثانياً، وهكذا إلى أن سألت عشرة أسئلة فقهية وأجابت الصديقة فاطمة عليها السلام على كلها.

ـ لمن يُخلع عليه مائة ألف خلعة، وكذلك يخُلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إنَّ الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم وتضعفوها، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم، وكذلك من بمرتبتهم ممن يـخلع عليه على مرتبتهم.

وقالت فاطمة ﷺ: يا أمة الله إن سلكاً من تلك الخلع لأفضل ممّا طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة، وما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر»(١).

فضة (٢) من تلامذتها

قال بعضهم: انقطعتُ في البادية عن القافلة فوجدتُ امرأة فقلت لها: من أنت؟ فقالت: **(وَقُلْ سَلاَمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)** (٣)، فسلّمت عليها، فقلت: ما تصنعين هاهنا؟

قالت: **(ومَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مّضِلّ)** (٤).

فقلت: أمن الجن أنت أم من الإنس؟

قالت: **(يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ)** (٥).

فقلت: من أين أقبلت؟

قالت: **(يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ)** (٦).

فقلت أين تقصدين؟

قالت **(ولله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ)** (٧).

فقلت: متى انقطعت؟

---

(١) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٢) فضة النوبية جارية الزهراء ﷺ أخدمها رسول الله ﷺ فاطمة ﷺ وجعل لها يوم خدمة ويوم استراحة، دفنت في دمشق في الباب الصغير.

(٣) سورة الزخرف: ٨٩.

(٤) سورة الزمر: ٣٧.

(٥) سورة الأعراف: ٣١.

(٦) سورة فصلت: ٤٤.

(٧) سورة آل عمران: ٩٧.

قالت: (**ولَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ والأرْضَ... فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**) (١).

فقلت: أتشتهين طعاماً؟

فقالت (**وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاّ يَأْكُلُونَ الطّعَامَ**) (٢)، فأطعمتها.

ثم قلت: هرولي ولا تعجلي.

قالت: (**لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها**) (٣).

فقلت: أردفك.

فقالت: (**لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إلاّ اللهُ لَفَسَدَتا**) (٤).

فنزلت فأركبتها، فقالت (سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا) ((٥)).

فلما أدركنا القافلة قلت: ألك أحد فيها؟

قالت: (**يا داوُدُ إنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأرْضِ**)(٦). (**وما مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ**)(٧). (**يَا يُحيَى خُذِ الْكِتابَ**) (٨). (**يا مُوسى إنِّي أَنَا اللهُ**) (٩). فصحت بهذه الأسماء فإذا أنا بأربعة شباب متوجهين نحوها، فقلت من هؤلاء منك؟

قالت: (**الْمالُ والْبَنُونَ زِينَةُ الْحياةِ الدُّنْيا**) (١٠).

فلما أتوها قالت: (**يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأمِينُ**)(١١)، فكافوني بأشياء، فقالت: (**واللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ**)(١٢)، فزادوا علي. فسألتهم عنها؟ فقالوا: هذه أمّنا فضة جارية الزهراء ﷺ ما تكلمت منذ عشرين سنة إلّا بالقرآن(١٣).

---

(١) سورة ق: ٣٨.
(٢) سورة الأنبياء: ٨.
(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.
(٤) سورة الأنبياء: ٢٢.
(٥) سورة الزخرف: ١٣.
(٦) سورة ص: ٢٦.
(٧) سورة آل عمران: ١٤٤.
(٨) سورة مريم: ١٢.
(٩) سورة القصص: ٣٠.
(١٠) سورة الكهف: ٤٦.
(١١) سورة القصص: ٢٦.
(١٢) سورة البقرة: ٢٦١.
(١٣) مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص١٢١ ـ ١٢٢.

اللوح الأخضر

عن أبي بصير(١)، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاري: إنَّ لي إليك حاجة، فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟. فقال له جابر: أي الأوقات أحببته. فخلا به في بعض الأيام. فقال عليه السلام له: يا جابر، أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وما أخبرتك به أمي أنّه في ذلك اللوح مكتوب؟.

فقال جابر: أشهد بالله أنّي دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فهنيتها بولادة الحسين عليه السلام، ورأيت في يديها لوحاً أخضر ظننت أنه من زمرّد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه لون الشمس.

فقلت لها: بأبي وأمي يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ما هذا اللوح؟

فقالت عليها السلام: هذا لوح أهداه الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني واسم الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك.

قال جابر: فأعطَتْنيه أمك فاطمة عليها السلام فقرأته واستنسخته.

فقال له أبي عليه السلام: فهل لك يا جابر أن تعرضه عليَّ؟.

قال: نعم. فمشى معه أبي إلى منزل جابر، فأخرج صحيفة من رق.

فقال: يا جابر، انظر في كتابك لأقرأ أنا عليك، فنظر جابر في نسخة فقرأه أبي فما خالف حرف حرفاً.

فقال جابر: فأشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه، ونوره وسفيره، وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين، عَظِّمْ يا محمد أسمائي، واشكُرْ نعمائي، ولا تجحد آلائي. إنّي أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين، ومديل المظلومين، وديان الدين. إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي، أو خاف غير عدلي عذّبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين. فإياي فاعبد وعليَّ فتوكل..

إني لم أبعث نبيّاً فأكملت أيامه وانقضت مدّته إلاّ جعلت له وصيّاً، وإني فضّلتك على الأنبياء، وفضلت وصيّك على الأوصياء، وأكرمتك بشبلَيك وسبطَيك حسن وحسين، فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه، وجعلت حسيناً خازن وحيي وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه،

(١) أبو بصير: كنية مشتركة بين جماعة، وهم: يحيى بن القاسم، وليث بن البختري، وعبد الله بن محمد الأسدي، ويوسف بن الحارث، وحماد بن عبد الله بن أسيد الهروي، ولكن عند الإطلاق وكون المروي عنه أبا عبد الله عليه السلام يتعين الثاني، فإن الأول يقيد بأبي بصير الأسدي، وأما الثالث فهو من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام.

وحجتي البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب، أولهم علي سيد العابدين، وزين أوليائي الماضين، وابنه شبه جده المحمود محمد، الباقر علمي، والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفر، الراد عليه كالراد عليَّ، حق القول مني لأكرمن مثوى جعفر، ولأسرّنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه، أتيحت بعده موسى فتنة عمياء حندس، لأن خيط فرضي لا ينقطع، وحجتي لا تخفى، وأن أوليائي يسقون بالكأس الأوفى، من جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي، ومن غيّر آية من كتابي فقد افترى عليَّ، ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في علي وليي وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوة، وأمتحنه بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر، يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلقي، حق القول مني لأسرنه بمحمد ابنه، وخليفته من بعده، ووارث علمه، فهو معدن علمي، وموضع سري، وحجتي على خلقي، لايؤمن عبد به إلاّ جعلت الجنة مثواه، وشفعته في سبعين من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار، وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري، والشاهد في خلقي، وأميني على وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي، والخازن لعلمي الحسن، وأكمل ذلك بابنه محمد رحمة للعالمين، عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيوب، فيذل أوليائي في زمانه، وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، فيُقتلون ويُحرقون، ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم، ويفشو الويل والرنة في نسائهم، أولئك أوليائي حقاً، بهم أدفع كل فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل، وأدفع الآصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون».

قال عبد الرحمن بن سالم(١): قال أبو بصير: لو لم تسمع في دهرك إلّا هذا الحديث لكفاك، فصُنه إلّا عن أهله(٢).

علم الغيب

كانت الصديقة فاطمة عليها السلام عالمة بالغيب بإذن الله تعالى، ويظهر ذلك من مختلف الروايات، كإخبارها بقصة عاشوراء، وإخبارها بولدها المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف)، وإخبارها بما سينال القوم بعد غصب الخلافة، كما في خطبتها لنساء المهاجرين والأنصار حيث عدنها في البيت وذلك في مرضها (صلوات الله عليها).

روي أنَّ الحسن والحسين عليهما السلام كان عليهما ثياب خلق وقد قرب العيد، فقالا لأمّهما فاطمة عليها السلام: إنَّ بني فلان خيطت لهم الثياب الفاخرة، أفلا تخيطين لنا ثياباً للعيد يا أماه؟ فقالت: يخُاط لكما إن شاء الله. فلما أن جاء العيد جاء جبرئيل عليه السلام بقميصين من حُلل الجنة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هذا يا أخي جبرئيل؟ فأخبره بقول الحسن والحسين لفاطمة عليها السلام وبقول فاطمة عليها السلام: يخاط لكما إن شاء الله، ثم قال جبرئيل: قال الله تعالى لما سمع قولها: لا نستحسن أن نكذّب فاطمة بقولها: يخُاط لكما إن شاء الله(٣).

---

(١) عبدالرحمن بن سالم بن عبدالرحمن الأشل الكوفي العطار، من أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام روى عنه كبار الفقهاء والرواة أمثال محمد بن أبي عمير وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي وأحمد بن محمد بن عيسى والحسن بن ظريف (رضوان الله عليهم) وغيرهم، وهي علامة التوثيق عند محققي الأصول خصوصاً من الثلاثة الأول.

(٢) الكافي: ج١ ص٥٢٧ ـ ٥٢٨ .

(٣) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٧٥ .

المصحف الفاطمي

مصحف فاطمة عليها السلام كتاب من تأليف الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام يتضمن علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وهو اليوم عند ولدها الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف).

وهذا المصحف ليس القرآن بل هو كتاب كسائر الكتب التي كتبها الأئمة الطاهرون عليهم السلام ..

قال الإمام الصادق عليه السلام عن مصحف فاطمة عليها السلام: «إنَّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، فكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام» (١).

وقال الصادق عليه السلام: «وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة» (٢).

وعن حماد(٣) عن الإمام الصادق عليه السلام قال في حديث: «تظهر الزنادقة(٤) في سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام ... قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: إنَّ الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته(٥) من الحزن ما لا يعلمه إلاّ الله عزّوجلّ، فأرسل الله إليها ملكاً يسلي غمها ويحدّثها، فشكت ذلك(٦) إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلّما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفًا، ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون» (٧).

وفي حديث عن الإمام الصادق: «مصحف فاطمة عليها السلام ما فيه شيء من كتاب الله وإنّما هو شيء أُلقي عليها بعد موت أبيها صلى الله عليهما»(٨).

---

(١) مجمع البحرين: ج٢ ص٥٨٨.

(٢) بصائر الدرجات: ج٣ ص١٧٢ ب١٤ ح٣.

(٣) حماد بن عثمان بن عمرو بن خالد الفزاري الكوفي المشهور بـ (الناب) أو (ذي الناب) من أصحاب الإمام الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام ومن أصحاب الإجماع ومن الفقهاء الثقات، توفي سنة ١٩٠هـ.

(٤) الزنادقة: هم القائلون بأن العالم وجد بلا صانع، فجحدوا وجود الله الصانع المدبر، وقيل: هم القائلون بدوام الدهر من أصحاب زرادشت، وقيل: غير ذلك

(٥) أي دخل على الزهراء عليها السلام بسبب وفاته صلى الله عليه وآله.

(٦) أي شَكَت عدم كتابتها لما يحدثها الملك، وربما كان ذلك لشدة مرضها.

(٧) الكافي: ج١ / ص٢٤٠.

(٨) بصائر الدرجات: ج٣/ ص١٨٠ .

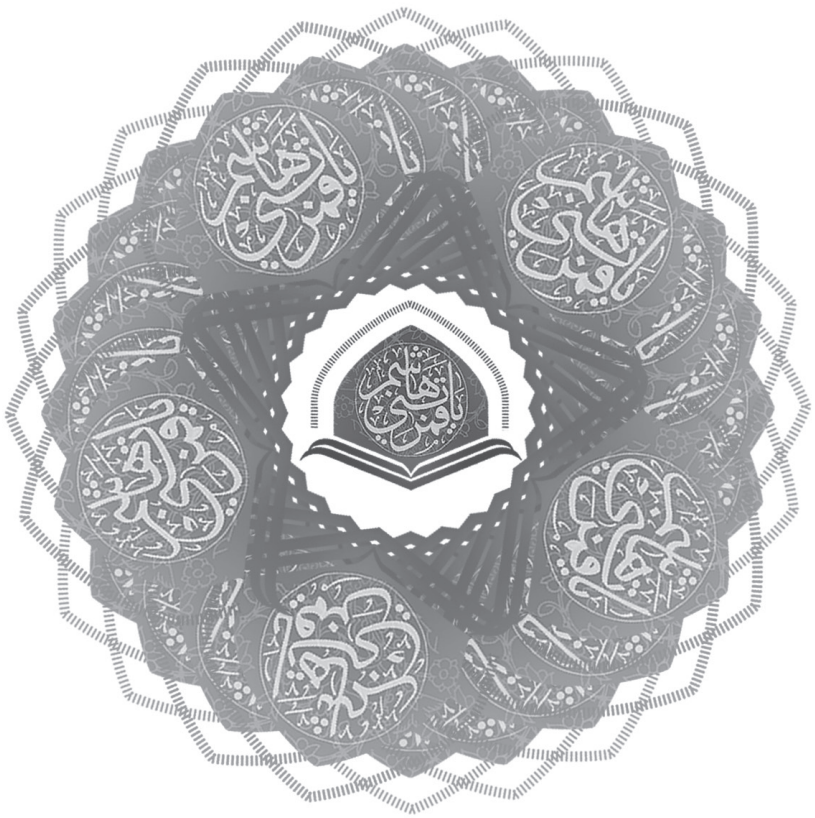

شهـر جمادى الآخرة

- منهج أم البنين عليها السلام في التربية وبناء المجتمع الصالح

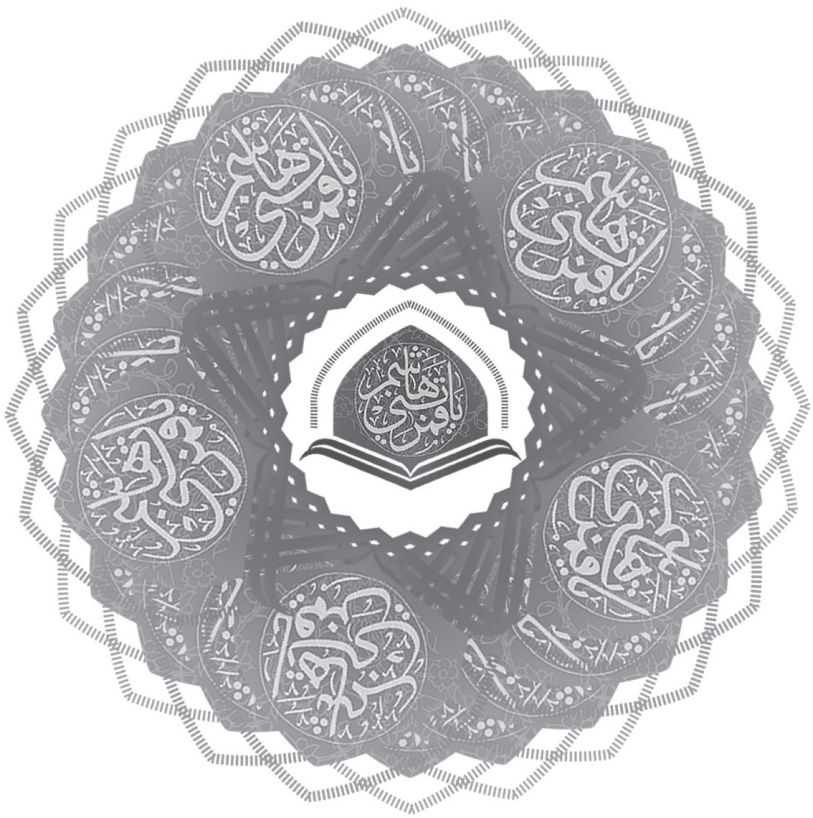

منهج أم البنين عليها السلام في التربية وبناء المجتمع الصالح

م.د أمل محمد سلمان التميمي
م.م بشرى جابر محمدجواد

يكتسب الحديث عن السيدة فاطمة الكلابية المكناة بأمّ البنين عليها السلام أهمّيّة خاصة نظراً للدور الرّيادي الذي أخذته عليها السلام، وقد لا نستطيع في هذا البحث وبعدة صفحات أن نلمس كثيراً من تفاصيل حياتها عليها السلام منذ نشأتها وحتى التحاقها بالرّفيق الأعلى، ولكنَّنا سوف نحاول أن نلقي بعض الأضواء على أهم المفاصل في تاريخها، إذ يمثل البحث اطلالة استكشافية لبعض مقامات ومواقف سيدة الوفاء وقدوة المؤمنات الصالحات كريمة الخلائق التقية الزكية عليها السلام، وتهدف الدراسة الى التعرف على أهم المعالم الدينية والتربوية في شخصية السيدة أم البنين عليها السلام والتي تعد أنموذجًا للاقتداء بها لدى كل من النساء والرجال.

ونسأل الله تعالى أن يكون البحث عملاً متواضعاً نتقرّب من خلاله من الله وإلى باب الحوائج، عساها أن تكون شفيعتنا عند ربِّ العالمين(يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم)(١).

(١) سورة الشعراء – آية: ٨٨ – ٨٩.

المبحث الأول: منهجية التربية

أولاً: مفهوم المنهجية

لقد كثر استعمال ألفاظ النهج والمنهج والمنهاج، أو المنهجية في الأدبيات المعاصرة، والنهج والمنهج والمنهاج في اللغة بمعنى واحد وكلها تشترك في إشارتها إلى الطريق المستقيم الواضح، الذي يوصل إلى الغاية بسهولة ويسر، كما تتضمن معنى الإسراع في السير في الطريق لوضوحها أو في إنجاز العمل لوضوح طريقته والنهج هو الطريق المستقيم، ويأتي أصل هذه الألفاظ لغة من الجذر نَهَجَ وأَنْهَجَ بمعنى وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً. جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: «**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً**»(١).

ثانياً : مفهوم التربية

إنَّ التربية لغةً مشتقة من أصول ثلاثة: الأصل الأول: ربا يربو، بمعنى زاد ونما، والأصل الثاني: رَبّ يَرُب بوزن مدّ يمُدّ، بمعنى أصلحه، وتولّى أمره، وساسه وقام عليه يقال: ربّ الشيء إذا أصلحه، وربّيت القوم أي: سُستُهم . اما الأصل الثالث: رَبِي يَربىَ على وزن خَفِي يَخْفَى، بمعنى نشأ وترعرع.

ويشير مفهوم التربية الى « عملية تبليغ الشيء إلى درجة الكمال التي هيأها الله له، فهي تشمل جميع جوانب النفس الإنسانية أي جميع الجوانب الشخصية الإنسانية وهي تستعين بوسائل منها التعليم، والتعليم وسيلة للتربية ومدلوله أضيق من مدلولها؛ لأنه مرتبط بموضوع معين (٢).

أما التربية في مجال تنشئة الأولاد فهي عملية بناء ورعاية وإصلاح شيئًا فشيئًا حتى التمام أي المضي مع النشئ بالتدرج من الولادة حتى سن البلوغ، والتربية بهذا المعنى فريضة إسلامية في أعناق جميع الآباء والأمهات والمعلمين لغرس الإيمان وتحقيق شريعة الله وهي مسؤولية وأمانة لا يجوز التخلي عنها، حيث قال الله تعالى: (**إنا عرضنا الْأَمانةَ علَى السماوات والْأَرضِ والْجِبالِ فَأَبين أَنْ يحملْنها وأَشفَقْن منها وحملَها الْإِنسانُ إِنه كَانَ ظَلُوماً جهولاً**)(٣). ويحتاج الأبوان ثقافة عالية في أساليب التربية والتعامل بين الأبناء، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لولده الحسن المجتبى عليه السلام قوله: (إنَّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما القي فيها شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبّك، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته،

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨ .

(٢) مناهج التربية-أسسها وتطبيقها،١٩٩٨ :٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية٧٢.

فتكون قد كفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ المفاهيم الحديثة في التربية هي: التربية من أجل التنمية المستدامة والتي تعد من المفاهيم كثيرة التردد وفيها يتم ربط التربية بالتنمية، وذلك من خلال تربية النشء على المشاركة في عملية التنمية من خلال تزويده بالمعرفة، والقيم والاتجاهات، وإشراكه في دارسة كثير من القضايا المؤثرة في التنمية مثل الفقر والحروب، والصراعات، والمواطنة، وهي بذلك تأكد على مفاهيم تشكل عمود التربية من أجل التنمية المستدامة وهي التنوع، حاجات أجيال المستقبل وحقوقهم، المواطنة والتنظيم، التغير المستمر، جودة الحياة، الاعتماد المتبادل، التردد والحيطة(٢).

ويؤكّد (هويدي وحوامدي)(٣) بأنَّه قد فرض الانفتاح عن العالم تحديات كبيرة، باتت تفرض مراجعة أدبيات النظام التربوي ومناهجه المعتمدة، باعتبارها الوسيلة الأولى التي تعنى ببناء الفرد الصالح، والذي يعد أحد مقومات المجتمع، والمحافظة عليه واستمراريته، وتحقيق طموحاته وآماله، من هنا جاءت الحاجة الى الاهتمام بتربية المواطنة، من حيث أنَّها عملية متواصلة لتعميق الحس والشعور بالواجب تجاه المجتمع، وتنمية الشعور بالانتماء للوطن، وغرس احترام النظام والاتجاهات الوطنية والنظم والتعليمات، وتعريف النشء بمؤسّسات بلدهم ومنظماتها الحضارية وأنَّها لم تأتِ مصادفة بل ثمرة عمل دؤوب وكفاح مرير، ولذا من واجبهم احترامها ومراعاتها، فضلاً عن الاهتمام بمنهج تربية المواطنة، حيث إنَّ أيّ منهج يسعى الى إكساب ثلاثة عناصر أساسية هي:(٤)

ثالثًا: أهداف المناهج التربوية الإسلامية

إنَّ المناهج التربوية الإسلامية تجمع بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم، ودون تضحية بأيٍّ منها على حساب الآخر، فالفهم الإسلامي لهدف التربية هو إعداد الفرد؛ ليكون نافعًا « في مجتمعه ونفسه، وسعيدا» في دنياه وآخرته، فالأهداف العامة تتصف بأمرين:(٥)

الأول: إنّها تبدأ بالفرد وتنتهي بالمجتمع الإنساني عامة: حيث يتم إعداد الفرد المسلم في طريق التقدم، وفي

(١) نهج البلاغة،٦٣٤.
(٢) أسس المناهج المعاصرة،٢٠١٢: ٥١.
(٣) المناهج التربوية ودورها في تنمية قيم المواطنة،٢٠١٦ : ٥٢.
(٤) المنهج التربوي(أسسه وتحليله)،:٢٠١٥ ٩١.
(٥) المناهج التربوية في الإسلام،٢٠١٧ : ٨٢ .

نهاية الأمر يهيّئ الفرد نفسه للحياة الاجتماعية السعيدة.

الثاني: إنَّها تبدأ بالدنيا وتنتهي بالآخرة بأسلوب متكامل متناسق: فهو يتبنَّى تنمية وترسيخ العقيدة الإسلامية عند الفرد المسلم وتحقيق العبودية لله تعالى .

رابعاً: أسس المنهج التربوي

لكل شيء أساس وأسس المناهج التربوية يمكن استخلاصها كما يأتي:(١)

الأساس المعرفي: ويعني النظرة الإسلامية لجميع أنواع معارف العلوم التي يجب أن يتعلمها الفرد المسلم او الجماعة حسب فائدتها ودرجة نفعها لهم مع عدم معارضتها للتعاليم الإسلامية التي تنطلق منها، ويشمل الأساس المعرفي:

المعرفة: حيث يهدف الجانب المعرفي من تربية المواطنة الى تزويدهم بالمعرفة المدنية .

القيم: فهي تمثل عنصرًا مهمًّا في العملية التعليمية، ففي تدريسها توعية التلميذ بالأبعاد الأخلاقية، وذلك من خلال تنويرهم بقيم الديمقراطية، وحقوق الفرد، والتضامن.

المهارات: حيث ركّز الباحثون في مطلع الثمانينيات على مناقشة العلاقة بين نمو مهارة المدنية والمشاركة السياسية، ومن أجل تحقيق ذلك لابد من التركيز في تربية المواطنة على المهارات) الاتصال، التطبيقات العددية، تقنية المعلومات، التعلم الذاتي من خلال التفكير، التنمية المستدامة. وتشير المصادر الى أنّ أسلوب التربية الأبوية هو المناخ العاطفي الشامل في المنزل، وفي علم النفس التنموي) حددت ثلاثة أنماط رئيسة لتربية الأبناء في بداية نموهم وهي: الموثوقية، السلطوية، والمتساهلة.(٢)

لهذا فطبيعة المعرفة التي تكون المنهج تكون مستلّة من التعاليم الإسلامية المستندة الى الكتاب العزيز والسنة الصحيحة للنبي صلى الله عليه وآله عليهم السلام فقد ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله (العلم أكثر من أن يحصى فخذ من كلّ شيء أحسنه).

الأساس الفكري: لقد جاءت الشريعة مكتملة الجوانب لبناء الإنسان المسلم الذي يعمل لإسعاد نفسه ومجتمعه، فقد ضمنت تعاليم الإسلام العقيدة والعبادة وتشريع الحكم والفقه ونظام الأسرة والمجتمع وجميع ميادين الحياة وفق التصور الإسلامي، أي أنّ الإسلام بهذه المفاهيم هو أيدلوجية المجتمع المسلم، وهو عقيدة الفرد

(١) المناهج التربوية في الإسلام،٢٠١٧ : ٨٥ – ٨٦ .
(٢) Spera،٢٠٠٥: ١٢٥-١٤٦.

والجماعة وهو توجيه وتشريع . وهذا هو الأساس الفلسفي للتربية الإسلامية الذي ينادي بعبادة الله سبحانه وتعالى والإيمان بوحدانيته وهو الذي خلق الإنسان وأكرمه، قال الله سبحانه تعالى : **(ولقد كرّمنا بني آدم)**(١)، واستخلفه في الأرض لتعميرها عالمًا بأنَّ الأرض والكون جميعه مسخر للإنسان، كما أنَّه عامل هام وميدان واسع، وأن يكون العلم لله تعالى، فقد ورد عن الرسول محمد ﷺ (من تعلّم العلم لغير الله تعالى فليتبوأ مقعده من النار)(٢).

الأساس النفسي: إنَّ علم النفس يتعامل مع الإنسان ككائن حي يرغب ويحس ويدرك وينفعل ويتعلم ويتخيل ويفكر ويعبر ويريد ويفعل مع تأثيره بالمجتمع الذي يعيش فيه كما يؤثّر هو أيضاً في ذلك المجتمع .

واعتمادًا على هذا الأساس فإنَّه على الطالب أن يخوض في فنٍّ من فنون العلم دفعة واحدة، بل يراعي الترتيب، ويبتدئ بالأهم، فعن الإمام علي عليه السلام: لا يحرز العلم إلا من يطيل درسه)(٣)

الأساس الاجتماعي: إنَّ التربية عملية اجتماعية، وهي انعكاس لقيم المجتمع وعقيدته وثقافته، وأنماط سلوكه، ولا يقتصر تأثير العوامل الاجتماعية على محتوى المنهج، بل إنَّها تؤثّر على كلّ ما يمكن أن يعد متمّماً للمنهج مثل المتعلّم والعملية التعليمية، والمؤسسات التربوية والقوى البشرية العاملة في إتمام العملية التربوية، وقد أكَّد الإسلام على أهمّيّة التربية في إعداد الإنسان الفرد ككائن اجتماعي متكيّف في المجتمع الإنساني(٤) .

خامسًا: أهمّيّة تنشئة الأبناء على القيم الأخلاقية:

تعد القيم مجموعة القواعد التي يكتسبها الإنسان وتنظم سلوكه وتتكون من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، وللقيم علاقة بالاتجاهات والمعتقدات والأعراف وبالشعور العام المشترك، بالتالي اكتساب القيم ليس فطريًّا إنَّما يكتسب من خلال عمليات التعلم والتّنشئة، ومن أهم القيم الأخلاقية نجد التربية الخلقية والدينية والتي تجعل الفرد عضوًا صالحًا في المجتمع مثل الصدق والمحبة والتعاون والإخلاص وإتقان العمل وغيرها، وتنمّي فيهم أهمية المشاركة وخدمة المجتمع بالتالي تستطيع الأسرة أن تغرس في أبنائها مثل هذه الأخلاقيات والفضائل والعادات والقيم الاجتماعية فتعليم الأسرة لأبنائها أمور عقيدتهم، منذ بداية حياتهم كيف يعامل أبناء دينه وكيف يتعامل مع أبناء الأديان الأخرى بما يرضي المجتمع ولا يغضب الله سبحانه وتعالى ولا يتنافى مع

---

(١) سورة الاسراء، الآية ٧٠.

(٢) كنز العمال / المتقي الهندي ج١٠ ص١٩٦.

(٣)عيون الحكم والمواعظ / ص٤٥٠.

(٤) الموسوعة الشاملة لجميع طرق تربية الطفل، ٢٠١٣ : ٥٨٠.

عقيدتهم، فالأخلاق الفاضلة أجمل ما يكتسبه الأبناء، وهي بمثابة مرآة تعكس شخصيتهم(١).

ولأهمية التربية جعلها الله تعالى وظيفة من وظائف النبوّة فقد قال الله تعالى عن مهمّة سيدنا محمدﷺ: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم) والتزكية هي التربية (**يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**)(٢).

وبما أنَّ المجتمع هو مجموعة أسر، والأسرة مجموعة أفراد، وإذا صلح الفرد صلحت الأسرة، وصلح المجتمع، والعكس صحيح، يقول ابن خلدون في مقدّمته الشهيرة: (إنَّ الدول ترقى وتنحط بقدر ما تكون الأسر فيها قوية أو ضعيفة).

المبحث الثاني: السيدة أم البنين عليها السلام الشخصية والمنهج

أولاً: أهمية دراسة الشخصيات التاريخية

من خلال العقيدة الإسلامية نجد بأنَّ جميع الأنبياء معصومون قبل البعثة وبعدها؛ لأنهم يحملون الأحكام الإلهية للبشر، ولا يمكن أن يكون هناك تفاوت ولو بسيط بين التعاليم التي جاؤوا بها سلوكاً أو تصرّفاً مهما كان بسيطاً؛ لأنَّهم يمثّلون القدوة للبشرية في سلوكهم وكلامهم ومواقفهم طوال حياتهم، وينطبق ذلك على الديانات أيضًا، فالله سبحانه وتعالى لا يختار للرسالة سوى تلك الشخصيات التي تمتلك كفاءات وصفات قادرة على حمل عبء الرسالة، والتي تكون من أفضل شخصيات عصرها علماً و ورعاً وعفّة وصدقاً وحكمة وشجاعة وصبراً وقيادةً .

وقد يمجّد التاريخ العظماء والمبدعين والبارزين فنلاحظ أنَّ أغلب من تنطبق عليهم هذه الصفات هم من الرجال، وإن كانت امرأة فلأنَّها قد تحدَّثت أمرًا في التاريخ أو اخترعت اختراعًا، ولكن لم نسمع أو نرَ أو نقرأ عن امرأة مجّدها التاريخ لكونها أنجبت الفحول أو وهبت أعزّ ما تملك، أو أنَّها كانت قد رصدت كل ما تملك لنصرة الإسلام وإمام زمانها .. إلا نساء قلائل، ومنها السيدة الطاهرة أم البنين(٣).

وتشير المصادر الى أنَّ السيدة أم البنين عليها السلام تعد الشخصية التأريخية الباهرة الفذة التي أفنت حياتها كلّها في

---

(١) إسهام الأسرة التربوي في تفوق الأبناء دراسيا،٢٠١٧: ١٣٨-١٣٩.

(٢) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٣) www.alkafeel.net /fourms

تربية الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام (١)

لقد كانت السيدة أم البنين عليها السلام مناراً استضاءت به قوافل التضحية فأخذت منها الكثير الكثير لتحمل ما لم يستطع حمله سواها فهي المضحّية من الصنف الأول دون منازع ودون بديل سوى مرضاة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وذرّيّته (صلوات الله عليهم أجمعين)(٢).

ثانيًا: في سطور أنموذج المرأة الصالحة

إنَّ دراسة شخصية السيدة أم البنين عليها السلام تعد من اللبنات الأساسية لغرض السير باتجاه حركة التكامل الإنساني المطلوب على صعيد الفرد والمجتمع، وبالنظر لما أحرزته من فضل عظيم ومكانة متميّزة في تأريخ الإسلام فإنَّ ذلك يدفع باستجلاء معالم تلك السيرة والتعاطي مع دلالاتها المتواصلة مع مسيرة الحياة بما تحمله من متطلّبات ومستجدّات سواء على صعيد حياتها الشخصية وبما تحمله من أسرار العظمة المتجسّدة في عفّتها وعبادتها وزهدها وعلمها، أو على صعيد حركتها في واقع الحياة وما اشتملت عليه من جهاد وصبر ومواقف صلبة .

عاشت السيدة الجليلة أم البنين مع أهل البيت عليهم السلام عطوفة على سادتها أولاد أمير المؤمنين عليه السلام عطف الأم الرؤوف الى أن رزقها الله تعالى أبناء طاهرين، وإذا بها تربّيهم تربية لا نظير لها .

أم البنين عليها السلام هي السيدة الكريمة والمرأة المعطاء التي قدّمت أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله على أبنائها في الخدمة والرعاية ولم يعرف التاريخ أنَّ شريكة تخلص لأبناء شريكتها وتقدّمهم على أبنائها سوى هذه السيدة الزكية(٣)، حيث كانت ترى ذلك واجبًا دينيًا؛ لأنَّ الله أمر بمودّتهما في كتابه الكريم فقال تعالى: (**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**)(٤).

فقد قدمت أبناءها فداء لإمام الحق الإمام الحسين عليه السلام دفاعاً عن القضية الحق، التي نادى بها الإمام الحسين عليه السلام فكان ولدها العباس وإخوته الثلاثة من السبّاقين من آل أبي طالب للذهاب الى ساحة الوغى لنيل الشهادة دفاعاً عن الثورة الحسينة المباركة.

لقد كان لسعة اطلاع السيدة الطاهرة أم البنين عليها السلام في الأمور، وإخلاصها الكريم، وماضيها المجيد أثر

(١) آل طعمة، ٢٠٠٨ : ٤٣.

(٢)أم البنين عليها السلام منار الوفاء... ألق التضحية، ٢٠١٠ :٣٠.

(٣)أم البنين النجم الساطع في مدينة النبي الامين،١٤٢٣: ٨٤.

(٤) سورة الشورى – الآية ٢٣.

حاسم في تعلّق الناس بها، وثقتهم ومحبّتهم التي ليس لها نظير، فاستطاعت بحكمتها وصبرها وبعد نظرها التغلّب على كلّ الصعاب .. وهذا إن دلّ على شيء فإنَّما يدل على حنكتها وجلدها ومعدنها الأصيل ضمن إطار الأخلاق العربية والتربية الإسلامية الأصيلة وتقاليدها في التعامل مع الجميع في احترامها لهم .

يمكن القول بأنَّ ركائز الفرد الروحية والأخلاقية تستند الى بوادر تربيته وبيئته وبيته الذي نشأ فيه ابتداءً من تغذيته من لبن أمّه الى سلوكه وأفعاله وأقواله، وفيما يلي توضيح عن هويّة السيدة الفاضلة أم البنين عليها السلام (١).

الاسم: فاطمة.

الكنية: أم البنين.

الأب: حزام بن خالد بن ربيعة الكلابي.

الأم: ثمامة (ليلى) بنت سهيل الكلابية.

اللقب: الكلابية.

الولادة: قبل سنة ٤ قبل الهجرة في أطراف المدينة (قبل سنة ٦١٨ م).

الوفاة: ١٣/ جمادى الآخرة / ٦٤هـ المدينة (١٧/ كانون الثاني/ ٦٨٤ م).

المدفن: البقيع الغرقد – المدينة – الحجاز .

ثالثاً: السيدة ام البنين عليها السلام مدرسة متكاملة للأجيال

لا تزال السيدة الطاهرة أم البنين عليها السلام من أبرز أعلام نساء التاريخ ولا ريب أنّها كانت من أبرز مصاديق (عمال الله في الأرض) وفق روايات أهل البيت عليهم السلام، إلا أنَّ المؤسف له أنَّ التاريخ لم يعطها حقّها، كما هو شأنه مع الأبرار فإنَّ تفاصيل حياتها مع زوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام ومع أبناء رسول الله لا يمكن العثور عليها في المصادر، ومما لا شك فيه أنَّها كانت زوجة مثالية رغم أنَّها لم تكن معصومة كعصمة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، لقد تغافل المؤرخون والرواة عن متابعة تفاصيل حياة امرأة تعد لوحدها (أمَّة) و(مدرسة) متكاملة للأجيال، ولعل من جملة الأسباب الكامنة وراء ذلك:(٢)

أ. إنّها كانت زوجة لأمير المؤمنين علي عليه السلام، عاشت في كنفه وفي ظل بيت ضم من قبلها فاطمة عليها السلام، ومن ثم ضم

(١) لبوة العرين وأشبال أم البنين، ٢٠٠٥ : ١٣.

(٢) أم البنين النجم الساطع في مدينة النبي الامين، ١٤٢٣ : ١١ – ١٢.

الحسن والحسين وزينب، ومن غمرته أنوار الشمس تضاءل شعاعه مهما كان منيرًا .

ب. كانت من المخدرات المستورات، فكيف يروي لنا التاريخ قصة مجموعة لا تصل العيون الى ظلها وأشباح شخصيتها.

ج. لم تكن أم البنين عليها السلام من بنات الطواغيت التي يطبل لها المؤرخون.

د. أم البنين عليها السلام وأبناؤها مفردة من المفردات المنسوبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وبيت أمير المؤمنين عليه السلام ظلمه التاريخ في كل تفاصيل حياته وبكل ما سميت إليه بصلة من قريب أو بعيد.

رابعاً: ما جاء في سمو شخصية السيدة أم البنين عليها السلام

لقد سبق الإسلام الأمم كافة في اعتبار المرأة شريكة للرجل في الحياة بنص قول الله تعالى: **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)**(١)، وقرر بأنهَّا كائن متمتّع بكلّ الخصائص الإنسانية التي تؤهّلها لأرقى مراتب الكمال البشري، إنَّ للشخصيات التاريخية الأثر الكبير في صناعة حياة الشعوب وأن يكون هذا الارتباط هو انسجام مع مواقف تلك الشخصيات النبيلة، وإنَّ العمل بنهجهم وأخذ العظة والعبرة من منهجهم وتضحياتهم، وكيف أنَّ التأريخ دوّنهم في صفحاته المشرقة، وأصبحوا قدوةً وأسوه لكلّ بني البشر، فكيف وإذا كانت هذه الشخصية ربيبة البيت العلوي؟؟!!، ربيبة الذي قال علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، يفتح لي في كل باب ألف باب. إنَّها أم البنين: شخصية لم تتكرّر في تاريخ البشرية من حيث الوفاء والتقرب لله جل وعلا في كل مواقفها، وكل هذا سببه الإيمان بالله إيمانًا حقيقيًا، والارتباط الحقيقي والتسليم والاعتقاد بالجهة الشرعية، كيف جعل من هذا المرأة أن تسمو وأن ترتقي الى النموذج الإيماني الذي أراده الله للإنسان(٢).

تؤكِّد الدراسات لشخصيّة أمّ البنين (سلام الله عليها) بأنَّ هذه السيّدة الجليلة كانت من أصلب المؤمنات على تحمّل الصعاب، فهي تطلب المجد والكرامة، والمجد لا ينال إلَّا بالمصاعب، وركوب المخاطر، والتضحية والاستبسال، وعليه تعد السيدة أمّ البنين القدوة الحسنة، والمثل الأعلى الذي يُحتذى به، فقد كانت عنواناً للثبات والإخلاص، والبسالة والتضحية، والفداء والشرف، والعزّة والكرامة في سبيل الحقّ والعدالة، فسيرة العظيمات تربي العظيمات، بل وحتى العظماء في الأمور المشتركة كالعبادة والزهد والتقوى، فسيرتهنَّ تربية للرجال والنساء

(١) سورة الروم - الآية٢١ .

(٢) (https: / /kitabat.com /wp-content /uploads /٢٠١٧ /٠٦ /١-kitabat-logo.png)

والبنين والبنات وللبشرية جمعاء، ولم تكن هذه المنزلة لتتسنّى لها من دون سعي شخصي وكدح نحو الكمال والترقي في سلّم ودرجات الإيمان ومن دون نشأة حسنة وتربية طاهرة تلقّتها من بيتها وأسرتها التي نشأة في ربوعها، ومن دون عناية واهتمام وتربية وتكفّل الإمام المعصوم لها، ومن دون رعاية الله سبحانه لها أوّلاً وآخرًا، وقد كفلها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، كما كفل زكريا مريم بنت عمران، واصطفاها لتنجب أربعة أبطال شاركوا أخاهم الحسين ﷺ نصرته وإحياء شريعة الله سبحانه، بعد أن كادت تموت على يد الأمويين ومن سبقهم من الحكّام، كما اصطفى مريم بنت عمران لتنجب نبي الله عيسى بن مريم ﷺ، الذي أحيا دين الله وشريعته التي أماتتها اليهود وضيّعت أحكامها، وكانت لها منزلة كبيرة عند الحسن والحسين وعند زينب العقيلة، وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة تقدم لها العزاء بمصرع أولادها الأربعة، كما كانت زينب ﷺ تتعهد زيارة أم البنين حيث كانت تقوم زينب بزيارتها مع مجموعة كبيرة من النساء والفتيات المؤمنات.

خامسًا: مقامات أم البنين (رضوان الله عليها)

لقد نالت السيدة أم البنين ﷺ مقامات عالية كنموذج للصالحات وقدوة للعظماء، نورد منها ما يلي:(١)

١ – مقام الرضوان: وهو مقام رضى المعصومين والأنس معهم ﷺ وهو مقام القرب الإلهي، وهو مقام عظيم جدًّا، ونالت السيدة أم البنين هذا المقام لأنَّ السيدة فاطمة الزهراء ﷺ رضيت عنها.

٢ – مقام الدرجات العظمى: وقد ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ هذا المقام بقوله: «إنْ سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلا من الجنان، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا»، وقد شهدت السيدة زينب ﷺ لأم البنين هذا المقام بعبارة وردت عن لسان السيدة زينب قالت فيها: أم البنين شريكتنا في المصاب. لذلك عندما وصلت المدينة أخبرتهم ألا يدخل أحد علينا الدار إلا شريك لنا في المصاب، ولّما دُقّ الباب وذهبت إحدى بنات الحسين ﷺ لفتح الباب، فعندما رأت أم البنين وسمعت زينب صوتها أدخلتها فوراً قائلةً: أم العباس شريكتنا في المصاب، وتلقّتها بحرارة ودموع ومواساة.

٣– مقام الشفاعة: في زيارة عاشوراء نذكر في الدعاء (اللهم ارزقنا المقام المحمود لك عند الله)، والمقام المحمود هو مقام الشفاعة، نالت أم البنين ﷺ هذا المقام فهي مع أهل البيت ﷺ ومُشفّعة عندهم.

(١) https: / /forums.alkafeel.net /showthread.php

٤- مقام النفس المطمئنة: نالت أم البنين مقام النفس المطمئنة لأنَّها من أوّل يوم دخلت به بيت أمير المؤمنين علي عليه السلام كانت تعلم ما هو دورها وما هو تكليفها، ومن الاختبارات التي وقعت بها(سلام الله عليها) واستحقّت أن تنال هذا المقام حين أنجبت أبا الفضل العباس عليه السلام، جاء أمير المؤمنين عليه السلام وحمله وكان يُمعن النظر في كفّيه ويُقبّلهما كثيرًا، فسألته أم البنين: سيدي أمير المؤمنين أراكَ تُمعن النظر في كفّيه؟ أفيهما عيب خلقي؟ قال: لا ولكن أقبلهما لما سيجري على تلك الكفّين. فسألته عمّا سيجري فقال لها: تُقطع هاتين الكفين نصرة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام. هنا سألت أم البنين: تُقطع كفّيه وفي سلامة للحسين؟! فقال لها: لا، هناك شهادة للحسين عليه السلام، هنا بكت أم البنين لما سيجري على الحسين ولم تبكِ عندما علمت بقطع كفّي العباس. فأيّ دور عظيم ومكانة عظيمة وصلت لها تلك المرأة الجليلة!

٥- مقام استغفار الملائكة: نالت عليها السلام هذه الهدية لعظيم شأنها عند الله تعالى، ولعظيم إيمانها وشدّة قربها من أهل البيت عليهم السلام، ورغم أن ليس لقبرها الشريف قبة إلا أنّ ملائكة الرحمن تستغفر لها ولزوارها ولمن يزورها من قريب أو حتى من بعيد.

٦- مقام الولاية لأم البنين: حيث كانت تروي حديث الرسول صلى الله عليه وآله: «ولي محمد من أطاع الله وإن بعُدت لحمته، وعدو محمد من عصى الله وإن قرُبت لُحمته، فأم البنين نالت كل تلك المقامات العالية بأفعالها وليس فقط بصفتها زوجة أمير المؤمنين عليه السلام.

٧- مقام القدوة: لقد ورد عن العلامة الحلي في منتهى المطلب(١): إذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله فعلا على جهة الوجوب وجب علينا اتّباعه، فيه إلَّا أن يعلم تخصيصه به، لقوله تعالى: **(لَقَد كَان لَكُم فِي رسولِ اللهِ أُسوةٌ حسنَةٌ لِمن كَان يرجو الله والْيوم الآخر)**.(٢) وهو أشرف مقام في عالم الدنيا.

(١) منتهى المطلب ج ٦، ص ٧.

(٢) سورة الاحزاب – الآية ٢١.

المبحث الثالث دور أم البنين في رعاية أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله

أولاً: أم البنين عليها السلام ورعايتها لسبطي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

لقد بلغت السيدة أم البنين (سلام الله عليها) درجة من الفضل والكمال حيث رضي أمير المؤمنين عليه السلام بخلقها ودينها، فأقدم على الزواج منها، حيث استشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخاه عقيلاً في امرأةٍ يتزوّجها ذات مواصفات محددة، تنتمي إلى أفضل بيوتات العرب في الشجاعة والبأس، حيث أورد المؤرخون بأنّه قال لأخيه عقيل: «اطلب لي امرأةً ولدتها شجعان العرب، حتى تلد لي ولداً شجاعاً»، وفي لفظ آخر قال: «انظر إليّ امرأةً قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوّجها، فتلد لي غلاماً فارساً»، فقال له عقيل: تزوج أمّ البنين الكلابية، فإنّه ليس في العرب أشجع من آبائها. ومن خلال هذين النصين نجد بأنّ الإمام علياً عليه السلام قد راعى الجانب الوراثي الذي أكّده رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: « **أَنْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَانْكِحُوا فِيهِمْ وَاخْتَارُوا لِنُطَفِكُمْ وتَزَوَّجُوا فِي الْحُجْزِ الصَّالِحِ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاس**»(١). وقد أُثبت علمياً أنّ الوراثة إحدى العوامل الأساسية في تربية الأجيال. لما دخلت بيت أمير المؤمنين عليه السلام كانت ترعى أولاد الزهراء (سلام الله عليها) أكثر مما ترعى أبناءها وتؤثرهم على أولادها تعويضًا لما أصابهم من حزن وفقدان حنان لموت أمّهم الزهراء البتول، وقالت يومًا لأمير المؤمنين عليه السلام يا أبا الحسن: نادني بكنيتي المعروفة (أم البنين) ولا تذكر اسمي فاطمة فقال لها الإمام عليه السلام لماذا؟ قالت أخشى أن يسمع الحسنان فينكسر خاطرهما ويتصدَّع قلبهما لسماع ذكر اسم أمّهما فاطمة لذا صار لها جاه عظيم وشأن كريم عند الله وعند رسوله وأهل بيته الغر الميامين، كانت أم البنين من النساء الفاضلات العارفات بحق أهل البيت عليهم السلام مخلصة في ولائهم ومودتهم ولها عندهم الجاه الوجيه والمحل الرفيع وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة المنورة تعزيها بأولادها الأربعة كما كانت تزورها أيام العيد وبلغ من عظمتها معرفتها وتبصرتها بمقام أهل البيت عليهم السلام، فمنذ الساعات الأولى التي شاء الله تعالى أن يجعل من فاطمة أم البنين زوجة لعلي عليه السلام لتكون مثالاً للمرأة المؤمنة ورمزاً للحب والوفاء، فعندما تزوّج منها أمير المؤمنين علي عليه السلام وجاء بها أهلها لدار أمير المؤمنين عليه السلام لم تدخل إلى بيت الطهارة قبل أن تلمس رضا الحسنين عنها فانحنت إجلالاً تستأذنهم أن تكون خادمة في بيتهم، فدخلت الدار وهي تتشرّف بخدمتهم للرعاية والتربية والقيام بواجبهم، وعليه تعد السيدة أمّ البنين القدوة الحسنة، والمثل الأعلى الذي يُحتذى به، فقد كانت عنواناً للثبات والإخلاص، والبسالة والتضحية، والفداء والشرف، والعزّة والكرامة في سبيل الحقّ والعدالة، فسيرة العظيمات تربي العظيمات، بل وحتى العظماء في الأمور المشتركة كالعبادة والزهد والتقوى، فسيرتهنّ تربية

(١)الكافي الشريف:٥/ ٣٣٢؛ مكارم الأخلاق:١٩٧.

للرجال والنساء والبنين والبنات وللبشرية جمعاء. وأما في أخلاقها وآدابها ومشاعرهاعليها السلام، حيث كانت السيدة أم البنين عليها السلام في غاية الأدب والأخلاق، فقد قالت لعلي أمير المؤمنين عليه السلام، لا تسمني فاطمة،! لأن الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم عليهم السلام يتذكرون أمهم ويتأثرون بذلك، ولذا سمّاها عليه السلام بـ (أم البنين)، على ما هي العادة عند العرب من الكنية لا باعتبار الانطباق الخارجي، بل باعتبار الانتخاب، والله سبحانه رزقها أربعة أولاد (مثل بدور الدجى) فصاروا مفخرة البشرية إلى يوم القيامة.

ثانيًا: دور أم البنينعليها السلام بإثارة أهل المدينة

أي مشروع لا ينجح إلَّا أن تكون المرأة محورًا فيه فالمرأة نصف المجتمع، وإذا أردنا لأيّ مشروع أن ينجح فلابد أن تكون المرأة محورًا فيه حتى تكون وسيلة لتفاعل نصف المجتمع مع هذا المشروع وأهدافه، فالصوت الهادر بالعلم والعاطفة المتمثل بصوت العقيلة زينب عليها السلام كان محوراً أساسيًّا لنجاح حركة أبي عبد الله الحسين عليه السلام والدليل على ذلك أنَّ السلطة الأموية أخرجت العقيلة من المدينة (١).

لقد دأبت السيدة أم البنينعليها السلام على إعلام الناس بزيف بني أمية وظلمهم وفجورهم بعد فاجعة كربلاء عام ٦١هـ، فكانت في بكائها وبلاغتها سيفًا للحق ضد الباطل، فبالنياحة أقامت مجالس العزاء، وكانت هذه المجالس التي لا تزال مستمرة في العالم الإسلامي حتى اليوم بمثابة مؤسسة إعلامية تتميز بالتعبئة العاطفية، والتوعية الدينية الى جانب التزكية والتربية، فلقد كان بكاء السيدة أم البنين عليها السلام ذا هدف رسالي، حيث إنّه لم يكن بكاءً ذليلاً، ولا ندماً على ما مضى ولا جزعاً من المصائب وإنَّما كان بكاء تحدٍّ وإيقاظ، وقد ورد عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أنَّه قال: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده بوّأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها احقاباً (٢).

عندما اقتربت المنية من السيدة أم البنين عليها السلام وفارقت الحياة بكى لفقدها الإمامان زين العابدين والباقرعليهما السلام بكاءً شديداً وضجّت المدينة حزناً وأسىً على فقدها (٣).

(١) المشروع الحضاري في حركة سيد الشهداء عليه السلام، ١٤٣٦هـ :٣٨.

(٢) كامل الزيارات ١٤١٧هـ :٢٠١.

(٣) ظلامة أم البنين بين أزمة التاريخ وتقصير المؤرخين، ب ت، ٢٨ .

زيارة أم البدور السواطع المكناة بأم البنين عليها السلام

اللهم صل على محمد وآل محمد، أَشهَدُ أَن لا إلهَ إلا الله وَحدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، السَّلامُ عَلَيكَ يَا رَسُولَ الله، السَّلامُ عَلَيكَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنين، السَّلامُ عَلَيكِ يَا فَاطِمَةَ الزَّهرَاءِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِين، السَّلامُ عَلَى الحَسَنِ وَالحُسَينِ سَيِّدي شَبَابِ أَهلِ الجَنَّة، السَّلامُ عَلَيكِ يَازَوجَةَ وَصِيِّ رَسَولِ الله، السَّلامُ عَلَيكِ يَا عَزِيزَةَ الزَّهرَاءِ عَلَيهَا السَّلام، السَّلامُ عَلَيكِ يَا أُمَّ البُدُورِ السَّوَاطِع فَاطِمَةَ بِنت حزَام الكلابيّة، المُلَقَّبَةُ بِأُمّ البَنِين وَبَاب الحَوَائِج، أُشهِدُ اللهَ وَرَسُولهُ أَنَّكِ جَاهَدتِ في سَبِيلِ الله، إِذ ضَحّيتِ بِأَولَادَكِ دُونَ الحُسَين بنَ بِنتِ رَسُولِ الله، وَعَبَدتِ اللهَ مُخلِصَةً لَهُ الدِّين بِولائكِ لِلأَئِمَّةِ المَعصُومِين عَلَيهِمُ السَّلام، وَصَبَرتِ عَلَى تِلكَ الرَزِيَّةِ العَظِيمَةِ، وَاحتَسَبتِ ذَلِكَ عِندَ الله رَبّ العَالَمِين، وَآزَرتِ الإِمَامَ عَلِيّاً في المِحَنِ وَالشَّدَائِدِ وَالمَصَائِب، وَكُنتِ في قِمَّةِ الطَّاعَةِ وَالوَفَاء، وَأَنَّكِ أَحسَنتِ الكَفَالَة وَأَدَّيتِ الأَمَانَة الكُبرى في حِفظِ وَديعَتَي الزَّهرَاء البَتُول الحَسَنِ وَالحُسَينِ وَبَالَغتِ وَآثَرتِ وَرَعَيتِ حُجَجَ الله المَيَامِين، وَرَغبتِ في صِلَةِ أَبنَاء رَسُولِ رَبِّ العَالَمِين، عَارِفَةً بِحَقِّهِم، مُؤمِنَةً بِصِدقِهِم، مُشفِقَةً عَلَيهِم، مُؤثِرَةً هَوَاهُم وَحُبَّهُم عَلَى أَولَادكِ السُّعَدَاء، فَسَلامُ الله عَلَيكِ يَا سَيِّدَتي يَا أُمَّ البَنِين مَا دَجَى اللَّيلُ وَغَسَق، وَأَضَاءَ النَّهَارُ وَأَشرَق، وَسَقَاكِ الله مِن رَحِيقٍ مَختُومٍ، يَومَ لايَنفَعُ مَالٌ وَلابَنُون، فَصِرتِ قدوَةً لِلمُؤمِنَاتِ الصَّالِحَاتِ، لأَنَّكِ كَرِيمَة الخَلائِق، عَالِمَةً مُعَلَّمَةً، نَقِيَّةً زَكِيَّةً، فَرَضِيَ اللهُ عَنكِ وَأَرضَاكِ، وَلَقَد أَعطَاكِ اللهُ مِن الكَرَامَات البَاهِرَات، حَتَّى أَصبَحتِ بِطَاعَتكِ لله وَلِوَصِيِّ الأَوصِيَاء وَحُبّك لِسَيِّدَة النِّسَاء الزَّهرَاءِ، وَفِدَائكِ أَولادكِ الأَربَعَة لِسَيِّدِ الشُّهَدَاء بَابَاً لِلحَوَائِج، فاشفَعِي لِي عِندَ الله بِغُفرَانِ ذُنُوبِي وَكَشفِ ضُرِّي وَقَضَاءِ حَوَائِجِي، فَإِنَّ لَكِ عِندَ الله شَأنَاً وَجَاهَاً مَحمُودَاً،

وَالسَّلامُ عَلَى أَولَادكِ الشُّهَدَاء، العَبَّاس قَمَرُ بَنِي هَاشِم وبَاب الحَوَائِج، وَعَبد الله وَعُثمَان وَجعفَر، الَّذِينَ استُشهِدُوا فِي نُصرَةِ الحُسَينِ بِكَربَلاء، وَالسَّلامُ عَلَى ابنَتكِ الدُّرَّة الزَّاهِرَة الطَّاهِرَة الرَّضيَّة خَدِيجَة، فَجَزَاكِ اللهُ وَجزَاهُم الله جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فيهَا، اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

نتائج البحث

مما توصل إليه البحث من نتائج :

إنَّ السيدة أم البنين عليها السلام هي الأسوة الحسنة فهي خير مثال للمرأة النموذجية في التربية حيث تكون قدوة وأسوة في المجتمع ليس فقط للمرأة بل حتى للرجل أيضاً وتعد الزوجة المثلى لكل امرأة تريد أن تتخذها قدوة في حياتها الزوجية وذلك بصريح الآية الكريمة **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا)** (١).

جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على المقامات السامية لسيدة الوفاء أم البنين (صلوات الله وسلامه عليها)، مع إيضاح أهمية التربية وفق القيم والمبادئ الإسلامية الأصيلة.

(١) سورة الأحزاب/ الآية: ٢١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتب والدوريات

١- الإبراهيمي، عيسى عبد الكريم، (ظلامة أم البنين بين أزمة التاريخ وتقصير المؤرخين)، ب ت.

٢- الخباز، منير، (المشروع الحضاري في حركة سيد الشهداء عليه السلام) مجلة صدى الأربعين الخاصة بشهر صفر / ١٤٣٦هـ، ط١، قسم الشؤون الفكرية والثقافية العتبة العباسية المقدسة .

٣- الخلخالي، علي رباني، (أم البنين النجم الساطع في مدينة النبي الأمين) مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٣هـ .

٤- الحسيني، السيد محمد، (السيدة أم البنين)، هيأة محمد الأمين، ط٢، ٢٠٠٠.

٥- الصافي، السيد جواد، (الموسوعة الشاملة لجميع طرق تربية الطفل)، دار المحجة البيضاء ط١، ٢٠١٣هـ.

٦- الفتال، حسن كاظم،(أم البنين عليها السلام منار الوفاء... ألق التضحية) دار الضياء النجف الأشرف ط١، ٢٠١٠هـ.

٧- القمي، جعفر بن محمد بن قولويه، (كامل الزيارات)ط١، مؤسسة النشر الإسلامي / مؤسسة نشر (الفقاهة)، ١٤١٧ هـ .

٨- الكرباسي، محمد صادق محمد، لبوة العرين وأشبال أم البنين ، بيت العلم للنابهين، لبنان بيروت، ٢٠٠٥ م .

٩- بحري، منى يونس، المنهج التربوي(أسسه وتحليله)، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط ٢، عمان، ٢٠١٥.

١٠- خيضر بسكرة- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم العلوم الاجتماعية- ٢٠١٧ .

١١- دعيبل، محمد، (المناهج التربوية في الإسلام)، مجلة ينابيع، مؤسسة الحكمة الثقافية الإسلامية العدد ٧٨ ربيع الأول / ربيع الثاني ١٤٣٩هـ / تشرين الثاني - كانون الأول/ ٢٠١٧ م .

١٢- سميرة ونجن، (إسهام الأسرة التربوي في تفوق الأبناء دراسيا) مذكرة مكملة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علم الاجتماع تخصص علم اجتماع التربية، الجزائر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة محمد.

١٣- محمد، طاهر محمد الهادي، (أسس المناهج المعاصرة)، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط١/ ٢٠١٢.

١٤- مدكور، علي أحمد، (مناهج التربية-أسسها وتطبيقها)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨ .

١٥- هويدي، عبد الباسط وحوامدي الساسي، المناهج التربوية ودورها في تنمية قيم المواطنة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد ١٥، مارس، ٢٠١٦.

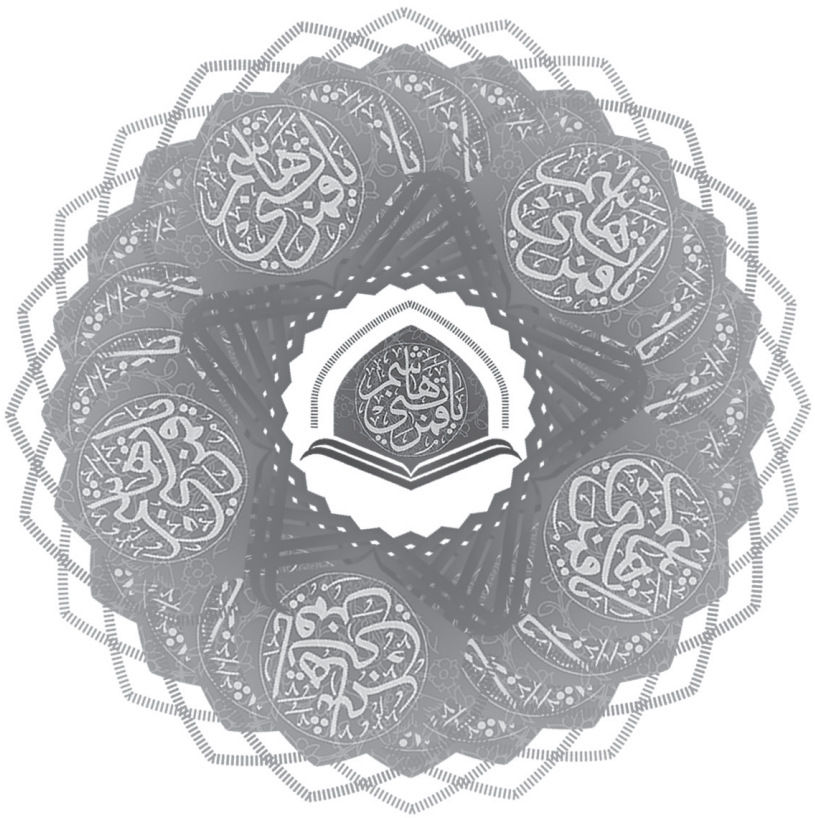

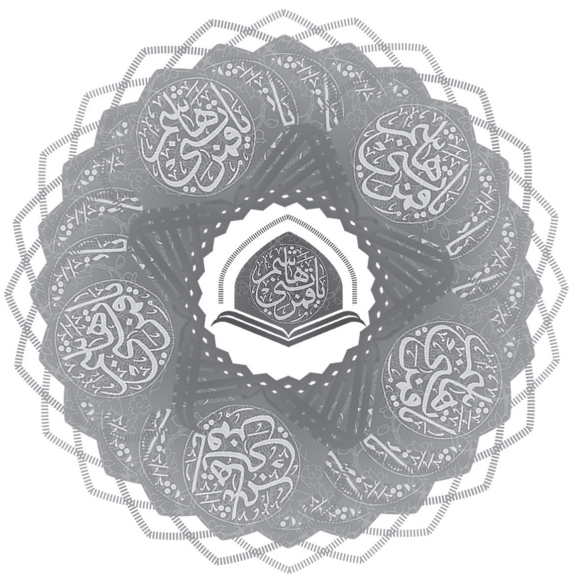

القصيدة

قَصَدتُ جودك

الشاعر علي عسيلي العاملي

قصيدة (قصدت جودك)
للشاعر علي عسيلي العاملي

أنـا العـراق فـرات المـاء محـبرتي ... قصـدت جـودك فاقبـل بـوح قافيتـي

اِقبـل مـن الحـب يـا فـلاح حبَّتـه ... وأنبـت الحـرف في أبيـات سـنبلتي

متـى ربـت مائـة فاحصـد نضارتهـا ... كـي مـا يعيـش خلـود الدهـر في مائتـي

إنّي قصدتـك بالأشـواق ترفعنـا ... كفّـاك دون زنـود دون أجنحـةِ

نـرى أصابعـك الخـضراء وارفـةً ... والـرّوح يقطـف منهـا أيّ فاكهـةِ

عـلى الوجـود تـدلّا زهوهـا رطبًـا ... فأيـن مريـم هـزّي الجـذع مريمتـي

وقفـتُ عنـدك يـا عبـاس متّحـدًا ... بالـلا حـدود بـلى بـدَّدتَ بوصلتـي

سـتّ الجهـات تلاشـت كلّ زاويـة ... هنـا تـراك هنـا في كلّ زاويـةِ

وكلّ ثانيـة قدّسـت لحظتهـا ... تتلـو تحنّطهـا أنفـاس ثانيـةِ

إذا أردت الى شـعبان ترجعهـا ... الى شروق ذُكاء غـير آفلـةِ

نعـم رأيتـك طفـلاً لفّـه علـم ... مـا خرّقتـه سـهام الحقـد حرملـةِ

لله مهـدك مهـدًا ليـس مـن خشـبٍ ... بـل مـن نـذورٍ وإعجـازٍ وأشرعـةِ

يهـزّه جفـن عـين الطهـر فاطمـة ... ويـا لَمهـدٍ رعتـه عـين فاطمـةِ

ويـا لَشـبلٍ غذتـه لبـوة ولـدت ... فحولـة وزّعـت في بـأس أربعـةِ

أم البنين ولولاها مرضّعةً ... لقلت نزّهت عن حجرٍ ومرضعةِ

وقلت جئتَ كعيسى الروح دون أبٍ ... لو لم تكن ولد الكرار حيدرةِ

ضمّتك ذات رضاعٍ وهي قائلة ... ما لا أعيه كأنّي خارج اللغةِ

ما زلت أسألها ما كلّمتك إلى ... أن رحت تشرح فيهم أي ترجمةِ

يروي حميدٌ وردت الماء تشربه ... منه اعتذرت وأدري كنه معذرةِ

فقد رأيت إليك النهر مرتفعًا ... يرجوك هبني حياة الماء يا أبَتِ

يومي إلى شفةٍ ما شفَّها ظمأ ... رحماك رحماك بلّل بالظما شفتي

رفعته كلّ ماء الأرض ناشده ... فرات منه ارتشف لو طُهر أنملةِ

رميتهُ صار من يأتيه مغتسلاً ... يعود مكتسيًا أثواب مغفرةِ

عباس أيّ يدٍ هذي التي التحمت ... بها البطولة كالموصوف والصِّفةِ

ساقي العطاشى وقد جفّت جماجمهم ... فصلت تسقي الظما في كلّ جمجمةِ

تغوص فيهم فكم أخرجت حنجرة ... وكم فؤادٍ زوى في سقف حنجرةِ

قطعتَ كفّيك قلب الدين في خطرٍ ... ذي سدُّ ميمنة ذي صدّ ميسرةِ

ترمي ضلوعك في أحشاء أسهمهم ... رمي السماء على جرّار أبرهةِ

وبين زخٍّ توارى خلف وابله ... أفقٌ تنفّس لكن دون ما رئةِ

أنفذت عينًا الى ما بعد ناظرة ... طوبى لعينٍ بنور الله ناظرةِ

ترى المعيدي قد وافاك معتقدًا ... إن طفله مات أنَّ الطفل لم يمتِ

لذا ترجّلت لم يُسقطكَ غدرهم ... حاشاك تسقط يا عبَّاس في ضعةِ

فنقطة الباء عن كرسيّها انخفضت ... لكنَّ فيها انطوت أسرار بسملةِ

هنا بكيت هنا أجريتني علقًا ... هنا تفلّت منّي مُهر عاطفتي

لما سمعت أخي في كلِّ ناحية ... مِن كلّ ناحية مع صوت نائحةِ

علمت أنَّ التي ضمّتك فاطمة ... لبّتكَ مسرعة في أي تلبيةِ

عباس ساعة حلّ الرّأس في يدها ... أَهَل شعرت بأضلاع مكسّرةِ؟

وهل مزجت دماء الرّأس مع دمها؟ ... ما زال ينزف من مسمار حبترةِ

وهل سمعت أنينًا دام يؤرقها؟ ... وهل مررتَ على روحٍ ملوّعةِ؟

حتى أتاكَ حسين كاد في دهشٍ ... لا يعرف الجسم من حالٍ مهشّمةِ

أحنى لديك وقد أرخى محاجره ... يبكي عليك بصوتٍ غير منخفتِ

فقلت سلّم على الحوراء زينبنا ... هل قلت أختي هنا أم قلت سيدتي

وقلت سلّم على الأطفال أجمعهم ... على الرّضيع ومنه اطلب مسامحتي

يا فاتح النهر قرآن الحسين بكى ... عليك تختمه لكن بفاتحةِ

مـا زلـت مـن يومهـا آتيـك في بلـد ... يكتـظ مسـغبة في زيّ متربـةِ
أدقّ بابـكَ أرجـو بعـض أرغفـة ... فتعجـن الضـوء في سـلّات أرغفـةِ
وقفـتُ عنـدك بالإنسـان أشـعرها ... أنـا العـراق فـراتُ المـاء محـبرتي
لا أبتغـي جنـة الفـردوس مرتبـة ... حسـبي قبولـك كـي ترقـى لمرتبتـي

مجلةٌ فصليةٌ ثقافيةٌ تُعنى بدراسة أحداث السنة الهجرية
تصدر عن العتبة العباسية المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية شعبة الفكر والإبداع

Al-Sada

Cultural Quavterly Journal For Hegira Events

Issued by the al _abbas holey shrine Department of Intellectual and
Cultural Affairs Division of thought and creativity